

الدكتور عبد الرحمن محمد حمام

مَنْ

صَيْحُ السُّلْطَانِ



صدر للمؤلف . . .

- الامراض المتناقلة بين الانسان والحيوان ١٩٧٦م

- القرآن وعالم الحيوان ١٩٨٤م

- من ضيع السودان ١٩٩١م

د / عبد الرحمن محمد حامد

مَنْ ضَيَّعَ السُّودَانُ ؟ !

إخراج إلكتروني : ابوبكر خيرى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى ١٩٩١م

الطابعون : مطبعة جامعة الخرطوم

إهداء

إلى ...

« أمّ خيَّان » أمّي ... الحيويّة ، والإيثّار ، وقَدَمُ الجنّة ..
و، « شادية » زَوْجِي ... السكّن والمودة ، والرّحمة ...
و، « هنيّدة ورؤي » إبنتيّ ... بعض زينة الحياة الدنيا ، وصالح الدُّعاء بعد
الممات ...

بسم الله الرحمن الرحيم

" ووصينا الإنسان بوالديه أحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله
ووصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربني أوزعني أن
أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأطيع لسي
في دريّتي إني تبت إليك وإني من المسلمين " "

صدق الله العظيم .

سورة الاحقاف (١٥)

" لو ان التاريخ اخذ في اعتباره الأخطاء وحدها ولم
يسجل المنجزات التي حققها الرجال ، فلن نجد رجلاً
واحداً يمكن ان نقول عنه انه كان رجلاً عظيماً . "

** نابليون **

تقديم

من قبل

" اعرف قوما يعارضون سرا ويؤيدون علناً ، يهمسون بارائهم ويصفقون بايديهم ، وهم يعتبرون الهمس منتهى الشجاعة والتصفيق منتهى الواقعية .. يقولون لك انه لا يعجبهم العجب ويقولون للمستولين ان ليس فى الامكان احسن مما كان ... ولا يعلمون انهم اصفار فى العلىن واصفار فى الخفاء ... فالانسان الشجاع هو الذى يعلن ما يبطن ويقول بصوت عال ما يقوله بصوت خافت ...

اذكر اننى كنت فى مكان عام واذا بأحد الجالسين يهاجم احد المسئولين بالحق وبالباطل ، ويوجه له اشد الاتهامات ، وظهر فى المجلس الذى كنا فيه اشجعنا واقوانا واجرائنا ، وبدا كل واحد منا امامه فأر امام اسد مغوار ! ودخل فجأة احد المسئولين وجلس معنا ، واذا بالاسد المغوار ينقلب ١٨٠ درجة . ويمدح المسئول الذى كان يشتمه ، ويصفه كأنه احد الافذاذ العباقرة ويؤيد ثناءه بألف دليل ودليل .

وأصيب كل الحاضرين بالذهول ، كانوا قد سمعوا منذ دقائق قليلة كلاماً ويسمعون الآن كلاماً على عكس ما سمعوا ، ونظرنا كلنا معا الى وجه الاسد الهصور فلم يظهر على محياه انه يخجل من هذا النفاق الرخيص كأنه نسى كل ما قاله من شتائم واتهامات

مثل هذا المتناقض لم نكن فى الماضى نقبل ان نصافحه او نجلس معه . كنا نطرده من مجالسنا شر طرده . ولكن اليوم تبدل الحال واصبحنا نحن الذين نخجل منه ، فلا نواجهه برأينا فى نفاقه و ملقه ، وسفائه ونعتبر ان سكوتنا نوع من الادب وانا اعتقد ان سكوتنا على النفاق ليس هو الادب . بل هو منتهى قلة الادب ، بل هو سكات على السفالة العلنية ، عندما يتحول الرجل فى دقائق من اسد الى فأر ومن شجاع الى

رديد ... وبعض هؤلاء المنافقين يعترفون بخطيئتهم ويقولون لك ان الجبن هو سيد الاخلاق . ولكن اغلب المنافقين يعتبرون ان جبنهم شجاعة ، وان هبوطهم الي هاوية الانحطاط هو الذى يؤهلهم لاعلى المناصب ..

بعض المغفلين يمكن خداعهم بالزلفى ويمكن الوصول الى قلوبهم بمسح الجوخ وتقبيل الايدى والاقدام .. ولكن هذا الطريق يصلح للصغار فقط .. اما الانسان الكبير فهو الذى يستطيع ان يدوس المنافقين بالاقدام " (١)

ولنا ان نقسائل

على من تقع مسئولية الشتات والضياع والغيبة عن الوجود ؟ ! ...

" هل تقع المسئولية على الحكام واصحاب السلطان ؟ ... ان الاكثرية

تميل الى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه وذلك لجملة اسباب :-

الاول :- ان الناس دائما يحبون ان ييرثوا انفسهم ويحملوا المسئولية لغيرهم

— ولهذا تحب الشعوب ان تحمل عبء تبعثها على عاتق حكامها ...

الثاني :- ان شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير فهي تنفس

— عن نفسها حين تحملهم اثم ما اصابها ..

الثالث :- ان المسئولية بقدر المكنة والسلطة والحكام قد مكَّنوا وسلطوا ولكنهم لم

— يكونوا عند حسن الظن بهم ، لم يكونوا كما قال الله تعالى " الذين

ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف

ونہوا عن المنکر " الحج الخ

ولا ريب ان الحكام يحملون قسما كبيرا وربما القسط الاكبر مما نحن

فيه ولكن من المؤكد ايضا ان الحكام فى الغالب اشبه بشعوبهم وهم إفران

مجتمعاتهم ، حتى الحكام الذين يفرضون على شعوبهم إنما يستمر حكمهم

بممارستها لهم ، اوعلى الاقل سكوتها عنهم . وفى القول المأثور : " كما تكونوا

يولى عليكم " ..

ام تقع المسئولية على العلماء فهم ورثة الانبياء ، ودعاة الحق وهداة

الخلق الذين اخذ الله عليهم الميثاق لبيئتن ذين الله للناس و لا يكتُمونه ؟ ! ...

(١) مصطفى أمين - فكرة - الشرق الاوسط

بيد ان فى العلماء من قصر فى واجب البيان والبلاغ ، ومنهم من مشى فى ركاب السلطان ، وجعل العلم خادما للسياسة وجعل نفسه جهازا لتفريخ الفتوى حسب الطلب ... والحقيقة ان علماء اليوم لم يعودوا وحدهم فى الميدان كما كانوا فى العصور الماضية ، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروية والمسموعة والمرئية فى اجهزة الإعلام اشد تأثيرا فى الجماهير من اصحاب المنابر وان كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها كما ان مشكلة علماء اليوم انهم اصبحوا موظفين لدى الحكام ، فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحرف والتجارة و غيرها ليكفوا انفسهم بانفسهم

ولقد سئل احد الولاة عن قوة الامام الحسن البصرى رحمه الله و شموخه ، فقال الوالى بصراحة " احتجنا الى دينه واستغنى عن دنيانا " ١١ ... فكيف يكون الحال اذا احتاج العلماء الى ما عند الحكام من دنيا و استغنى الحكام عما عند العلماء من دين ١٢

على ان من العلماء من ادى الامانة وبلغ الرسالة ولقى فى سبيلها من العذاب ما لقى ، بل منهم من قدم رقبته فى سبيل الله (١)

يسألونك عن هذا الكتاب

" لا اعرف اهانة تنزل بأمة مثل سلب مواقفها العظيمة وشجب نضالها الظافر واتخاذ تجاربها السياسية الناجحة موضع التجريح والتشهير و التندر والسخرية (٢)

ونَحَسِبُ أنه ليس هنالك اهانة لشعب أكبر من تفخيم مواقف القادة والدفاع عنهم بالباطل ... وتحكيم المشاعر والعواطف بدل الموضوعية فى محاكم التاريخ ... وان المدح كتابة ووصفاً ووضعاً لهالات الامانة والاخلاق

(١) د/ يوسف القرضاوى - مجلة الامة مارس ١٩٨٥م " فى محاولة اجابة على من تقع

مسئولية الشتات والضياع والغيبة عن الوجود .

(٢) خالد محمد خالد - دفاع عن الديمقراطية .

النَّبَويَّة حول هامة من لا يشبهها ، ومناداة القزم بالعملاق ، هي اساءة وجريرة بقدر اهمال الكتابة الموضوعية عن حقيقة المواقف ...
ليس الكتابة هنا ترف او متعة ذهنية وفكرية او تعبير عن كراهية او مدفوعة بانفعال وانطباع ذاتي ، وليست قناع نبرة واعظة لكا تب هو احوج لمن يعظ ... وانما هي خروج بالرؤية الذاتية لمال البلاد لتتوب تعبيراً عن ذوات لا تدرك التعبير ولا تحس بوجودها وما يدور حولها ، ليس الباعث على كتابته الهمز واللمز او البحث عن الشعور بالقناعة الذاتية من خلال تجريح اناس افضل بكثير - ولو في طريق البحث عن الحقيقة - حيث يغص البعض شعور الاقتناع حين يشجبون من هو افضل خَلْقاً او أبعد نجاحاً او اوفر حظاً ، ويتملكهم شعور الأهم في الحياة

وإنما هو منهج موضوعي مرصود مفهوم ومشار لمصدره بقدر المستطاع ، يجد فيه القارئ مدخلاً لمعرفة الشخصية السودانية من خلال شخصيات من تصدوا لقيادة العمل الوطني في السودان .

أمثال هؤلاء الرجال ، كم يكون جميلاً ، ان تهتم بهم الامم تدويناً وبحثاً ... مهما كان رأيك ورأى فيهم لانهم يملكون قوة التصدى للامور (١)
فاذا كان قدر بعض الناس ان يتجرع مر الحنظل في وطنه ويموت حسرة والمأ ، ويضمه باطن الارض لتقوم من فوقه وبجانبه اعمدة صرح الوطن ويكتفى بلوحة تكتب على قبره (ولدوا ، فتعذبوا ، فماتوا) (٢) ... فقدر البعض كان على القمة حيث يسقط احدهم من عل فيدق عنقه او يلقي مالم

(١) يعتبر بعض الحكام ان تاريخ بلاده بدا يوم توليه السلطة ويبدأ يتنكر لامجاد غيره ويتمنى ان يلقى تاريخهم .. والامم الاخرى تكرم ابطالها ، عام ١٩٩٠م يحكم الاشتراكيون فرنسا ولكنهم يقيمون اعظم احتفال لتكريم خصمهم اللدود نيجول بمناسبة نداء ١٨ / يونيو / ١٩٤٠ (لقد خسرت فرنسا موقعة ولكنها لم تخسر الحرب) الذي اطلقه دجول بعد اعلان هزيمتها امام المانيا ١٧ / ٨ / ١٩٤٠ و صارت فرنسا بعده دولة عظمى .. العمل الوطني النافع يعترف به عندهم حتى الخصوم.

(٢) مثل صيني

يكن يتوقع ... حينئذٍ عليهم ان يرضوا حكم التاريخ ونقد الغير وتقييم مواقفهم بموضوعية وأمانة ... وإي من الفتيسن تؤدي ضريبة الوطن ، ونية بناء الوطن لا تكفي وحدها من دون الله وعبادته ومرضاته
انه اجتهاد شخصي لم يكتب بايحاء من أحد او من اجل عهد او فئة او فرد ، وانما هو منهج الباحث المتدرج المحايد يستبصر الاصلاح ما استطاع ويستشعر التوجه العام ... يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال (١) ، يتأمل القول ولا يتهيب القائل ، ويعي ان للمجتهد المصيب اجران وللمجتهد المخطيء نصف ذلك .. وليس بكبير عنده امام النقد الموضوعي مَنْ كان والمعصوم فقط هو النبي الأُميُّ الخاتم محمد بن عبد الله (صلعم) ... يسبق استنتاج الموقف والقول فيه ، الدليل والحجة والسبب والبرهان

حاولت اتباع منهج للبحث يقوم على الدراسة والتحليل بعد تتبع لتاريخ الحركات السياسية في السودان وجمع لمواقفها ومواقف قادتها وعرضها وترك اصدار الحكم عليها او لها ، في المساهمة في دمار الوطن ، للقارئ ما استطعت ان اكون شاهداً مراقباً ومعاشياً للاحداث بعد الاستقلال ...
ليكن المقال تحليلاً سياسياً الغرض منه الإعتبار والبدء في تصحيح المسار ، لذا فهو ليس اجابة جاهزة او حكماً مسبقاً ولا تسجيلاً تاريخياً ، وانما هو محاولة لمساعدتكم لمعرفة مَنْ الفاعل وَمَنْ وراءه !! ... وَمَنْ بعدَ ليس لإثارة البغض والكراهية لمن فعل ، وانما محاولة لتعرية الاراء لمن يدرك معنى الخلاف والإختلاف الفكري لتساعد على الإلتقاء ... وذلك بتوضيح ما وقفت عليه من فعل مثبت وقول مقروء او تقرير ثابت او ايجاز لفعل الغير ، او قولة مسجلة ومكتوبة ، (٢) ويبقى هنالك الكثير من الاحداث في ذاكرة

(١) في رافعة الجملَ سال رجل سينا على كرم الله وجهه (هل يمكن ان يجتمع طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين على باطل ؟) فاجاب ' نكلك امك ' اعرف الحق تعرف اصحابه . ان الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال .

(٢) في الكتب والمجلات والجرائد والدرجات المطبوعة والعالمية وكل مشار إليه في صفحته

الرجال من الموثق غير المدون ، او الموثق والمدون الذى لم يطلع عليه الكاتب ، او المكتوب الساكن بين ادراج من كتب او قابع فوق مصاطب المطابع مما يبرىء ذمة البعض أو يدينه

ليس الغرض هنا إطلاع من يعرف هذه الحقائق ويعيها ، فكثيرون منكم شاركوا فى صنعها ، ولكن المأمول وقوف الأواخر على ما فعل بهم الأوائل ... أولئك الذين نحمد اليهم التحرير ونعيب عليهم سلبية التعمير ... ليتسنى لهم قراءته والإعتبار بما فيه .

انها اجتهادات سياسية ومواقف سجلها هؤلاء الرجال فى سبيل النهوض بأمة بحكم الانتماء ... وتبقى عليهم تَبَعَةُ النية والعمل وعند الله الجزاء ، وبتقبيمننا هذا يقيننا انهم يقبلون الامر لمفهومهم الواسع ان ليس المقصود هو الشخص او الحزب او الفئة فى ذاتها .. وانما المعنى الظاهر والخفى لما فعل وما سلك من قناة واسلوب ، وما ترتب على ذلك من اثر على الوطن ... وفى ذلك لابد من الفصل بين العوامل الموضوعية والعوامل الشخصية فى تحليل الظواهر السياسية واصدار الاحكام على تصرفات الرجال ، بالرغم من صعوبة الفصل بين القضايا الشخصية والقضايا العامة ، لأن القرار فى النهاية يصدر من نفس واحدة وعقل واحد الا اننا لم نأخذ الا بما هو فى حكم العمل العام ... محاولين ازالة الأقنعة التى يضعها البعض من فوق حروفهم لكى تحجب عنا حقيقة من نكتب عنهم لأن هنالك من يبرر موقفه كذباً او خجلاً مما جرت يداه .. ولأن الامم المبصرة تتعظ وتعتبر من تاريخها .. وهو تاريخ ملئ بالشخصيات التى صنعتها .. وما يعتبره البعض تجريحاً يكون لدى القارئ المنصف محسنة وأمرأ واجب الاشادة به خاصة اذا كان ذا حظ من الأسانيد المثبتة والأدلة المقتنعة .. وان سقوط الامم فى بعض جوانب حياتها يكون فى التنظير والتفكير قبل الممارسة ، لذا فمن الواجب التصدى لكلِّ بقوة وشجاعة وبصيرة وفحص علمى دقيق .. لتقدّم دروس وعبر العهود مقيمة ليافع الاجيال ، اذا ما اريد لها وعى "سياسي" بعيد عن العواطف والاحاسيس وفهم رشيد وفعل متكامل ... لا تكون قاعدته ذكريات ماضى وانما مغزى تجربة ونتائج معاناة

وحقائق حاضِر لاستبصار مستقبل بَيِّنٍ سليم ، تحرسه الشجاعة والامانة
والدراية والكفاية ...

وبالرغم من كل ذلك سيقول السفهاء من القوم إنه محاولة للنيل من
شموخ ابطال وصلاح رموز بيدٍ داخلية تتفدّ مرامى الاعداء ، بقول من سبق
الإستيلاء عليه وعلى ارادته ... وسيُلقَى به اتباع الزعيم والشيخ لعناتهم وإن
لم يغضب هو لأن هناك الآلاف ممن يغضب لغضبه ولا يسأله فيما غضب ،
ولأن مما لا يدع مجالاً للشك هو اهتزاز المثل الأعلى امام ناظرى من اعماء
الولاء بلا وعى ولا ادراك ... وسيُسِرُّ رَهط المدينة كونه غيرة عمياء وحسداً
ورغبة فى التدمير والتحطيم ... تحطيم قدوة ماضية ووصفها بالضعف
والخيانة ، دون تقديم قدوة جديدة ... ولمثل هذا نقول ان وجدت فى حروفنا
اسِنَّة ورؤوس حراپ توجه لطبول الأذان إن " إسمعوا وعُوا ! " ... فمن
حقنا ان نقول : انتباه لمن صَمَّ آذاننا سنيناً عدداً ، ليسمعنا برهة من الزمن
... وان لعقت من عباراتنا ما هو مُرُّ المذاق او عسير الهضم فلأن الواقع
اقتضى ذلك ، وليس فقط البحث عن دقة التصوير هو الدافع ، ولأننا
اردناك ان تَعى وتَحَبَّرَ ما يدور حولك وأن تَعْمَلَ العقل فى كل شىء وأن
تتعلم من ذلك سبيل الإحتجاج والإعتراف وان تشك وان تتحقق وان تتخيل
وتُخَيِّرَ وتُقَدِّمَ بلا قيود على التفكير ولم نفعل ذلك ابداً لأشياء شخصية
لنا او عليهم وسيقول حارقو البخور وناشدو التوفيق والتسويات فيما
يكون ومالا يكون من حوارى السلطان ذلك دعوة للفرقة والشتات بنفش
الماضى وبلا خشية لعواقبه ، تتبعاً وترصداً للأخطاء والقرارات الحمقى
والممارسات المشبوهة ... فعلى هؤلاء ان يعلموا أن كل ما ذهبنا اليه مسئولية
فردية فيما نراه حقاً وصواباً ولكى نعترف لابد ان نعرف ما ومن مَهْدَ
لجعفر نميرى مثلاً ولأمثاله ، وما ومن ساعد فى تمكينه فى الأرض يفسد
فيها ويقتل ويخرب الزرع والضرع والعقل والبصيرة ... ولأننا بذلك أردنا
لشعبنا ان لا يكون أولئك الذين يعرقون وتسيل دماؤهم فى سبيل التغيير
والتبديل ، حتى اذا ما اكتملت الصورة واستبان الصباح وفَرَ العيرُ ، تركوا
التبصر فى اجابة السؤال ... لماذا التغيير ومن اجل مَنْ ؟ ! ... وجلسوا

على رصيف المتفرجين يَلَوَكُون حسرتهم وسط دخان الشيشة والفليون (١) ...
ولأن أمة لا تستطيع الانتباه ولا تتصف بقابلية التغيير أمة جامدة متحجرة
فانية ...

فلكى تتدارك أمرها لابد لها من معرفة ضرورة الاستمرارية في التغيير
واستيعاب متطلباتها

ان اشتراك بعض الكفاءات السودانية هو الذى جعل جعفر
نميرى يصل الى ما وصل اليه ... وليس ما يجده القارئ هنا انتقاص
من قدراتهم وكفاياتهم ، او نكرانا لما قدموا فى مجال تخصصهم ، ولكنه إنصاف
لهم بانهم خطوا خطوات ما كان ينبغي أن يخطوها ، ولا شك ان الأسى والأسف
والندم يملأ نفوس بعضهم كونهم قد شاركوا فى صنع نميرى بكل تعقيداته و
تركيباته . ولعل ذلك مما جعل د/ منصور خالد يكتب

" ومن بين هذه المخادعات الظن بان ليس هناك ما يحمل علماء السودان ،
بل اهل السودان كلهم على ان لا يكتفوا لرئيسهم الا الحب والعرفان والتمجيد ...
وقد كَرَسَ هذه المخادعات فى نفس الرئيس ملق من بقى من المنافقين وصمت
مَنْ تخلف من الخائرين . ، وكلُّ نفر انتقاء بارادته ولبسوه على ما فيه بإرادتهم
وما كان له ان يحسبهم نماذج لغيرهم . " (٢) ولا يخطف ذلك كثيراً عن مراجعة
النفس ومغالبة صعوبة الاعتراف وعاقبة ما يقود للندم ، ذلك الاحساس الذى
عايشه الاستاذ احمد سليمان الحامى وهو يكتب

" فانا كما ذكرت آنفا اتحمل وزر كثير من الأخطاء التى سودت وجه
الحياة الحزبية فى السودان " (٣)

وسيتعب كثيراً ويعود بلا دليل من يعتبره بعض قول لَكُتَاب سلطة
موسميين ، يظهرون معها ويختفون ... او سَحَّ دموع بلا وفاء لعهد صنع او

(١) الكدوس

(٢) النفق المظلم ص ٦٠٤ د. منصور خالد ..

(٣) مقدمة كتاب " ومشيناها خطى " صفحات من ذكريات شيوعى اهتدى - الاستاذ احمد

سليمان الحامى

نفاقاً لعهد أت ، او بكاء على منصب فُقد أو أمل ضاع ..
ولمثل هؤلاء نقول

إننا (لا نذهب الزمان فى مَماشاة الجهال ، فإن ذلك أمر لا آخر له)^(١)
وإنما هذا ادراك وايمان بأنه عند الكبت والقمع الفكرى تولد اجيال لا تعرف
تباين وجهات النظر بين السلطة والرأى المخالف ولا تعى الا صورة
مشوهة للتاريخ لذا على من يعرف قولاً يحسبه هادياً ان يطرحه ... وإنه يحق
للقارئ أن يمارس حق الشك والتساؤل .. ان يشك ويتساءل وان يسرح
بعقله وخياله ما يشاء ، لذا فقد مددناه بإقتباسات من اقوال وكتابات كثيرة ،
طويلة وقصيرة ، وفق ما تقتضيه ضرورة الإستشهاد وصياغة الأدلة الدامغة
بالاستعانة بما يكتبون وهو الالزم للاثبات ... فمنهم من يخدع العقل بأسلوبه
ومنهم من يستغفل عقول الناس ويستخف بالآخرين

ويقينا أن أقسى ما سيواجه هذا الكتاب هو ان من سيقراونه تغلب
عليهم معرفة مشاكل البلاد وان لم يقفوا على حلولها ... وان من هم فى
حاجة ماسة لما فيه لا يقرأون ، ويفقدون الهمة والطموح المعرفى ، ويؤثرون
العيش بجهلهم كالهمل ، وأن أكثر من قرعنا لهم الأجراس لا تنتبه طبول
آذانهم وغائب عقلهم لسماع ما جاء فيه أو استيعابه ...

ومن ثم

ظننّا بك ايها القارئ أن تبدأ قراءة الكتاب وأنت تستحضر ان
لبعض من لم يذكر مواقفاً وادواراً سلباً وإيجاباً قد يكون هنالك موقف
لأحد غاب عنى ادراكه ويعلمه غيرى وغيرك ... كما عليك ان تلاحظ تركيزنا
على العهد المايوى لطول مدة حكمه مقارنة بغيرها من عهود الحكم فى
السودان ، ولان مظاهر الفساد منها وفيها ، قد شملت وعمّت مجتمعات
الريف والحضر وظهرت قوماً جاءوا من " الفرش الى العرش " فى دنيا
المال وحساب الملايين من بعد ان كان الشراء فى السودان محدود العدد بين
العائلات الطائفية وبعض الأسر العريقة المعروفة فى دنيا التجارة والاعمال

(١) قول ابن العربى فى (العواصم من القواصم)

والتي ابتلعتها اسماء معلومة اليوم كانت مجهولة بالامس القريب ... عاشوا فسادا " يلقفون " ويجمعون ، ولكثرتهم كاد الناس ان يصدقوا بان لا أحد في البلاد قد جمع مالا بالحلال ... ولان خلق موالاة السلطان فيها قد كثر وغلب بين الحزبيين واللامنتمين ، حتى بدأ الامر فى حكم القلة ، ويسير نحو الندرة ، ان يوجد من يستقيم معترضاً على أمر أو سلوك أو ناقداً لقرار ورأى .. لان ذلك صرخة فى فج عميق .. ولا رأى لمن لا يطاع .. ومن قل ذلك ومن أمر قل ... ولعل مثل هؤلاء يلزم راحة الضمير والرضا عن النفس ، وابتغاء الجزاء عند الله ، فرضا الناس غاية لا تدرك .. ويكفيه ان يشار الى انه ليس ممن يشير اليهم عنوان الكتاب باصبع الاتهام فى قضية " اضاعة البلاد " وانه كفيره ممن سجن وعذب وطرد لسبب وطنى أو فكرى يحتسب ذلك مساهمة فى بناء الوطن ، لانه عند تحديد هوية الوطن الحضارية ومسار مدنيته سيعلم يقيناً الى أى موضع اتجهت جهوده حتى وان لقى ربه وهو يسير نحو الهدف ويبدء بذور الإصلاح ... وما اغناه عن حروفنا ان يكون قطرة تتجمع من غيث وطل لتصب فى نهر إنقاذ الوطن ، ولقمة لجائع ينتظر الخلاص ، وحرف اجابة فى بابنا الاخير " من : اين تؤكل الكتف " !!! واعلم انه ليس من الضرورى ان تكون سياسياً أو منضوياً تحت جماعة أو هيئة لشكون احد فصول هذا الكتاب وابوابه ، فقد يكون دورك هدماً للوطن ودفعاً له نحو الهاوية اكبر من اولئك بالفساد والإفساد ، وتيقن انه ليس المهم عندى ان تخرج من آخر صفحات الكتاب مقتنعاً بكل ما فيه ، أو رافضاً لبعضه ، ولكن يهمنى أولاً واخيراً ان يترك فى نفسك أثراً وإجابة لمن هو السبب فى ذلك الضياع لتوجه رأيك وجهدك وتضم يدك لمن يبحثون عن كيفية المخرج بعد التآلف والإلفة والائتلاف لازالة الاسباب وبدء التعمير والبناء ...

ومن بعد ...

(يارب اجعلنى ارى اخطائى قبل ان يراها احد وينبهنى اليها .. فاذا سبقتى احد الى اكتشاف واحد من اغلاطى لا تجعلنى اغضب بل وسع

صدرى حتى احتمل النقد وأعطنى الشجاعة لاعترف باخطائى ، اضئ راسى
بالنور حتى ارى نفسى فى ظلام الغرور ، لا تجعلنى اسد اذنى حتى لا
اسمع النصيحة ولا اغلق عينى حتى لا ارى الراى الآخر ...

يا رب اجعلنى كبيرا فى خصومتى فلا اضرب واقعا على الارض ..
ولا اقاتل من وقع سيفه من يده ولا اهاجم مكمما لا يستطيع الدفاع عن
نفسه ولا اتحدى مقيدا بالسلاسل وادعوه للنزال والقتال ..

يارب بارك فى كل خطواتى اذا كانت فى طريق الحق ولا تبارك فى
خطواتى اذا كانت فى شارع الضلال ، اجعلنى لا اخاف الا انت ولا اهتز
الا لصوت مظلوم ، افكر فى الناس قبل ان افكر فى نفسى ادافع عن
المظلوم كاننى ادافع عن نفسى واقاوم الظالم كانه يظلمنى وحدى ..

يارب ابعد عني الانانية ولا تجعلنى اتصور اننى اذا اكلت فالتاس كلهم
اكلوا واذا جعت فالتاس كلهم جاعوا بل اجعلنى اشارك الناس فى همومهم
ومتاعبهم وعنائهم وعذابهم واحاول ان احتفظ لنفسى وحدى بهومى ومتاعبى
وعنائى وعذابى

يارب علمنى ان المركز لا يدوم لاحد وان الذى يدوم هو العمل الصالح
، علمنى ان احنى راسى امام الضعفاء وارفع راسى امام الاقوياء ..
علمنى ان الذين قطعت رؤوسهم وهم يقولون الحق لا زالوا على قيد
الحياة والذين يخافون من ان يقولوا كلمة الحق يموتون وهم على قيد
الحياة ..

يا رب اعطنى الايمان ليكون درعى اذا حاربت وليكون سدى اذا
قاومت وليكون ساعدى اذا شلت يدى عن الحركة وليكون قلبى اذا جزعت
واعصابى اذا اطربت ونورى اذا اظلمت الدنيا فى وجهى ...

يارب اجعل الناس تغفر لى اذا اخطأت وتصبر على اذا تخاذلت
وترحمنى اذا ضعفت وتطلب لى الرحمة اذا عشت او مت

يا رب اسعدنى برؤية كل الناس سعداء واشعرنى بحريتى عندما ارى
كل الناس احرارا ، ابق نوافذنا مفتوحة ، وقلوبنا مفتوحة ، واحلامنا لبلادنا
بلا حدود ((^(١)

عبد الرحمن محمد حامد

الساعة شهبول (دار حامد شمال كردفان)

(١) فكرة : مصطفى أمين الشرق الاوسط العدد ٤١٩٩ - الاثنين ٤ / ذو القعدة ١٤١٠ هـ -

٢٨ / ٥ / ١٩٩٠ م .

الباب الأول

الشخصية السودانية

(أ) خلفيات :

تكونت الشخصية السودانية كناتج لتلاقح الحضارة الاسلامية والعربية ، والافريقية ، والتقاء العرقين الزنجى والعربى .. واكتسبت مميزاتها وخصائصها ومقوماتها اعتزازا وشعورا محليا ومزاجاً خاصاً وذاتاً مميزة .. ونتج عن تلك الثقافات المتباينة والعناصر البشرية المتعددة مُشكل التوفيق بينها وصعوبة توحيدها مع المحافظة على بيناتها المختلفة وتنوعها الثقافى ، ولم يتسنى للقومية السودانية التصدى للتحديث والبحث والإبداع والانجاز ، مما أبطأ فهمها لمعنى استمرارية الحركة والإنتاج والحرية الفكرية كمقومات حضارية لازمة لبنية الانسان وتتميته روحا وجسداً

وثمة مؤثرات عامة على الشخصية السودانية هي :-

**** أثر الافريقية فى الفنون والاداب والسكن والمائل والحرفة ..**

**** أثر المسيحية فى وجدان العنصر النوبى والقبائل الجنوبية ...**

**** وشكل الاسلام عقيدة الاغلبية مع احتفاظها بالعادات والتقاليد المحلية ..**

وكان الاثر الاكبر للغة العربية ، لغة الدولة الرسمية ولغة الكتابة و العلم .. وهى لغة التخاطب حتى بين قبائل الجنوب مع تعدد لهجاتها المحلية ، بما يعرف " بعربى جوبا "

وقد حافظت الحركات الوطنية ، " المهديّة وجمعية اللواء الابيض ومؤتمر الخريجين " على الشخصية السودانية - من ان ينال منها الغازى والمستعمر مقارنة بما تم فى بعض الامم من إعمال للتزاوج بينهم وبين الغازى ، والمستعمر مما غير تركيبها البشرى وتاريخها الاجتماعى بحكم المصاهرة والمعاشرة والاختلاط كما هو الحال فى جنوب افريقيا ، وقد عمل الوطنيون فى الخمسينات وبعدها على إنكاء الوعى السياسى وحاولوا بلورة الشخصية

القومية السودانية بأبعادها الوطنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، غير ان عامل الحرب فى الجنوب قبل وبعد اعلان الاستقلال ، والتدخل العسكرى وصراع الوطنيين ضده لتأكيد سيادة الامة وتمكين ارادتها ، لم يترك مجالاً لمعالم الاصاله القومية ان تستبين ومع تكرار دورة (الديمقراطية-العسكرية) فى حكم السودان لم تتمى الشخصية السودانية قيم الاعتزاز بالذات والتاريخ والاصالة ولم تستيقن ما يتطلبه التنوع العرقى والثقافى من سماحة دينية تستوعب كل الاديان وفق ثقلها المكانى تشريعياً ، ولم تحظ بإرادة حاكمة صادقة شجاعة شورية توازن بين العطاء والإيثار ، ولا تميل او تنجح للتطرف والعنف والإخضاع .. تعلم وتربى الجيل بهضم ثقافته قبل ثقافة غيره حتى لا تفسد نشأته وتربيته وتعليمه وألفاظه ويتبعها عقله وتفكيره فيصير مظهرها بلا جوهر ... ويحسها وجوداً وهيبة ومثالاً وقوة حسنة وانموذجاً رفيعاً ، ويدركها معنى ذهنياً يبعده عن الغربة والغيبة والضياع ، ويملاً نفسه بحوافز الفعل والعمل الطيب المثمر

لكل ذلك فقد وجدت الشخصية السودانية نفسها ذات مميزات متنوعة فيها معنى الغنى والشمين ، يختلط فيها المظهر بالجوهر ... تقع بين الاصيل والمكتسب ، وكل بلا توازن او توافق وبين كل افراط وتفريط ... وبقيت كلها الا ان بعضها عاد معنى يحتفظ به للإفتخار وعظامية الابطال وبالرغم من ان البعض يروق له ان يصف الشعب ، بنفاقاً وتعصباً او استجداء لصوت او طلباً لاتباع أو تأييد ، بما ليس فيه او بما كان وعفا عليه الزمن ، الا اننا لا نستحي ان نقول كلمة حق تعرض الحال كما هو وان وجدت مرة لا يطيق الكثيرون إبتلاعها ، ويفضل اكثرية الآخرين بان توضع فى " كبسولة " او تحاط بمذاق حلو قبل تقديمها للابتلاع وان لم يكن ذلك فتلف فى " طرقة كسرة " ويتبعها جرعة ماء .. ونصير على عرضها مهما كانت الصورة قائمة أو واضحة لان حتمية المواجهة تتطلب الشجاعة ، وبراعة ونجاح المعالجة تتطلب دقة التشخيص والوقوف على حقيقة المرض ومن بعد الجراحة ان لم تجد جرعة الدواء ...

(ب) اجتماعيات

تمثل الشخصية السودانية مثلاً أعلى لقيمة التكافل الأسرى والتراحم والتعاون والبر بالقربى والعشيرة والجيرة . وإغاثة الملهوف وحب وتقدير الغريب وتقريبه ورعاية الصغير والفقير ومساعدة المحتاج واحترام الكبير وتقديم يد العون والمساعدة للعاجز والضعيف^(١)

يظهر أثر ذلك فى حياتهم اليومية ، بما فى ذلك انسان القرية والمدينة تجسده أكثر مسئولية المغتربين نحو ذويهم ومائراً عليهم من تغيير فى أسلوب حياتهم أو تقديم ما يقوِّهم على مواجهة تكاليف معيشتهم الدنيوية والدينية^(٢) . غير أن تلك الفضيلة والتقليد الحميد تشوبه عند البعض العادات الاستهلاكية والمظهرية الضارة ، والتبذير والخلط بين معنى الاقتصاد

** (١) الرِّجَالَة : مصطلح اجتماعى يختلف فى مفهومه عند أهل السودان عن دلائل كلمات الرِّجُولَة والفَحُولَة والجنس. وإن له معنى متداخلاً متشابكاً لا تعلمه من الكتابة والقراءة مهما اجتهدت وراء ذلك بقدر ما تستبين معناه إن كنت سودانياً ، وتتجسّد معناه رقيقاً إذا عشت بالسودان أو عاشت وعاشت سودانياً (داخلتهم) تتجمع فيه إغاثة الملهوف وسرعة النجدة والفزع والإغاثة وإزالة الضيم والترفع عن الظلم والصبر على المعاناة وقوة التحمل فى مقابلة النوائب مهما كان الحال وفى كل الأحوال ... ويكون موضع المال فيه بين أمثالهم (القَرش الأبيض لليوم الأسود - الجأت فى مالك سامحك - وأدين عشان تتبين) وبين (نعماً المال الصالح عند المرء الصالح) ، ويحمل من الصفات الاجتماعية " أخو إخوان - وجمال شيل - وعشائى ضيفان ، ورجل حارة ، ومسأخ دموع ، وعشأ البايئات ، وعايزاك يا على الفات الحدود واسية) ... ويكفى أن يقول لكل أحدهم أعجاباً (دا راجل جَدّ أو تَمَامْ و راجل مُنكَرْ و حِمَشْ) لتجد فيه نهراً من الصفات الاجتماعية المحببة غير تحديد النوع والجنس ... ويزيد بعضهم فيصف الانثى التى تطبق عليها صفات الرجالة و يقول (دى مره راجلة) ... وعكسه تماماً عندما يعبر السودانى خيبة أمله الكبيرة فى ذكر أو انثى فيقول : (دا راجل إضينة و غشيم و عديم رجا أو دى مره خملّة و خائية) ... ويبقى أن نذكر قولنا فى البداية أن للرجالّة معنى يتضح بالانتماء والمعايشة أكثر من البيان والتبين

** (١) ذكر عم طريق أعجب بما يقوم به بعض المغتربين من دفع لتكاليف الحج لأقاربهم (الحمد لله فى هذا الزمن يناديك المنادى ويرسل لك الريالات) ...

فى المعيشة والكرم . حيث يكون الفارق شفافاً كما هو بين الشجاعة والاقدام والحماسة والتهور ... فاصلاً رقيقاً لا يدركه الكثيرون فى ممارستهم لفضيلة الكرم السودانى الاصيل ... وتعتبر الالتزامات الاجتماعية والعائلية واجباً حتى عند العدم ، مما يخلق المعاناة وصعوبة الإيفاء .. فهى عبء يجب الالتزام بحمله لانه عرف مجتمع لا يمكن الإفلات منه او إهماله ... واللمسة الانسانية السمة فى العيش الجماعى فى القرية والريف وبين العائلة والعشيرة ، والمفقودة بين كثير من شعوب العالم ،^(١) لا موازنة فيها عندنا بين الحياة الفردية الخاصة ومسئولية الحياة الجماعية فكثيرا ما تطفى احدهما على الاخرى مما يحتم ارتهان المجتمع لعاطفية التفكير

وتعتبر الشخصية السودانية عشائرية ، تميل للقبيلة والعشيرة اكثر من فهمها لرحابة الوطن الواسع ، تقبل انصاف الحلول والترضيات وتلتزم عقلية العشائر فى التخاصم والمصالحة^(٢) .. ترهن نفسها لصفات وقيم التسامح الموروثة والتى صارت قيما اجتماعيا لا يمكن الفكك منه حتى فى تقرير القضايا المصيرية فى حياتها مما اتاح فهما قاصرا ، كأن يفهمها الآخرون سلبية وغفلة يمكن الاختراق منها و استغلالها

فايواء اللاجئين بالرغم من معناه الإنسانى الراقى وبالرغم من انه حقيقة جغرافية اقتضتها ظروف الجوار او الحدود الممتدة ، إلا انها وعن طريق قيمة الكرم والتسامح وحسن الضيافة ومشاركة الغير لدرجة الضرر بالنفس

(٢) يفسرها الآخرون اقتصادياً .. .

" إن استمرار ذوى الانتاجية الزراعية المدعومة على العيش يفسر الطبيعة العائلية والجماعية للاستغلالات الزراعية فافراد العائلات ، ياكلون فى نفس القدر ، فالذى ليس له انتاجية ياكل من انتاجية فائضة للأفراد المنتجين ونتيجة لهذا الظرف لا يمكن أن يحدث إبدار ، ومن ثم لا استثمار لأن كل ما ينتج يؤكل " .. .

نيركس (مشاكل تكوين رأس المال) ، مطبعة أوكسفورد ١٩٥٢ ، استثمار العمل فى التنمية ... مجلة الوحدة العدد ٦٩ يونيو ١٩٩٠ م د/ محى الدين ناصر اللبان

(٣) الجودية ، ومجالس الأجاويد هى مؤتمرات صلح وإصلاح بين الأفراد والعشائر ، يعرفها المجتمع السودانى ويحترم قراراتها ومواثيقها إيماناً بأن الصلح سيد الأحكام ..

والوطن ، نتج عنها خطر كبير على الشخصية السودانية وسبل كسب عيشها ومعيشتها وسلامة وطنها وغزو عاداته وتقاليده واعرافه واخلاقياته وتركيبته البشرية سواء كان ذلك بالاستيطان ، او محاولات السياسيين الحزبيين بمنح اللاجئين الجنسية السودانية لكسب الانتخابات ... او كونه محطة مرحلية في طريق الهجرة يتم الانطلاق منها للشرق او الغرب وتعرف الشخصية السودانية لفضيلة الصبر مستويين . على المستوى الفردى تكون سريعة الانفعال وردود الافعال ، وربما مرت بك تجربة فى شوارع المدينة وقيادة السيارات حيث تكثر سرعة الاوصاف بالحيوانية فى سلوك طارئ ، وسرعان ما يكون هدوء الثورة والانفعال بالاعتذار وتهدة الخواطر بفعل كلمة " معليش " ... ويظهر صبرها على المستوى الجماعى فى قوة التحمل الكبيرة فى مواجهة مرحلة انعدام الحاجيات المعيشية اليومية وبدرجات متفاوتة ولازمان تطول وتقصر ... كما يظهر بصورة اكثر وضوحا فى الصبر والاحتمال الشديد لممارسات الحكام ، فهى تعلم مواطن الامور وتصبر ترقبا لتحسن الحال ولا تتعامل هنا بردود الافعال .. تعطى الفرصة وتراقب .. لدرجة يصفها البعض بالبلادة والتجاهل .. ثم تتفجر ثورة عنيفة بمقدار صبرها ، ولكنها تعاود الصبر من جديد . وتكمن خطورة هذه الدائرة (صبر ، انفجار ، صبر) اذا سبق مرحلة الصبر يقينا وترغباً لتغير الحال ، وتوقع الحال ثم لم يكن ذلك فعندئذ يكون الاحباط

ولا يهتم اهل السودان بعنصر الزمن فى العمل والانتاج ، ولكنهم يهتمون به كثيرا عندما ينفذ صبرهم الطويل ويعتبرون دقائق الانتظار سنيناً عندما يستعجلون الإنجاز والإنفراج المعيشى او التغيير السياسى والتفويض الشعبى ، وتحقيق مفهوم التسامح والإجماع رغبة فى المصالحة وبداية الاصلاح ، مما يوقعهم دائما ومنذ الحركة الاستقلالية فى شباك الطائفية والتي اصبحت منهجاً و اسلوباً للحكم ، لا يسيطر على الزعامة والرئاسة والوزارة ، بلا اختيار وكفاية فحسب ، ولا تحده وتحرسه مزاجية وسلوك السادة وحقهم فى الإرث السلطوى ولكنها تركزت كقناعة للقاعدة الشعبية ذات الاستعداد الفطرى للتأييد لدرجة الاصرار والتعصب الأعمى ، مهما

تكررت التجارب الحزبية وتباعد او تقارب زمنها . وتمكّن منها داء
" الحنين الى الماضى " العضال ، لأنها سرعان ما تميل وتلين امام عاطفية
المواقف والاستجداء والاغراء والوعود الجوفاء ... لا تعرف قيمة للزمن ، لا حساباً
ولا اطلاقاً او استتارة وسيجد من يحاول التغيير ان اكبر معضلة امامه
هى صعوبة انفكاكها عن ماضى تاريخها السياسى وتاييدها العاطفى وولائها
التعصبى .. لدرجة يجعل البعض يعد ذلك من الاستحالة بمكان بعيد قد يصل
للعدم ...

كما تتجاهل الشخصية السودانية الاحساس بالزمن لدرجة يدمن فيها البعض
البُعد عن القراءة والإطلاع واحترام المواعيد^(١) وبالرغم من ذلك فهى شخصية
ناقدة لاذعة بجهل وغرور قال يوماً رفيق دراستى مازحاً ، بينما كنت
اكتب " انا اعارضك فى كل ما ذكرت " وهو لا يدري ماذا اكتب ولكنه يقصد
ان يقول " لمن تقرر الاجراس .. لن تجد من يقرأه ولكنك تجد من ينتقده دون
الإطلاع عليه ، ويعيبه وان لم يسمع عنه او يناقشه مع من قرأه لأن الكثيرين من
متعلمى اليوم وجّهته يجعل مقام الكتاب سكناً بين القماطر وخزائن الكتب ، وزينة
مظهرية تماثل ولا تتعدى مكانة " حافلة " الاوانى المنزلية عند ربّات البيوت وهى
نظرة قاسية تظلم البعض القليل بالرغم من ما تحمل من واقعية وبالرغم من
القبولة المتداولة والتي تجرح وتشفى وتمدح وتذم واقع المثقف السودانى (يؤلف
الكتاب فى القاهرة ، ويطلع فى بيروت ، ويقرأ فى الخرطوم) ، أى يَطْلُعُ من
يَطْلُعُ ويقرأ تلقياً .. لا يكتب ولا يبدع ولا يساهم بثقافته فى بناء ثقافة الآخرين
.. ان ذلك فقط مدح بما يشبه الذم ...

لقد قال موسى ديان يوماً لقومه من اليهود وقد لاموه على بعض
تصريحات تكشف عن اطماعهم وتطلعاتهم وقد خشوا ان يقرأها العرب
ويكشفوا خطتهم " اطمئنوناً فان العرب لا يقرأون .. "

(١) من النواير الإجتماعية الدالة على ظاهرة خلف المواعيد وتجاهلها ان احداً طلب من
صديقه ان ينتظره فى المكان المحدد حتى الساعة السابعة ، فما كان من الآخر إلا ان قال وبكل
جدية وتحذير .. سانتظرك حتى الثامنة ، فإن لم تحضر حتى التاسعة فإنى ساذهب فى العاشرة ..

وباهل السودان عمق للتدين الفطرى يبدأ من انعدام العقلية التبريرية للفعل عند السوداني المتدين فى ارتكاب المعاصى ، فهو يفعل الحرام ولكن لا ينكر حرمة ... تجد مثلاً من يضع الخمر بجانبه ويرقد إنتظاراً لدخول وقت صلاة العشاء ليصلى ثم يبدأ سهرته ... ومن ينتهى تدينه عند بداية العزم على تطبيق القوانين الشرعية والتي تلقى معارضة مثل هؤلاء المسلمين الذين يعتبرون ان حياتهم الخاصة ملك لهم وانهم يمارسون سلوكاً يعرفون حرمة فى الشرع ولا ينكرونها ولكنهم يتذرعون ... بانه " غفور رحيم " وتكثر فى عباراتهم تعبيرات التوكل والرضا بالقضاء والقدر والايمان والقناعة ، ولكن تتفصل ممارساتهم بعيداً عن اطار " افعل ولا تفعل " فى الشرع ... امثال هؤلاء قد يملكون الجراة على التصويت سرا ضد قوانين الشريعة فى داخل الاحزاب او فى استفتاء شعبى عام ولكنهم لا يستطيعون اعلان ذلك جهراً امام قواعدهم الشعبية او وسائل الاعلام المختلفة وان علمه منهم وعنهم الاصدقاء ... وهنا يكمن الخطر فى التناقض بين الشعار والممارسة ، والفكرة والتطبيق ، وبين اجازة التقنين وإنفاذه والالتزام به

خاصية التدين المظهرى هذه ، وعدم الاحساس باهمية الزمن وطبيعة المواعيد التسوية ، جميعها جعلت بعض الشعوب تكتب عنا مستهزاة بوصفنا شعب (اى - نى - ام) " انشاء الله - بكرة - معلش " علما بان هذه الحروف الإنجليزية ترمز لأحد نظم الكمبيوتر (الحاسب الالىكترونى) بينما ترمز الكلمات عندهم لطبيعة الشخصية السودانية كما طرحت نفسها امام شعوب العالم متدنية اتكالية قدرية من دون ان تعقل ناقثها او تستجيب لدينها ، تسوية كسولة لا تهتم بعامل الزمن ، توفيقية تخطئ وتستجيب لتهدأة الخواطر والسودانى فى داخل وطنه لا يحترم قيمة العمل ^(١) ، وغير منتج مقارنة

(١) يقول بعض المختصين بان الانجليز قد تركوا خدمة مدنية متميزة فى السودان الا ان خاصية (عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب) والتي بدأت عند السودنة هى التى بدأت تدهور الخدمة المدنية فى الجنوب والشمال ووقع معها الظلم الوظيفى فى تهيئة الفرص وتوزيعها ثم انفرط العقد حتى الدمار والانهيـار

بإنتاج الشعوب الأخرى أو بما ينجزه السوداني المهاجر أو المغترب في نفس مجال العمل ، حتى صارت الخدمة المدنية في السودان هي الثقل الذي يقعد بالبلاد دون الطفرة في العمل و الانجاز في التنمية !!! و صارت الديوانية والبروقراطية في السودان تعنى انتظار المعاش و البحث عن المنفعة الذاتية والمصلحة الشخصية و يستعان على ذلك بالشللية ، مما أدى لظاهرة الانتقام والترصد و التخلص من المنافس و التعاطف و الاستهجان و المؤازرة بتأخير العمل و تعطيله نجد ذلك في كل تجارب التطهير التي تمارسها جهات المسئولية في الخدمة والعمل و الإصلاح الإداري بإرادة الحزب أو النظام أو التنظيم، في كل العهود العسكرية و التعددية الحزبية ، لأن معايير الفصل من الخدمة (الفساد و التعريق و القصور الإداري) كثيراً ما تخطط مع رغبة الخلاص من الطابور الخامس و المعارضين ... علما بأن فقدان الرغبة في العمل قد تنتج أحياناً عن أداء عمل بلا اختيار لطبيعته ، أو ممارسته تحت ضغط الحاجة والإضطراب أو لظروف عدم التمكن من الإغتراب و الهجرة أو عدم الحصول على البديل في الداخل ... والتسبب حيناً له ما يبرره من بحث لزيادة الدخل لأن ضعف المرتب لا يتناسب و ثقل ' قفّة الخُصار ' وإيجار المنزل

و ببعض في مجتمع السودان حب لتقليد الغير في السلوك الاجتماعي حتى مرحلة دخول جُحْرِ الضَبِّ .. و يرجع ذلك الى ان البعض قد عاش بعضاً من أيام عمره في ديار الغرب في بعثة تعليمية أو لمهمة تجارية أو سياحة في الأرض وترف و متعة ، فتأثر ثم رجع وقلّد وتبعه (مُقلّد المُقلّدين) في مستلزمات الأثاث و التأسيس وطبيعة إستهلاك الطعام ، نوعه و اختيار أوانيّه وطريقة تقديمه في الأفراح و المآتم ... و زاد ذلك أثر الإغتراب وكثرة طبقة المليونيرات بعد عهود الفساد المالي و سلطتها ، مما جعل البعض يَفْشِ أسواق باريس و لندن و القاهرة و دول البترول يتصيد ما جَدَّ من أثاث للمنازل و المكاتب و المستلزمات الإجتماعية الأسرية الضرورية و المظهرية الكمالية ... و توصّل ديناميكا التأثير و التأثر الحضارى لمثل هذه الظاهرة حيث ان (المغلوب يقلد

الغالب فى عاداته و تقاليده) (١) وقد استعمرنا الانجليز و الاتراك و المصريون تاريخياً بعد المعارك الحربية و عمت مثقفينا الانهزامية الفكرية و الإنبهار الحضارى بالغرب حتى مرحلة " الاناقة " (٢) و غلبنا البترول بدولاره و تغيير حال دياره ...

و بالرغم من الثروة الشعبية المقدرة فى التراث الشعبى و ما فيه من صناعات يدوية محلية الا ان مجتمع السودان أهمل تطويرها و ابتعد عن الابتكار فى مجالها . و فضل فى كل ذلك ان يكون صدى لغيره ... و يستعين فيما يحاول تطويره و تصيله بغيره ، حتى وان كان ذلك مجال توجيه مسار موسيقاه و صناعاته الشعبية ، مما يغير من نكهتها المحلية و يغير طعم مذاقها و تذوقها و يقلل من شهية الإقبال عليها ... و مادرى القوم ان الثقافة الخاصة و الصفة المميزة للمنتوجات الشعبية و المعارض الفلكلورية و المهرجانات الادبية و طبيعة وسيلة الاعلام و المجلة و الصحيفة ... هى وسائل توحى بالشخصية المعنية المحددة للآخرين ، و تجبرهم على معرفتها و احترامها و الإعتراف بقيمتها و البحث عن اثرها و تأثيرها فى حضارة الإنسان و تاريخ مدنيته

و ساعد على وضوح هذه الصورة التنوع الثقافى و التعدد البيئى ، الذى جعل منه مجتمع السودان عاملاً للتضاد و التضارب السياسى و من ثم الفرقة و التفرقة ، و كان من المؤمل ان يكون عاملاً للتنوع و تعدد الانتاج فى كل مجال مما جعل البعض فى الشمال و الجنوب منفصلاً عن ذاته اجتماعياً ما ان يجذب ثوبه ليغطي راسه حتى تتكشف قدماه الجنوبى فى علاقاته الاجتماعية و اسلوبه المعيشى افريقياً داخل مسكنه بيد أنه غربى السلوك مظهرأً و تحدثأً ، و الشمالى يدعى الاصاله السودانية و الانتماء الإسلامى العربى و تكوينه الداخلى غربى يلتصق بمظاهر الحضارة الغربية

(١) ابن خلدون

(٢) مرحلة الاعتزاز و القناعة و التفوق على ظاهرة الخوف من التعبير عن الحال كما هو ، أى

مرحلة (نعم نحن هكذا ولا يهم ما يقوله عنا الغير) ... و هى ظاهرة ثقافية حضارية

ويعايشها اكثر من الجنوبى ... يهاجر اليها ويقضى اجازته فى ديارها ومظهر مسكنه اقرب إليها .. إنها محنة الانتماء وهجرة البحث عن الذات فى غيبة الوعي وانبهاره

وتمتاز الشخصية السودانية بحب إستطلاع جارف لمعرفة اخبار الغير وطبيعة حياته .. حتى إن اوردها ذلك الهلاك وعرضها للمخاطر ، مما جعلها تفهم كثيرا فى شئون العالم السياسية وحياة مجتمعاته لدرجة تذهل بعض الشعوب التى لا تحتوى مقرراتها الدراسية على جغرافية وتاريخ الشعوب الاخرى^(١) ، ... ويمتد مدى حب الاستطلاع هذا عند البعض ليصل مرحلة " خَشْر الأنف " وادخاله فى شئون الاخرين حتى الخاص منها .. ويزيد لمرحلة المتابعة والترصد والتحدث عن قول الغير وافعاله لدرجة تلهى البعض عن عيوب النفس وامراضها وبالرغم من ما توفره هذه الخاصية من جمع للمعلومات وتمكّن منها ومن توزيعها بين الاخرين ، الا ان شخصية السودانى تقف مزجورة بطبيعة تركيبها الشخصى الداخلى فتتنمّع عن بذل المعلومات والادلاء بها شهادة لادانة فاسد او تعزيز تهمة ضده ، بالرغم من معرفتها التامة حتى لادق تفاصيل حياته وعمله ...

و ثالثة الاثافي

بالرغم من ان بعض الشعوب قد افسدها المستعمر والغزو الاجنبى حتى درجة تغيير تركيبتها البشرية ، الا ان ذلك لم يحدث فى السودان لان السودانى كان يحترم العفة والشرف ، والعزة والكرامة ، ولا يساوم فيها بالرغم من معاقرة للخمر البلدية لا من اجل الشرب وانما حتى مرحلة الثمالة ، وبالرغم من وجود الخمارات وبيوت الرذيلة كحى معلوم مميّز فى كل مدينة وشبه مدينة ... كان ذلك فى ايام خاليات وكان ولازال امر الزنا كجريمة اجتماعية ، تحمله الانثى فى السودان باعتبارها ساقطاً هابطاً بفعله ، والذكر الشريك ذنبه ، مغفور لا ينال رضا المجتمع ولكنه يسكت ويميل عنه بصره ... وصارت الرذيلة اليوم سراً دفيناً لا يستبينه الا

(١) يجمعها الكثيرون من الاستماع للاذاعات الخارجية ولقطة المجالس ...

العاملون فى الترحيل والتسفير وفن .. التعاقد والتهجير .. من الاجانب والوطنيين ، ويعلم ذلك جيداً من يعمل فى مجال الأمن والمباحث وذوى العلاقة بالطيران والبحار والاسفار ، مما أضطر بعض ولاية الامور للاكل مما لا يعلم مصدره .. ويرى من تقع عليه مسئولية يلبس ما لا يتساوى ودخله ودخل ولى الامر ويصمت ... ولم يعد (تموت الحرّة ولا تأكل بشديّها) ... تلك الحرّة هى المرأة السودانية التى تفجرت من قبل فى الريف والمدائن والبادى طاقة وعِفّة وحركة ومشاركة وعملاً فى خارج المنزل ، ورعاية وتنشئة وأمومة فى داخله .. فهل يستوى المصيران ؟ ! ... وانتشرت ظاهرة تعاطى المخدرات بين الشباب ، طاقة الإنتاج وامل الغد من كل ما يحقن او يُشَمّ (١) ... ما يُلْع أو يُدَخّن ... وكلها ادوات دمار ، وتدمير بتعطيل انتاج او إفشاء امراض ... ولكن الخطر الاكبر عندنا هو تعاطى الحشيش (البنّقو) . لان هذا ينتج محليا ، بزراعتة فى غرب جنوب دارفور ومناطق الجنوب ، ومناطق النيل الازرق الدمازين ومنطقة جنوب القضايف .. ويكفى ان تنظر لعيون شباب القرى بتلك المناطق او بصمات أصابعهم لتعرف الأثر وتتبين الانتشار .. مثلهم مثل مرتادى الأركان المظلمة فى الاحياء المختلفة ، وشواطئ النيل ، وحدائقه ورحله من شباب المدن وبعض الارياف البعيدة عن اماكن الانتاج ... ذكورا وإناثا ويصحبهم احيانا بعض الرواد الكبار تلك مناطق إلتِمّاس فى تركيبة الفرد السودانى يعتبرها البعض مناطق " تَابُو " ممنوع اليها ومنها العبور ، او المرور او الاقتراب او التصوير ... ولكننا فضّلنا صراحة التعبير لاننا نخشى ان يزيد الامر ويستفحل الداء فيتعدى درجة الانحراف لمرحلة الانفلات ، ويومئذ سيكون من الصعب على من يهيمه الامر التمكن من الإحاطة والتسوير ، وتنتشر العدوى وتعم البلوى لاننا نعرف معنى الطهارة واهميتها ... مكانا وبدناً وثياباً ... ومع ذلك نتفوط ونتبول وقوفاً بجانب اسوار

(١) جاء فى تصريح لوزيرة الشؤون الاجتماعية فى الحزبية الثالثة رشيدة عبد الكريم (أمة) ..

* أن ٣٠٪ من طلبة المدارس والشباب يتعاطون المخدرات

المنازل والمساجد والاماكن العامة ، ووسط الطرقات ، ولا نمسك بأيدينا
اباريق الاستتجاء والاستبراء ، وكثيراً ما نجهل ونتجاهل معنى الحياء
والاستحياء ... ونعتبره كأنه ليس من الإيمان

(ج) سياسيات

لم يسبق تطبيق الديمقراطية الليبرالية فى مجتمع السودان محاولة
لتطويرها مع خصائص شخصيته ، وملامح مجتمعها وتكوينها الحضارى
والبيئى وطبيعة سلوكها الاجتماعى ... وقد القى البعض اللائمة على من
قادوا دنيا السياسة بعد الإستقلال ، بأن الامر لم يكن لديهم قضية تبعية
سياسية او ضعف فى الحماس الوطنى بقدر ما هو انعدام للبعد الفكرى
لفهم شروط نهضة شعب بدون الأخذ بقيمه وتاريخه

ان الدمج بين قيمة الاصاله فى شعب وبين مقتضيات العصر هى
ضمان البقاء للأنظمة وتمكنها فى نفوس الجماهير بقدر اكبر مما يفعله
الإنجاز المادى مع الاكراه ، او الشورى السلبية التى لا نجد فيها أثراً لقناعة
الشعب بالمشاركة والإختيار وممارسة حقه فى إبداء الرأى وامكانية التغيير
... وإلا فان أى سلطة او حكومة تظل فى ذهن الشعب غير شرعية ...
ويستمر بحثه عن ضالته الحرية ويكون الامر اكثر تعقيدا عند أمة
تتناول السياسة بالفطرة والمبالغة والإثارة والإشاعة والولاء التعصبى وملأ
للفراغ وتعتبرها مدخلاً للمغالطات والخصومات السياسية الشخصية دون
الوطن ، ويندر بينها من يتناولها بالعلم والكفاية والمقدرة والحس الوطنى
الصادق ويكثر بينها تاريخ الحاكم الجاهل لواقع تاريخها الاجتماعى معاشة
مما يجعل رجل الشارع السودانى المحكوم يفوقه وعياً اجتماعياً بواقعه ، ولعل
ذلك هو السرفى ان ارادة شعب السودان فى الثورة والتغيير ليس مشروطا
ان تسبقها توعية ضد فكرة استحالة التغيير ووضع الامل لامكانياتها .. فى
رجب ١٩٨٥م تجاهل الشعب تماماً الإجابة على سؤال ما هو البديل ؟ ! تماماً
كما علم خيبة امله من ظن نزاهة جعفر نميرى شخصيا ورمى بالجريرة

فى الفساد لمن حوله ولكنه يعاب بأنه شعب وجَدَانِيّ، عاطفى السياسة ، كثير النسيان ، ومَلُولٌ ومُحِبٌّ للتغيير .. وهو لا يصبر على معاناة التغيير التدريجى ، ولا يقبل متطلبات التغيير الثورى ويصبح ويمسى مطالباً مستعجلاً للإصلاح ، ولا يصبر على متطلبات عدالته ، ولا يتحمل تبعات سرعة إنفاذه لأن التكوين الشخصى للسودانى كما سلف ذكره ، يمنعه من الإدلاء بالمعلومات ، وتقديم الشهادة والمستندات التى يمكن ان تدين غيره من الفاسدين ، وتعزز موقف من يحاول رد حقوق الشعب منه ... (١) انها شخصية معقدة صعبة الإرضاء السياسى ، لذا تكمن المعاناة فى قيادتها ، ومن يتقدم لذلك عليه ان يكون زاده صبراً طويلاً ، ومعاناة اطول ، وقسوة ونكران فضل اثره وانانيته .. وتحطيماً وهدماً يلقاهما ، ممن لا يعمل ويسوءه ان يعمل الاخرون

هذه التركيبة السياسية المعقدة جعلت البعض يصف الشخصية السودانية بأنها منافقة ومتملقة ، وعاطفية تعجبها العقلية الادارية الانجليزية ، وبطولة الخريجين الاوائل لذا تقف مع الديمقراطية ، وسرعان ما تفقد امل الخير والبناء فيها فتتشنش فرحة الإخلاص والخلاص وامل الإنقاذ فى العسكر .. البعض مع كل حكومة ... والبعض ضد كل تغيير ، وهناك مختارون ، وقليل من يتبصر طريقه وسط هؤلاء ليسير ...

فلاعجب ان تقدم لحكم شعب مثل هذا سياسيون فهلويون سمعيون سطحيون ، يجهلون تماماً ويغيب عنهم دائماً الثابت والمتطور فى دنيا مَسَايِسَةِ الشعوب ، وفاقد الشيء لا يعطيه ... تملأهم الطبيعة التأميرية فى السباسة ، وتخطى الرقاب ، ويعرفون " التخريم " فى الوصول للهدف ويجيدون

(١) وسرعان ما يتعاطف معه بعد محاكمته ، بل يستنكر دائماً ويستهن ما يمارسه البعض من كتابة وحديث بعد حكم القضاء والعدالة على المحكوم ، حتى وان كان ذلك حقيقة ولا يحمل اى مهاترات ، خاصة ان كان الحكم اعداماً حيث تبلغ به الحساسية وشفافية العاطفة حداً يغلف به خوفه من أن يفقد الكلام الى إثارة الاحقاد والكراهية والنعرات القبلية عند من يقدم الولاء للدم على الولاء للوطن

فن اللف والدوران والمرواغة فى الوصول لبروج السلطة ... ولا ينتظرون ولا يرغبون ولا يصبرون على نضوج نظرية الحكم والإتفاق على البرامج ، حتى وإن كان دورهم فقط حضور الجلسات ورفع الأصابع إذا رفعها الأمير يحزنهم أن تؤول فرصة القيادة للشباب حسب الكفايات ويصفقون رضاءً عند تقريب الأقارب والأصدقاء والمحاسيب

ان عهد السلطة المطلقة ، والممارسة الحزبية وصحافتها أورثت الصدور الحقد والكراهية وركزت النعرات العنصرية ... فقد كان الناس " يتراشقون " بالكلمات المازحة الجارحة الشافية تحت اقية البرلمان ، وبين أعمدة الصحف ثم يشاركون بعضهم وجبة الغداء وفنجان الشاي فى فترات الراحة والاستجمام ... ويتداول الناس حديثهم ضحكاً وتسلياً وهم يعلمون او لا يعلمون أنها قد أدت الغرض السياسى منها عند من اطلقها او دونها . واليوم بات الناس يعارضون " بالكاراثيه " والكلاشنيكوف ، ولا يحصد الناس الا خراباً ودماراً ، يحصدون رخيص العبارات والقول ، وتنن العورات الشخصية ، كما كان الحال فى اذاعة التمرد وبعض مضمون صحف الأحزاب والافراد فى الديمقراطية الثالثة

وتفشيت الوساطات والمحسوبيات والشللية ، وعم الإحباط بقيادة الأضعف للأكفأ الاقوى ، وضاعت معانى التشريف والتكريم ليجدها من لا يستحق ليموت حافز الاجتهاد والعمل عند الآخرين ... يوم قوانين الشريعة طلب ولاه الأمر الطهارة والإلتزام ، بينما ظلوا قيادة فاسدة تغيب عنها الحالة النفسية ودرجة الإحباط التى يمكن ان يلقاها مواطن كان يعتقد طهارة القيادة فإذا هى خلاف ما يظنه بها ... عندها يتزعزع ايمانه بالقُدوة والمثال ، ويفقد الثقة فيها وبغيرها مهما كان نوعها ، بإعتقاده (إنْ أُمَّ الكلب بَعَشُوم)^(١) مما يعقّد امر الحكم ويصعب اعادة الثقة فى السلطان ...

ان النفاق الاجتماعى والسياسى الذى تربت عليه هذه الاجيال سيمكث أثره لعدة سنين فى ممارسة السلطة والحكم تزييفاً وتحريفاً ، وجرياً وراء

(١) حيوان برى شدي ذو ناب ، يعيش متوحشاً فى بيئته ، وبه شبه كامل للكلب ...

فاسد المال رشوة وكسباً ... وسيكون طلب المنفعة الشخصية وتأمين الحال
فى كل الصفوف مهما تنوعت أسماؤها وحدات أساسية وتجمعات حزبية أو
لجان شعبية .. لان بعض العائلات بدأت توزع اعضاءها على عهود الحكم
المختلفة وعلى الاحزاب والمنظمات ، واجهزة الأمن ومواقع تقديم الخدمات
للمحافظة على استمرارية كيانها ، وحفظ حقوقها المعيشية والامنية . وتوفر
بعضهم لقدامى الازمان والحكومات

ان عُشَق الشخصية السودانية وحبّها للحرية جعلها ثوقراً من ينادى
بها ، وافسحت له مكاناً فى وجدانها وعاطفتها ، وتعصبت لتأييده حتى
اصيبت بالعمى السياسى باعتقادها الديمقراطية ممارسة بالكلام والنقد والكتابة
... ولم تدرك ان الديمقراطية عمل وتقييم لحزب البرامج والاهداف ، لتحقيق
العدالة الاجتماعية والاستجابة لارادة الجماهير الاصيلية ، ومن غير ان تعى ان
الوعى بضرورة الديمقراطية يمر عبر الوعى باصول الاستبداد والإستغلال
ومركزاتهما.... ولم تح بعد أن مبدأ الإنتخاب يتيح تبادل السلطة ويُعين
السلطة على تنفيذ أهداف القوة الفائزة ، حتى لا يصبح البقاء فى السلطة
هدفاً تُسخر من أجله مؤسسات الدولة وإمكاناتها

(د) تشوهات

ما الذى طرأ على ملامح وصفات الشخصية السودانية ، وحولها عن
قيمتها الاصولية الثابتة الموروثة فى تاريخها وعقيدة مجتمعاتها ، لتصير شعباً
نفعياً يجرى وراء أنى المصالح من افراد مجتمعا ومن المجتمعات الاخرى ..
شخصية غير منتجة ، مُعقّدة وصعبة الإرضاء السياسى ضعيفة الحس
الوطنى ... سهلة الإختراق الفكرى نادرة الامانة كثيرة النصب والاحتيال
.... ضعيفة المناعة الثقافية

تعيش مرحلة " اللاتوازن " ومتأرجحة بين الطيبة والسماحة واللامبالاة ...
تغالب مشاعر شتى

الرجاء ، الأمل ، الفزع ، الوجل ، الخوف ، والشك ... وتُقيّم الإنسان
مظهراً ومتجراً ... مركباً ومسكناً ، وتجعل كل قيمته المنصب والثراء والمال

... تؤيد بلا وعى وتصحب السلطة بلا قناعة او ايمان ...

فهل يستيقظ الأمل 1199

ربما، فان القيمة لا تتغير، ولكن يتغير الانسان بالاستجابة لها سلوكاً او الابتعاد عنها رفضاً ... ويمكن ان يغيّر الانسان سلوكه المتجمد هذا بالخير، وإعمال الفعل فيتحرك بركة ونماء ...

انه أثر السلطة
انه أثر الغربة والهجرة، والإبتعاد عن الوطن
انه فعل الفرد والمجتمع وخلق التقرب من السلطان

(أ) كانت السلطة

اضاعت الحكومات هبة الدولة ومعناها، عندما باتت السلطة بلا حول ولا ارادة ولا قدرة، ففقدت مكانتها فى نفوس المواطن وتقديره، وجعلت من المواطنين شعباً متملقاً منافقاً وصولياً نفعياً، يفكر فى نفسه وينسى غيره ووطنه ... وعُرف مستخدموها بالمحسوبية والرشاوى والاختلاسات، واباحة المال العام مما افسد تركيبة الانسان وشخصيته ... وعمّ النفاق السياسى والاجتماعى والافساد واهدار المال العام وخربت الذمم ... وصار الكذب اصولياً حتى فى المستندات والاوراق الثبوتية، للحصول على التموين والقطع السكنية والاراضى الزراعية وتزوير عضوية وكمية التعاونيات، واحتكار العمل فيها لفئة معينة محدودة تسرق فيها وتزور .. صار كل ذلك عرفاً اجتماعياً ممارساً ويلقى الرضى والإستحسان ... وافسدت كثيراً من القيم واخافت المواطن واسكنته الكبت بالممارسات القمعية لأجهزة الأمن والقهر وزدع المنتفعين والمتعاونين، وجعلته متردداً بين المعارضة والتأييد فى أمر عقيدته ومتشككا فى امكانية انفاذ شرعها، وتحديد وضعها ان كانت عقيدة للأقلية وغيبت عنه طبيعة التسامح فى التعايش بين الاديان .

(ب) وكان الاغتراب

ولزمَ البعض الحديث عن بلاد الوفرة وتحقيق المستحيل، يصاب بالدهشة ويعيش الانبهار. حال من عاش العدم ولس بيده المال، وبات شارد

الذهن لا يتذكر كيف كان الحال ... يقتنع بان النجاح مرتبط بالبعد عن ارض الوطن وليس بالإرتباط بها وحبها ويمتلكه شعور الانفصام الوطنى وأنفصال الولاء حتى مرحلة التمرد على قرار الوطن ، فيقشعُ بدنه وجيبه خيفة ويرتجف قلبه خشية أن تتقطع عرى غربته ومادته فيؤثرهما على حمل تبعات الولاء والصمود ... انها معادلة صعبة ... هناك فى ديار الغربية الوفرة والعائد الوفير ، ووجود النفس فيما تؤدي من عمل ، وشعور بالرضاء والإحساس بنفع الغير واهمية الوجود ... وهنا لا شئ من كل ذلك ... من الصعوبة ان تدافع عن موقفك وتقنعه بان الخير ينتظره فى البلاد لانه ... يملك إكسيرا ملموساً يضعه أمامك ويده الدليل ... ولكن الخطر يكمن فى استمرار هذا الحال والسكون لتخدير مسحة الامل والإستغراق فى عائد العمل ، وقليلًا قليلًا يأتى طور الانفلات عن الجذور ، ويعقبه قرار الإستقرار والهجرة عن الوطن وغربة الوجدان ومسلسل البحث عن الذات ، وصعوبة العودة للجذور . وهناك من يتعلق بحبال الوهم وهو يحاول حلّ مشاكل السودان وتحليلها بمفاهيم ما غشى من الديار مفتربا او مهاجرا ، تلك حالات يمكن معالجتها والرجوع عنها ، ولكن الأدهى والأمر ان بعض المفترين الحق تشوهات بالقيم الدينية رداية حيث ذهب ، وبمفهوم لها كان يعيش هادئا فى اذهان العرب والعجم ... الشهامة ، الامانة العزة الإلفة والكرامة والنزاهة والشرف وحب العمل والعفة وإحترام قوانين وعرف وتقالييد البلد المضيف ... فسادت ذلك المفهوم غشاوة وأظلمت سحابة من الشك والتشويش والتعتيم ، عندما اتخذ البعض من السرقة والتزوير وقد (أئتمنه الغير) ، طريقاً سريعاً للشراء و (تكبير التخويف) ... وأمتعن البعض المتاجرة بالشرف وممارسة " القوادة " فكأنما هجرته كانت للمتاجرة بالمخدرات والخمور وبيع الرذائل وتزوير الوثائق والمستندات ، وبالرغم من ذلك يظهر فى داخل البلاد يجرجر ذيل عمامته ويلقاه البعض بالترحاب ، حتى وان علم مصدر امواله ونتاجة نعمته

(ج) و كان الإقتراب

من السلطة فى الداخل ، عندما هُدَّت المصالح ، كما فعل البعض فى بداية العهد المايوى ... خافوا من ان تؤمم و تصادر ممتلكاتهم فسطوها بأسماء من لا يُشك فى ولائهم من المريدين و التابعين ... ليرجع عنها التابع والمريد بعقد يحفظ لأوانه بيد المالك الحقيقى

كما ارتضى الجميع سلطة الحزب الواحد ، وانتموا اليه ... مصالحه لندن و بورتسودان ، والجهة الوطنية التقدمية ، ومشاركة الحركة الاسلامية ، وإتفاقية اديس ابابا ... وفيما بين أولئك كل من له كل ناقة وجمل فيما لحق بالسودان

وكانت الإمامة فكرة متخمرة فى عقول المبايعين .. عند الاخوان المرشد المبايع وعند الطائفيه والصوفية طاعة الشيخ وفناء المريد ، والامامة عند الأنصار وعند الختمية الخليفة والمرشد والزعيم ، وكانوا جميعا على الوطن يداً واحدة فى اطالة عمر السلطان واستمرار التخريب وإلحاق الدمار ...

(هـ) معالجات

(١) ان توجه السياسات التربوية والمناهج التعليمية عقول الشباب ليكونوا صادقين مع انفسهم، وفيين لامتهم مدركين لأصالتهم منتمين لحضارتهم مؤمنين بهويتهم ... ذلك بإدخال مادة الحفاظ على البيئة ^(١) ، والمواد التى تربي الحس الوطنى والوعى الاجتماعى والترابط الجماعى ونكران الذات والإيثار والتفانى فى خدمة الغير، فى كل مراحل التعليم ، لأن الدراسة تركز المعنى لدى من يمتلكه ، وتتبه اليه الغافل عنه ، وتجعل كل منهما يقف على نظرة

(١) يقول السيد فضل الله الصائم - نائب المدير العام للإرمصاد الجوى .. (١٩٩٠) ..

" إنه من الأجدى لمحاربة زحف الصحراء من الشمال العمل على إعادة بناء المظلة الشجرية من الجنوب و إمتدادها شمالاً ، وهذا عكس الفكرة السائدة الآن وهى التشجير فى الشمال و أقل تكلفه منها لأن مستوى الأمطار من الجنوب ما زال حسناً .. أى أن زحف الصحراء من الشمال لن يوقفه أو يقاومه إلا زحف المظلة الشجرية فى الجنوب ..) ...

المجتمع وتقييمه للمفاهيم التربوية وأهميتها . لأن جيل اليوم يجهل الكثير عن تاريخ بلاده السياسى والاجتماعى وهو ليس على استعداد لأن يجلس ويصبر ويستمتع لذوى التجربة والمعرفة من معاصريه ولا يستطيع حتى ان يستتج ذلك من سلوكهم وأسلوب حياتهم مقارنة بنفسه .

(١) ان يضع المجتمع حداً فاصلاً بين النجاح والفشل فى شبابه ، ببذر روح الاخلاص والطموح والحماس ، واتاحة الفرص للعمل والمشاركة لتتمكن منه روح المبادرة والإبداع والإبتكار وتتضح امامه الرؤى المستقبلية لما يرغب ان يكون عليه وطنه ... وخاصة قطاع الشباب والرياضة والفن لأن مسيرة الإصلاح والتنمية تبدأ من المواطن الصالح ، ذى التربية الوطنية و النشأة الصالحة ، والقذوة الصادقة الصابرة ... علماً بأن وزارة الشباب والرياضة قد أنشئت لأول مرة فى السودان فى مطلع السبعينات ، ايام سلطة اليسار و سطوته ، ثم ورثها المايويون كل ذلك يحتم تركيز جرعة الإهتمام وتحسين بذور حب الأوطان ، وخلق التجرد وخدمة الوطن بعيداً عن الذات والفرض

(٢) اذابه الفجوة المكانية لكبر المساحة ، وسوء المواصلات والإتصالات باقامة البنى الأساسية ليتم الانصهار المرحلى التدريجى بين المجموعات البشرية المحلية ، وبذر السلام والمحبة ، ونبذ العنصرية لملء الفجوة الثقافية ولمواجهة هموم الوطن المتمثلة فى تصديد الهوية ، وحرب الجنوب ومشاكل الأمن والاستقرار ، وتقوية البناء الادارى ، والمشكل الأمنى والإستقرار وتقوية البناء الادارى والمشكل الاقتصادى لتتم نفاذية التقنين .. وحتى ينشأ جيل سودانى أصيل يُسَيِّر قطار التنمية بحرية ومسئولية ، ويحافظ على اصل قيمه ويشوِّذ ارادة وحرية قراره ، ويحافظ على هويته الحضارية من ان تسقط بين أنياب تآمر الدول

(٤) بالرغم من ان تكرار التجارب وتنوع السلطة يشحذ الذهن فى طريق البحث عن المثال ، ويقوى معانى التحدى ، إلا ان تكرار محاولات التغيير من اجل الغيرة السياسية و (لأن يكون ما كان بيدى) ومن اجل المكاسب

(٧) بروفيسر العاقب ... السودان الحديث ١٥/ سبتمبر ١٩٩٠م ...

السياسية والخداع لن يزيد الشعب الا فرقة وشتاتا . ولا نجد مبررا ابداً لرفض القوانين الاسلامية بحجة التجربة النميرية ولجؤه إليها مضطراً ، وركونه إليها سياسة لضمان الإستمرارية فى الحكم ، لانها تمثل ضمير اغلبية شعب السودان ... لأن الاغلبية الحزبية المسلمة كانت ترى فيها ذلك ^(١) ولانها جزء من اصالة شعب السودان لن يتخلى عنها وان تخلت عنها البرلمانات ... فالعضوية كالزعامة زائلة والقاعدة باقية لتحدد من يمثلها ... غير ان الديمقراطية الليبرالية الغربية فى ديارها تحل الحرام ، وتحرم الحلال بالاغلبية فهى مثلاً تجيز اباحة الاجهاض و الشذوذ الجنسى سحاقاً ولواطاً وتبيح الإنتحار لمن يرغب فى الانسحاب من الحياة بدافع الرحمة بين يدي الطبيب ... وكل هذا لا يمكن أن يجاز بالاغلبية فى برلمانات شعب السودان إذاً يبقى ان يستمر البحث الصبور عن المثال الوطنى الشورى الذى يجمع بين الحداثة والاصالة ، ليكون نظاماً ديمقراطياً شعبياً يتولى عملية الحكم وإدارة البلاد بعد تحديد الدولة ووفق دستورها..

(٥) اذا فقدت الأمة ذاكرتها فانها تصاب بأفة التخبط ، وتهتدى لمسالك الضلال ، ولا تلتفت لعبرة او موعظة . وتفقد حاسة التصور المتوازن للأهداف ، بعيدها وقريبها ، ولا تعرف وسيلة إليها ... وكذلك يكون الفرد قبل الأمة ... فكيف يكون حال شعب بلا ذاكرة ولا يتعظ بماضى تاريخه وينفصل عن حاضره ... ألا ينبغى له ان يقف منادياً جمعه ان تعالوا ندعو شتاتنا وشتاتكم . جنوبنا وشمالكم ، ثم نتحد ونحاول الاهتداء للطريق ... انا نستيقن ان لا مكان لنا فى عالم اليوم الا بالانتاج والعمل ونبيت ندعو للاضرابات والمظاهرات ... ثم نقعد نتجشأ ونتقيأ حشراتنا ، ونعص أناملنا وشفاهنا غبناً وحيرة ... ثم ننسى ، ونغشى مجالس المغالطات السياسية ... نعرف ان العمل عبادة وشرف وقيمة بشرية عليا ، ويكون ذلك محور حديثنا فى مجالس الانس والسمر والمنادمة ويكون

(١) الجمهورية الاسلامية (الاتحادى الديمقراطى) ، ونهج الصحوة (الامة) ، وميثاق

السودان (الجبهة الاسلامية القومية)

دَيِّنَتْنا حركة ويقظة في ديار الغربة والهجرة ، ويكون حالنا خمولاً وكسلاً
وقعوداً في ديارنا ، نترفع عن اعمال في وطننا ونؤديها في غربتنا
طوعاً وكرهاً وأحياناً نؤدى ما هو أدنى وأقل من كفايتنا ومؤهلتنا الوظيفية
والمهنية

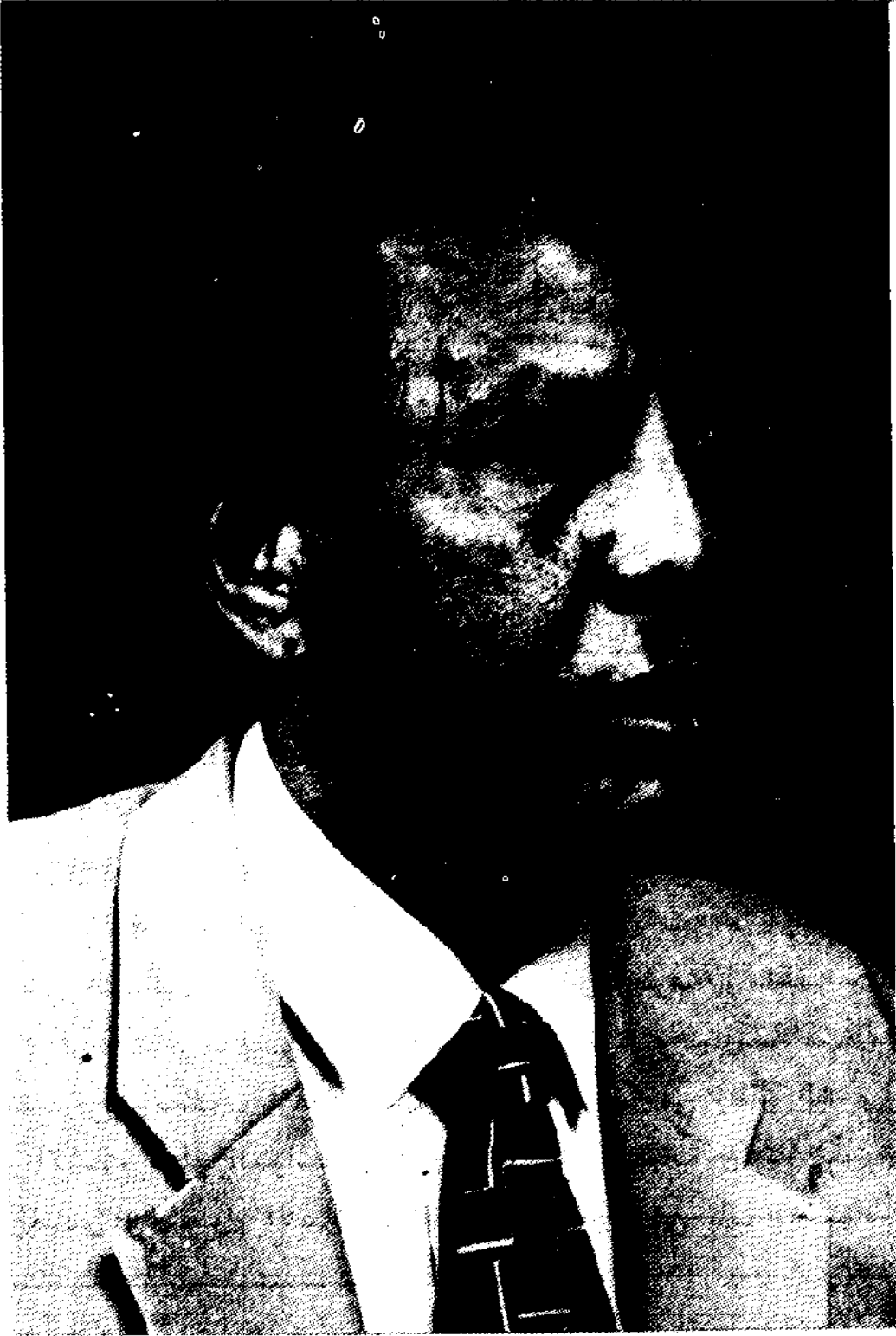
(٦) نحن أمة غافلة وتنسى كثيراً ، ويصعب عليها ان تتعظ
منّا من وصف الشعب بما لا يحق إلا وصف الله به ، فزلّ ووقع ...
ومنّا من أسقطه الله من مدرج مسجد بناه متلفزاً بالصورة واللون أمام
ضيوفه من ممثلي العالم . ومنّا من رأى مناماً قبة لولّى يسقط سقفها على
راسه فلا يقف معتبراً ويتمادى في إدعاء عدالته ... وفي عز المجاعة
يبتلى الله مدينة الأبيض يوليو (١٩٨٥) بامطار مصحوبة بعواصف ثلجية
تُخرّب بعض احياء المدينة وتزيد معاناة الجفاف ونقرأ ونبصر كل شئ
عن قضايا الايمان وآيات الله في خلقه وأخبار القرى ... ونعتبرها تاريخاً
فكأنما العقاب الإلهي قد إنحصر واكتمل ، فيما قبل التنزيل الحكيم ...
ونتلقى عذاب الحكام ، كبتاً وردعاً وتجويعاً ، وذلة وهواناً . ونظل
ندعوا الله (اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا) ونعسى
ان المرء اذا احتوى جوفه لقمة من حرام لا يرفع دعاؤه للسماء اربعين يوماً
وانه (كَمَا تَكُونُوا يَوَلَّى عَلَيْكُمْ) نقرأ وما ذلك على الظالمين
ببعيد ونسعى نظلم انفسنا ونظلم غيرنا ونظلم وطننا ونظلم حكامنا
ولا نذكرهم بان (الظلم مرتعه وخيم)

رؤساء الوزارات الإنتقالية



السيد سر الختم الخليفة

رؤساء الوزارات الإنتقالية



الدكتور الجزولى دفع الله

الباب الثانى

و تنادوا هاتفين

يقولون

السياسة عند المفكر الإيطالى ميكافيللى " المصلحة أولاً والمصلحة أخيراً " فهى إذاً فن الإبقاء على السلطة بصرف النظر عن الوسيلة المستخدمة فى ذلك وهناك من يؤمن بأن السياسة هى " فن الممكن " حتى ان اهدرت قيم واخلاق وحقوق فى الطريق الى الهدف ... أى عند هؤلاء هى فن الممكن من الواقع .. ويفضلها اخرون تعاملأ مع الواقع " ولعبة قذرة "

وفى الدين السياسة هى احكام التعامل مع الناس والدين المعاملة فهى إذا لا تختلف مع الدين فى الهدف

والسياسة فى الاسلام هى (الاعمال التى يكون الناس بها اقرب الى الصلاح وابتعد عن الفساد أى تعهد الامر بما يصلح) (١) ... فهى إذاً فى المفهوم الإسلامى مصالح مرسله ، منضبطة بموجبات الشرع ومقرراته الأساسية ، يضاف لذلك فقه الواقع ومعرفة فنون القيادة والخبرة واخلاقيات الإسلام ، والكياسة والمهارة والدهاء والحنق

وتبرز النظرة الإيجابية للإسلام باعتبار السياسة قيم ومبادئ وأخلاق ومعاملة حسنة وشجاعة وقوة واقدام من اجل خير كل البشر وسعادتهم فعلى السياسى المسلم ، بعد معرفة العصر وعلومه ومنطقه ومقوماته وتقنيته ان يلتزم بالمبادئ الاسلامية عملاً وقولاً وممارسة داخل إطار ما هو مشروع ومطلوب لرعاية شئون الأمة عامة فى إطار الشورى ... ويعتبر الاسلام تعلم السياسة وفنونها بذلك الفهم عبادة وعملاً يقرب الى الله حيث المبادئ والاصول الاسلامية الثابتة والمتغيرة فى باب الإجتهد ثم

(١) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ... (ابن الجوزية) ...

الإقدام على المسئوليات كاملة فى بناء الأمة معنوياً ومادياً ... وان
السياسى المسلم اجتهداً فلا بد له من ان يكون ذكياً دقيق الفهم عالماً بمعارف
عصره الانسانية والمادية حتى يدرك مصالح الناس ومتطلبات حياتهم ، وان
يعلم أن حق الانسان الشرعى فى الإسلام يستند على التكريم الإلهى للانسان
، وهو منحة من الله تعالى ويرتبط بعبودية الإنسان لله وانصياعه لشرعه
واتباعه لهدى رسله ، بينما يعتبر الفكر الغربى ان الحق الطبيعى للانسان
مرتبط بذاتية الإنسان من الناحية الطبيعية (بغض النظر عن الفكر والمنهج
وان الحقوق السياسية فى الاسلام تقوم على ضرورة المناصحة
والمحاسبة السياسية للحكّام ، وقاعدة المسئولية الجماعية و الفردية وتجميع
المواقف المتصدية للانحراف عن النهج الشرعى ^(١) وقاعدة الطاعة الشرعية
لتحقيق الوحدة الداخلية وحسبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... بينما
تحدد الحقوق السياسية فى الحضارة الغربية وفق الحرية السياسية المحدود
بميل الفرد ورغبته فى ممارسة حقوقه

ديمقراطية السودان التعددية

* (وَفَدُ بِلَا وَفَاءَ عَدَاوَةٍ بِلَا سَبَبٍ)

استيقظ الوطن بعد طول سبات بالاحزاب تنادى الاستقلال ، ولم يذكر
معناه الاجتماعى والثقافى والاقتصادى فى نفوس وعقول جموعهم ... ونادوا
بالديمقراطية الليبرالية وشوّهوا صورتها فى اذهان تابعيهم حقاً وممارسة
حكومة ومعارضة ، ولم يفهموا جماهيرهم ان الحق الديمقراطى غال باهـ
الثلث ، طو المذاق مر الفراق . وانه فى بلادنا مرصود يتربص به
المفتالون

وهكذا ، تصرف الحزبية الرعناء جاء "بنوفمبر" ، واعقبها "بمايو" ، وساء

(١) النظرية السياسية الاسلامية فى حقوق الإنسان الشرعية (دراسة مقارنة) - كتاب الامام

على إستمراريتها ومهد " للانقاذ " ... اكوام ورزم بشرية لا يهتم الا ما يكسبون ، حلالاً حراماً متشابهاً ، لا يهتم ما دام يفي بهوى النفس ان تاكل وتسترزق من كل من لا يحاسبه ضمير ولا يعرف مقومات للخلق القويم ... وعند الحكومة مادام التأييد يخدم الغرض لا يهم من هو المؤيد.... ثم عارضت وهى نفس الاحزاب وكانت معارضتها مواكب نفاق صارخة وصامتة ... تتنفع وتنتهز لفرصة مواتية وتفكر حتى في الاستفادة من اموال حركة من قاتل غازياً من ليبيا وصار عند السلطة بعد هزيمته مرتزقاً ... وتعمل ضد إقتصاديات الوطن وتنميته ومحاربة تسويق منتجاته في الاسواق العالمية تعارض بلا خلق وطنى ، وعندما تصالح تستنزف موارد البلاد سرقة وفساداً وتخريباً لاقتصادها ثم أيدت .. فراود بعضها مصالحا وظل هارباً معتقداً ان قميصه قد من دبر فقط ... ومنهم من شارك وقد قميصه من قبل .. وهناك من اكتفى بالمغازلة عن طريق الإستشعار من بعد من وراء الحدود ... ومن كل فريق تورط حتى شحمة أذنيه فى هوان مايو وخرابها وفسادها ونتن رائحتها وذبولها ، حتى جاء وعد الشعب وبرقه ساعياً يأكل ما يافكون وكان كل قد فقد عذريته حتى من تلاعب بعصبيه من سحرتهم .. هي الاحزاب صفوية فاسدة مترددة مختلفه ، تعمل تحت الوضاية وتبعية الطائفية والسادة ، أو عرابية القدامى وكبار السابقين تنقل الفساد برجائها فى العهد الديمقراطى والعهد العسكرى . ويرجعون لفسادهم فى عهد ديمقراطى يعقبه . يحتكر رجالها المعينون المميزون الفهلويون العمل السياسى والاجتماعى والقيادى فى المناطق الريفية والإقليمية وذلك هو سر تمجيد الناس فى كل عهد للعهد الذى سبقه ، بما فى ذلك رحيل الانجليز ، لان اولئك هم اداة كل فعل حكومى ديمقراطى كان او عسكرى ، يزيديون فساداً فى كل عهد ويتعهدهم كل عهد برعايته ، ويتعهدونه بتأييدهم مما جعل الشعب السودانى غنياً بالتجارب الديمقراطية عهداً ، لانه يعرف الطريق اليها ولا يتقن ممارستها ، و تغيب عن ذهنه سبل المحافظة عليها ، هى تماماً كارضه الزاخرة بالإمكانات الزراعية والمعدنية الكامنة ، يملكها بين يديه ولا

يفجر خيراتها ، ويستهنون امرها ولا يستقل نعيمها لما فيه صلاحه وصالحه
.... انهم يسيئون استعمال الحرية المتاحة بموجب الدستور والقانون
السياسى فى غير السودان يكون رجل دولة بالخبرة والمعرفة والممارسة
وفى السودان الاحزاب تلمعه وتجعله رجل دولة لانه رجل ثقة بولائه ،
ووفقاً للمصلحة والمعرفة الشخصية ، وقاربة الدم والنسب من الزعيم ، أو
اجادت لقول نعم وفن مسح حذاء الزعيم

كبرى احزاب السودان تتطور تخلفاً نحو السيطرة الطائفية ... بدأت
تحت زعامة السنيين ، ودخلت الديمقراطية الاولى والثانية وعلى رأسها
الطبقة المتعلمة المستتيرة كالأزهري ومحجوب ، وعادت فى الديمقراطية الثالثة
لتدخل البيت الطائفى من جديد بالسادة الصادق ، ونصر الدين ومبارك
الفاضل ، ومحمد واحمد عثمان الميرغنى ... وتمتاز الاحزاب عندنا جميعا
بان هنالك فئة وصفوة تفكر نيابة عن جماهيرها ، وتكتب وتتحدث باسمهم .
وتقرر فى كل الاحوال والقضايا نيابة عنهم لذا فقد تطورت عندها عقلية
التفويض ، وملكة الإذعان للتعين المرحلى اسماً . الدائم تنفيذاً لقابليته للتجديد
، وذلك عيب ، ولكن العيب الأكبر ان يكون دور الآخرين ، الاغلبية ، دور المتفرج
والمعجب ، المصفق والمؤيد المهرج دوماً ، علماً بأنهم القوة الدافعة التى
يدفع لها لتدفع بهم لدور البرلمانات والمجالس النيابية بمختلف أزمانها

وزاد الامر سوءاً ان فُجِعَت الديمقراطية الثانية لضعفها وهوانها بسنوات
مايو الطوال العجاف والتى ابعدت معناها عن ذاكرة من وجدته على وعى
يتوكأ ، وكثيرون غيره قضت عليهم السنون أو اتعبه المسير ... لذا فإن اغلب
من مارس حقه فى الديمقراطية الثالثة ، وبذل طاقاته الشبابية فى
انتخاباتها ، وطاقاته الكتابية فى تفسيرها ومحاولة تثبيتها ، هم من الذين
جاءت مايو وألفتهم يَفْعاً وأطفالاً وتلاميذ وطلاب .. تفتحت عقولهم على
ممارسات مايو وتجربتها .. وطال بهم الزمن وغابت عنهم نكهة الديمقراطية
وطعمها إلا من غشيها منهم ثقافة أو قراءة أو تنظيراً

ولما عادت الديمقراطية في رجب الإنتفاضة نشرت البلد اجنحتها على
الأحزاب وجعلتهم تحت جفونها ، فماذا فعلوا ...
بدأوا بقانون القصاص الشعبى العادل والذي يسرى على كل الجرائم
سابقة منذ ١٩٦٩/٥/٢٤م واللاحقة لاجازته وقالوا عن عبارة (سدة مايو)
تشمل :-

رئيس وأعضاء المكتب السياسى والمكتب التنفيذى للقيادة المركزية
الاتحاد الإشتراكي المنحل ما عدا الذين عينوا من القوات النظامية "
هكذا تدهن الأحزاب القوات المسلحة كأن فساد مايو لم يلحق بها ، وذلك
عن الفساد ، لذا فإن الأحزاب لم تستطع أن تزيل من آثار مايو ولم تقطع
عن أعناقها إلا رؤوس أعمدة سور قاعة الشعب ، (الجمعية التأسيسية) بأم
إيمان ... وعانت وسقطت بعد مناقشات ومداولات إحدى بصمات النميرى فى
توجيه الحكم فى السودان كيف لا وبقراره (قوانين الشريعة) وضع
الأحزاب فى تحد ومواجهة مع رغبة بعض قياداتها المغيرة لارادة جماهيرها
تحكيم الشريعة

وعلى عين من تذرُ الأحزاب رماد مراوغتها لإرادة الشعب ، وكيف تحاكم
سدانة المايوية وقد ضمت القيادة المركزية للإتحاد الإشتراكي ومكتبه
التنفيذى كل من السيد الصادق المهدي والسيد أحمد المهدي ، وأحمد الميرغنى
... حسن الترابى ... فلا عجب إذاً أن سحب الديمقراطية الثالثة عدم
أعلىة المؤسسات التشريعية وغيابها وعدم مراقبتها للسلطة التنفيذية لجسارة
توآعى أو الرئيس ومداهنته من أجل المصلحة والإستوزار ، أو لضعف فى
الإختيار ويختار الرئيس من لم تختره الجماهير ورفضت إنتخابه
واسقطته ... مساومة وترضية وفاقاً بلا توفيق ، ليتحدث باسمهم ويهمل
أبهم وتقديرهم ... ولا عجب فهم جماهير إشارة وتوجيه

وتحولت هتافات الجماهير الى أرصدة فى البنوك وعمارات شوامخ من
الاسمنت والحديد ، ومزارع لا خضرة بها إلا الاستراحات والمواخير وأوكار
... وتوزيع الغنائم وتخزين العربات ، والمواد التموينية والمواد البترولية

...وموائد صفقات تجارية ورخص وتصاريح، وواسطات ومحاسيب ومعارف ...
لكل ذلك فليس بغريب ولا بمُستبعدٍ، عن تَوَقُّع من يعلم ويملك وعيه، أن
يسقط السيد الصادق المهدي بعيداً عن أغلبيته الديمقراطية، التي لم يتحدث عنها
يوم إستجابه لتدخل القوات المسلحة بمذكرتها (١) في تحديد مسار الحكم
الديمقراطي، ويوم أن كون حكومته الأخيرة في قصر الخرطوم بعيداً عن
برلمان أم درمان، وبإرادة العسكر وهي ليست إرادة النواب
هَمْ عَلَيْهِ يَدٌ وَاحِدَةٌ

تقاس قيمة حركات الإصلاح والثورات بقدر النتائج والآثار المتروكة
وراءها تاصيلاً أو تهميشاً ومدى عمقها الزماني والمكاني بإيجاد الخير والتغيير
البناء في حياة مجتمعاتها ... فماذا عن مايو ١٩٩٠ ؟ ..
عُرف السودان دولياً في عهدنا بالتبعية السياسية، وعدم تحديد الهوية
وصحبه العجز والقيود عن الوفاء بالتزاماته الدولية والإقليمية، كما
ارتكبت قيادتها الخيانات العظمى عربياً بترحيل الفلاشا وداخلياً بالموافقة على
دفن النفايات الذرية ..

وصارت مصالح الناس شعارات وأقوال في وسائل الإعلام، وافقدت
الدستور والقانون هيئته، وغيّرت أخلاقيات المجتمع ونظرتة الإجتماعية ...
واستوعبت مايو فساد الأحزاب وأحتضنت الأحزاب الاشكال التنظيمية المايوية
وضيقت المحسوبية والوعود والرشاوى والإختلاسات (٢) العمل الإداري
والديواني والرقابي والأمنى

" إنه في كثير من الاحيان ما يأتي في الدستور او ما يأتي في أى
اتفاقية يمكن التغاضي عنه اذا كان هنالك شئ أفضل . " ... (٣)
(٤) " نحن دولة تحقق أعلى معدل من معدلات التنمية في العالم الثالث . "

(١) ١٩٨٩/٢/٢٨ م

(٢) راجع أوراق سمنار المال العام اغسطس ٩٠ بقاعة الشعب بامدرمان ..

(٣) المياد ١٩٨٤/٥/٢٢ نمبري .

(٤) الصحافة ١٩٧٧/٩/٢٧ م

" ديمقراطية الحكم فى السودان لا توجد فى اى دولة نامية فى العالم (١)

" ان المرء ليحمد للذين ناهضوا هذا النظام الى حد حمل السلاح شجاعتهم وقد وقفنا

ضد كل منهم فى الخندق الآخر (٢)

وكثير المشاركون بلا كفاية فى مواقع العمل العام فى الدولة ، وفى المواقع القيادية السياسية العليا والوسطى والدنيا ، ومنهم الفاسدون الذين عَيْنُوا لَتَجَرُّ بهم مايو مراحل اكثر قذارة ، وبالرغم من ان العقل يقول بابعادهم بإنهاء مهمتهم المرحلية ، إلا انهم يظلون عبثاً على السلطة برغبتهم لاستغلال عيوبهم ونواقصهم لضمان الولاء ومناعة سياج دائرة الهاتفين حولها

من الكاذبين ذوى الدراية والمعرفة بالمداهنة وتزيين الباطل وخلق الاحلام والالوهام وهالات النجاح ... يتبارون ويتنافسون حوله تقريباً ، وطردوا وابعادوا لبعضهم من دائرة الحاكم المستبد المطلق القوى ، حيث ان أبقى الناس داخل تلك الدائرة هو اكثرهم ضعفاً ورضوخاً ومهادنة واستسلاماً ومنهم كتبة خطاباتهِ التى يكثر فيها التناقض بين القول والواقع .. والتى تحمل كثير المغالطات " والغلطات " الكلامية والهرطقات النميرية عند الارتجال .. ويكثر فيها قولاً عن صعوده برج الرصد والمراقبة وبالرغم من ذلك يزود مستشاريه بالنصائح والمعلومات ...

وآخرون قالوا آمنا باهداف مايو بأقواهم وقلوبهم راجفة لم تؤمن ... يخفون غرضاً فى الصدور . كل ما دخلت منهم فئة لعنت او لعن لها سابقتها . حتى إذا اداركوا فيها جميعاً أتى كل بغرض ولوجهِه وابان خفى قوله وفعله .. وقد نسوا أن لكل دوراً اداه راضياً أو مكرهاً

وهناك من زامله النميرى فى حلقات الذكر ومجالس الشيوخ تقريباً ، وهناك من قاد المشعوذين وزاحم بهم على بابهِ .. ومن دعاه ليعيد افتتاح مؤسسة أو دار ظلت تعمل منذ سنين ليتبع ذلك الكسب والتسهيلات بعد الاشادة

(١) الراى / الابرار ١٩٨٢/٥/٢١ م .

(٢) النفق المظلم د. منصور خالد ص ٦٤ .

به فى خطبة الافتتاح .. وليتمتع بالاعفاءات الجمركية ورخص الاستيراد بعد توصية الاصدقاء وأمتطاء ظهر أعمال الخير والبر والاحسان بغرض الفساد وحب جمع المال ... ويضاعف تقدير المواد اللازمة للتشييد والتشغيل لبيع الفائض منها أسوداً ...

كانت مايو تظهر خلاف ما تبطن .. تظهر القوة ومنطق المستقل بأرادته وقراره شعاراً فى إعلامها ترديداً ، ووقوفاً مع الشعب الفلسطينى ، وتفعل فى الخفاء مظهر الذليل المهان باكمال صفقة الفلاشا لخدمة الصهيونية وإسرائيل ...

وتملأ الدنيا صراخاً وهتافاً بمنظمات الشباب والشبيبة . كتائب وسواعد وطلائع ورواد ومقاوير ماتت فى داخل رحم الهزيمة . بينما هى فى باطن الامر تمهر إتفاقيات تقضى على جينات المواليد بين المبايض والصلب والتراثب بالاشعاعات الذرية ودفن نفاياتها فى صحارى يتحدث العلم عن أنهار ماء جارية فى باطنها بمقادير تفوق مياة نهر النيل ، تريد مايو تلويثها بدل تفجيرها .. وانزوت وهى تشكو من الجفاف والمجاعة والحرث يزرعه الله بالماء ومنه كل شئ حتى

وادعت مايو فكراً لتنظيمها الفرد ، كثر حوله المؤيدون جمعاً واختلفوا آراءً وغرضاً وتاجحوا ولاء وتفانيا وإيمانا به .. ومن المؤمل فى الافكار ان تتمكن بمرور الزمن من عقول حاملها حتى اذا ما قدم اليها الاتباع وكثر المؤيدون المؤمنون بها ، كلما تقاربت افكارهم مما يُمكن القليل ^(١) منهم ان يعبر عن رأى الآخرين بلا تباين ملحوظ وكبير فى قضايا الالتقاء الفكرى ، ولكن كان الحال عكسياً فى لجنة الاتحاد الاشتراكى المركزية ومكتبة السياسى ، فبمرور الزمن بدأت زوايا التباين الفكرى تتفرج حتى وصلت لخطوط متوازية فى نهاية المطاف ... اما مجلس الشعب فإنه مرة يجيز الزكاة ويؤيد الغاء الضرائب ... وسرعان ما يؤيد اعادتها من جديد ولا عجب فإن

(١) عضوية الاتحاد الاشتراكى السودانى (١) اللجنة المركزية ١٩٧٢ ٩٠ عضواً

١٩٧٢ ٤٩٠ عضواً

* (ب) المكتب السياسى ١٩٧٢م (١٥ عضواً) ١٩٧٠م (٣٠ عضواً)

وكثير من هؤلاء يرى رأياً فى اللجنة المركزية ليرى غيره فى المكتب السياسى بحضور نيميرى "

أغلب من ينتمون إليه كانوا يرون الخطر والخطأ والخراب ويعمدون إليه (١) . .
(كالتمرغ في دم القتل)

الأسواق مرابط الشيطان ، فكم من شياطين السوق دخلها وهو يستعيز
بالله من نفسه ! وإستشزى الفساد الاقتصادى في مايو واستتهر فتقه فيما
تلاها من عهد حزبي ... وتعدى جمع المال دائرة الحلال وتمركز في دائرة
الحرام ودائرة الشبهات ، فلا نجد الا الكثير السيئ والقليل الصالح
وامتلأت جوانب الأسواق وطرقاتها بالفهلويين ... في كل مكان تجد
طويل وقصير القامة ، ضخم الجسد ، حسن الهتدام وقبيحها أنيق الشال او ربطة
العنق " الكرافتة " جميعاً تقوص اقدامهم حتى أخمصها في وحل الفساد في طرق
السوق ووسطه ولو ان للفساد رائحة لأزكمت الأنوف في المساكن قبل المخازن . . .
هؤلاء يملأون مداخل ومخارج أماكن العمل ودواوين الحكومة ذات العلاقة
بالمجال المالى والتجارى . جمارك ، ومطارات ، وموانى بحرية ونهرية وبرية
ضرائب وبنوك ودلالات ودور سمسرة ... جاء بعضهم من الوظيفة العامة والخاصة
بعد معرفة أساليب وفنون الفساد يحملون تجاريهم ، وجاء بعضهم من دول
البترول حيث الكثير من الممارسات المالية والتجارية الفاسدة والتي تغطى
عليها الوفرة وكثرة المال ، وحيث عالمية التعامل وتجارب العمل والغش

(١) هناك الكثير من القصص والحكايات التى تؤكد صدق ذلك ، وهذه واحدة ... وبالرغم من
أن راويها رفض ذكر اسمه إلا إنها تصلح مثلاً القصد منه معرفة ما كان من أفعال ... حتى
وإن أهملنا الأسماء ، ... بالرغم من ايمان الفاعل بخطتها . ذكر الراوى ولم يمض يومها على نهاية
الجلسة دقائق معدودة وهم يمتطون سيارة ، يجلس بمقعدها الامامى وزير وبالمقاعد الخلفية رئيس
المجلس ورائده .. حتى خاطب الرائد الوزير متحدثاً عن نفسه ورئيسه .. " تعرف يا ... أنا وفلان
هذا سنبعث يوم القيامة مع هامان وفرعون " ... وضحك الوزير حتى إنغردت عيناه ثم سال :-
لماذا ... فيجيب الرائد ...

" ما يتحدث المرء حقاً ونقداً إلا يمتعه وهو يضرب منفضة الرئاسة بشاكوشه ، وما ينطق احدهم
نفاقاً ورياءً واطراءً إلا ويترك له الحبل على الغارب ليصول ويجول وأنا أؤيده فى ذلك "

جاءوا باستنارتهم الضالة ليظلوا بها الأسواق فتزيد انفاقها سواداً
وحكمة وظلاماً ... جاؤا بمعرفتهم وعلومهم وابدعوا الحيل القانونية
والتجارية والاقتصادية ، واثروا ووقع المال فى انفسهم واشربوه وانغمست
انفسهم فيه وتشبعت بحبه وتبعهم فى ذلك من سبقهم بجهله يتخطى بلا
واعز ولا ضمير ولا معرفة تجعل النفس تتردد وتمحض وتفكر وتتراجع ،
وانما امتطاء لكل فكرة تطرا والاندفاع فى تنفيذها وتغيير السبيل اليها
اذا انقفل اخر وابعاد ما يعترضه وبكل الوسائل ، المهم الوصول للهدف
مهما تحطمت تحت ارجله من انفس وقيم ومعانى واخلاق ... (دوس
رأس اخوك واطلغ كان قجة كان اصلغ) من لا يسير او
يحاول المحافظة على خلق اودين وكسب حلال مشروع ، يجد نفسه فى
هامش القافلة ، تستعيز منه مواكب الفساد لانه شيطان السوق ، تنتظره
مضايقاتهم وصعوبة العمل وتكاليف الحياة . وتقف امامه سرعة التعامل
فى البنوك ودواوين العمل لانه يفقد متطلبات ومستلزمات مواصلة السير ، الى
ان يغرق فى الديون وبرك المطالبات المالية ، فإما الخضوع والوقوع والسقوط
وإما الإنزواء والإنسحاب ، وقليل من قاوم بشق الانفس ورجاء ولطف
الرحمن ... وهناك ما لا يقال عن قصص الفساد المالى والتخريب الاقتصادى
مما يعرف بين الاصدقاء ويملاً صحف اسرار المعارف رفاق الدرب والحزب
واخوة التنظيم (وكل امرئ فيه ما يرمى به) من آبائية
سوقية ألفى عليها سابقه ، او دنيا شغلته عن دينه ، او أموال له ولغيره
باع بها دينه ودنياه ...

تلك الجسوم المثلثة ، والعمارات التى تعانق نجوم السماء ، والمزارع
المتدة ، والاموال المكنوزة ، والعربات الفارهة ، والسندات المقبوضة ،
والاسهم الموهورة ، وانصبه الشركات ومشاريع الإستثمار المشبوهة ، لو افصح
اصحابها عن ما ورائها من جرائم جمع كبيرة ، وخطط مكر فاسدة ، لبدأ
القوم كل فى قميص فرعون ولانكشفت سوءات واستبان الناس كذب قوم
يعدونهم من الصالحين ... ولاستيقن الابناء والآباء والاخوان والعشيرة

والاهل أن الاموال النى اقترفوها ، والتجارة التى يخشون كسادها ، والمساكن التى يرضونها ، بعض من زبد الارض وألسنة الجحيم ... ولانهارت بنى اسماء انخدع فيها شعب السودان كثيرا ، ولسقطت اقنعة أوجّه رؤوس ، ولعلم الناس ضلال لحي وشوارب كثر منها البور والحصيد و"الأذروج" العديم ... الابيض منها والبهيم ... ولكنه لطف الله وقدره بأن لا يفسد ما بين الناس بسبب تضارب مصالحهم اذا علمت النوايا وكوامن النفوس ، فاحتفظ بذلك فى علم الغيب عنده حتى لا تفسد الارض ... فى كل ذلك تشم رائحة دموع الصغار وهرختهم ... لبناً جافاً وحلوى وبسكويت وتموين غافلين الطريق اليها عبر كل من سهل المال واسهله ، ومحسوبة السياسة وشكالية الأصدقاء ومعاقرة الخمر وما يتبعها من نساء واوكار الشيشية والمخدرات ، وعشوات العمل وولائم الاحتفال ببلوغ الملايين ، وأن تتخطى التسهيلات المصرفية للمليونيرات والمحاسبية لإرادة البنك المركزى ، وتستهنئ بالبرامج الإقتصادية والتنمية وسقوف التمويل ... أمثال هؤلاء يجهضون آمال الأمم ويفعلون بها مالا يفعله الجفاف والتصحر^(١) ... كيف لا ؟ وقد وجدوا من يحميهم من داخل أجهزة الأمن والرقابة ، ومن يؤمن خروجهم ودخولهم للبلاد ، ومن يسهل عبورهم ومغادرتهم فى حدود الاقاليم المختلفة ... لأن بعض المجرمين قد اخترق أجهزة الأمن بأنواعها لحماية مصالحه ومصالح أمثاله ، ليتسنى له الفساد من تحت مظلة رجل السلطة والقانون

هؤلاء المفسدون يقفزون لمدرجات السلطة عند نقاط معينة يتصيدون الفرص إليها وينتهزونها ، عند الإحجام عن الالتحاق بأجهزة الأمن المختلفة طلباً للإغتراب مثلاً ، وتمثل نقاط الانقلاب فى مسار السلطات العسكرية والحزبية وبحثها عن الشرعية الشعبية بتكوين التنظيمات والنقابات وارساء قواعد التنظيم السياسى دائماً فرصتها الكبرى لتقديم نفسها ومبادرتها عند أحجام الآخرين وترددهم وترغبهم ، ثم تمضى القافلة وهم يمتطون

١) تكونت الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة الجفاف والتصحر (إيفاد) عام ١٩٨٦م بعضوية كل من : جيبوتى ، الصومال ، اثيوبيا ، كينيا ، يوغندا والسودان

ظهورها ويلعبون حتى يصلوا مرحلة القرار والتقنين ...

ودخلت النساء عالم المال والتجارة سراً وجهرًا ، كصاحبات دُور وعمل
او وسيلة لغاية ، أو حافز على الطريق يلزم وجوده لإكمال الصفقات وكمشهيات
لدغدغة اقلام الإمضاء والتوقيعات ومهر رخص الاستيراد والتصدير
وتأشيرات الخروج والدخول ، أو اعطاء الإشارة الخضراء لتمرير الاوراق
لمواقع الحسم وإتخاذ القرار ... أو تاجرات شنط وعابرات بحورٍ وحارقات
بخور فى داخل وخارج الديار كغيرهن من ابناء " عَمَى أَدَم " السودان
..... ذلك الذي تقل قدرته واحتماله للعمل ويمتلئ طموحاً ، يرغب تحقيق
النجاح بسرعة الضوء دون ان يجهد نفسه ويُضْحَى ويمصبر ليدفع ثمن النجاح
.... كل همه أن يختصر الزمن ويقلل الجهد ليفوز باكبر الاكوام وأعلها
وان خبثت من اجل ذلك القيمة والقيم

(مالٌ تُجلبه الرِّياح تأخذه الزُّوابِع)

وأين من ذلك كله العقاب الإجتماعى بالتحقير والإستهجان ونظره الإحتقار
والعار والإشعار بأن من يمارس كل ما سبق عضو فاسد وغير صالح
ومجزوم بفعله مما يوجب الفرار منه ... تغيرت تلك النظرة فى مجتمع
السودان وصار يصف اولئك بالشطارة والمهارة والفهلوة والنجاح ، ويتمنى
البعض لابنه ان يكون مثلهم " كَسِيَّاء " ليخدمه الغير ويقدمه ويناسبه
ويصاهره ولا يشعره ابداً بأنه حرامى فاسد وفاجر مجاهر ... كم منكم بنى
قومى يستطيع مقاومة رنين الدرهم والدينار ، وبريق الفضة والذهب !!!
ويفضل ان يبيت فى داره قنوعاً شريفاً مستوراً ، بجوفه لقمة واحدة من
حلال يتفقد جاره وخاله ويرضى بالقليل مصحوباً بالحمد والشكر والثناء
والإستغفار !!!

نعمة ونقمة الهجرة والإغتراب

(يا ماء لو بغيرك غصِصت)

كان الوطن فى احسن حال ، به سعة فى الرزق وسهولة فى الحياة ، ويلزم
ساكنه القناعة والرضا والسلام الرُّوحى ، يغشاه المغتربون عن اوطانهم

من بلاد العرب والعجم أملين فيه الخير الوفير... وبات يغالب جراح الفرقة
والشتات وضياع الخيرات مما فعلت به يد الانسان، والقحط والمحل
والطير والجراد والجفاف وقلة الامطار وهلاك الزرع والضرع وغياب
الامن وجور السلطان وعدم الإستقرار

وتبع ذلك هجرة الكوادر المؤهلة القادرة على العطاء والبناء، واغتربوا عنه
... مَنْ منهم سافر من اجل الوطن، لا بمعادلة تحقيق الغرض الشخصى
والعمل فى داخله؟ كم منهم احتسب ايام غربته لانه خرج مهاجراً من ارض
استضعف فيها، تاركاً وراءه من لا حيلة لهم من نوى القربى والولد؟
وإنّ منهم من التزم اخلاقيات الوطن، فى غربته واحرز نجاحاً فى حياته
ومهنته نُضِرَ به وجه الوطن، وسرّ سمع الغير، ووَضَحَ لهم ان منّا لجواهر
ودراً .. وإن كثيراً منهم خرج بحثاً عن الحياة الكريمة، ولما وجد المال
رجع بما وجّه لغير التنمية من شاحق العمارات راغباً فى هبوط الجنيه
السودانى، يحاول حل معادلة نفسه صعبة بين الذات والوطن .. يقارن بين
ما لقيه فى دنياه وما خسره من أحلام بنيه ... يحاول التوازن بين القيم والدين
والمادة والبدن وتقييم المكاسب والخسائر ... ويفاضل بين سهولة الحياة
ووفرة الغذاء والكساء والدواء وبين القلة والعدم والتقير

يُعتَبَرُ الاغتراب نعمة وطنية اذا قسناه بضخّ العملة الصعبة ودّرّها وجلبها
اضافة للدخل القومى، ومواكبة المغترب لمستجدات الحضارات العالمية
المتوجهة لدول المال والبترو، والاحتكاك بقومها وتقنيّتها، والاخذ من احسن
قيمهم واخلاقهم ... وحُسن السفارة، وجمع الخبرات وتفجير الطاقات،
وممارسة المهن لوفرة البنيات الاساسية والتقنية ووفرة المال ... وبما يحدث
داخليا من تغيير اجتماعى فى حالة المغتربين وتحسين مستوى حياة اهلهم
ومساكنهم، حيث نلمس ذلك بوجه اوضح فى القرى والارياف واشباه المدن
اكثر من الحواضر والمدن ...

ويعتبر الاغتراب نعمة على الفرد والوطن اذا نظرنا الى نزيف العقول
والكوادر المؤهلة والخبرات والطاقات وتبديد قوى خلق جاهزة تستوعب في

الخارج ، يفقدها الوطن لسوء الإدارة فى الداخل والرغبة فى العائد المجزئ ، تزدع صحارى الغير من باطن جوف الارض ، وتهمل حقول وغابات الوطن التى يرونها غيث الخريف ونيل الحياة وقصير الآبار السطحية ، ليضيف الاغتراب جيلاً معه وفرة الاغتراب مختلطة بغريب الاخلاق والقيم .. فما من احد إلا ويستحضر قصة تمتهن الكرامة السودانية فى الداخل والخارج ، أو يعرف قصة تجرح الحياء وتشير الخجل وتتدى الجبين ، وراها مال الاغتراب وبعد المغترب عن الاسرة والزوجة والولد ... بالإضافة الى ادخال المظهر البذخى فى عرف وعادات العرائس والمناسبات الاجتماعية بعيداً عن البساطة والاصالة والاقتصاد ... ولم يحسن بعض المغتربين الاختيار من اخلاق الامم المختلفة فى المهنة والعمل والجودة واحترام الوقت ، وركز على العطالة والمخدرات والاحتيال والسرقة والتبذير ، فبدت من بعضهم بعض الممارسات المردولة والخianات المالية كالنصب والغش والاحتيال وكل ما هو غريب على الخلق والعرف السودانى الاصيل ، مما جعل بلاد الاغتراب واهلها تغير نظرتها القديمة السابقة عن المغترب السودانى، من اوائل المهاجرين ، الذين كانوا مثلاً للامانة والكرامة واحترام الذات وحسن السيرة والسمعة والاخلاق ... وشجع سرعة الحصول على المال اللازم لتغيير الحال بالطرق الرخيصة من رفض التعليم بين الشباب ، تفكيراً فى سرعة اختصار الزمن وقطف الثمار ، فيترك قاعات التحصيل والتاهيل ويذهب عاطلاً خاملاً يتكدس فى ديار الغربة يمارس ارنل الافعال معطياً سيئ المثال ... وينشأ أطفال الاغتراب اجيالاً تكبر مغتربة أو مهاجرة لا تعرف نكهة الطين والتاب ، تتذمر من الكتاحة والغبار ، تلعن بلا سبب الندرة والمعاناة ، ولا تصبر على جحيم الصيف ومغالبة شح المياه وانتظار عودة وقطع الكهرباء وتسلق وسائل المواصلات وخشونة الماكل والملبس والمأوى وضيق فصول الدراسة والتعليم ، ويغيب عنها انه (لا بد من صنعاء وإن طال السفر)

ومن يعيش رجلاً يسرى عجباً

عاشت مايو رغم تنظيماها سلطة دكتاتورية ، ودولة بوليسية يحرسها الجيش وأجهزة الامن المختلفة ، وبالرغم من ذلك حدث الكثير من المحاولات الانقلابية

والمظاهرات ولكنها كانت دائما تنتهى الى ما يزيد ثقة النميرى بنفسه
وبأجهزته الامنية لفطير فكرتها واختلاف منفذها وخيانتهم ... وتحت الرماد
بدأت رجب بمظاهرات الجوع المحرومين وهتافات امعاء ويطون خاوية ، بدأت
" بالشَّمَّاسَة " وكان احتمال ضربها واخمادها اقرب فى اذهان من اسقط
من تقديره معنى الثورة الشعبية كاكْتوبر ، اما ثقة فى الحاكم أو لشدة
الردع والضرب والقسوة التى تواجه بها أجهزة الامن الجماهير الثائرة
والمظاهرات السابقة فى محاولات ازالة السلطة المتكررة ، او تصديقا
لوسائل الاعلام والتخذييل . ثم زال حاجز الخوف والتردد وبدأت طبقات
اخرى تظهر فى الشوارع تظاهرا وهتافا ، كل الناس بمختلف فئاتهم واتجاهاتهم
السياسية ، فجمعت صرخات شعب يئس ويئس وغضب وثار
ثورة شعب يعانى الفاقة والحرمان ، فهم يهتفون بإيقاف سياسة التجويع
والتبعية لصندوق النقد الدولى ، رغم هتافهم بسقوط البنك الدولى وقد تشابهت
عليهم البقرة .. وانفجر الموقف تحت ضغط الاسباب السياسية والاجتماعية
والاقتصادية ، بالرغم من ان كل رجالات الرئيس يرون ان فى الموقف مؤامرة
احزاب عقائديه .. وانبهر العالم بانضباط المتظاهرين وسلوكهم الحضارى
رغم كثرتهم ، لا تخريب ، لا نهب ، لا كسر متاجر وسرقة محتويات ، كما
يحدث دائما فى مثل هذه الثورات الشعبية فى كثير من انحاء العالم ،
بالرغم من ضيق العيش وشدة الحاجة وامكانية انتهاز الفرصة وتكرر
الموقف كما حدث فى اكتوبر ١٩٦٤م وتلك إحدى أعاجيب هذا الشعب
الفريد ... تلك كانت بداية الانتفاضة التى تواصلت مظاهراتها حتى موعد
الانتصار ليلا وضحي بالإنحياز الإيجابي للقوات المسلحة لجانب الشعب ... فى
ثورة كانت فى مضمونها الاجتماعى انصاف المحرومين واسماع كلمتهم ، فاذا
هى بين ايدي الاحزاب تهتم بالطبقات السلطوية العليا وتفرق فى بحر من
الفساد والافساد والترف ... مما قاد لسيطرة شعور الاحباط على جماهير
احزابها طائشة حمقى سادرة فى غيها ، لا تعى .. تعد فتخلف ، وتبرر
تسود وتقرر فقط بارادة السادة ونل التابعين ولزموا التبرير ، تقول بعض

الدوائر ان تعديل مقابلة نميرى لريجان فى واشنطن كان بغرض ابعاده عن الخرطوم اثناء قيام الثورة فقد سبق ان راقص كارتر زوجة الشاة اثناء إتفاق الجنرال هاويز مع الشيعة لاسقاط الشاة فى ايران ... ولا يهم لمصالح من كان ذلك بقدر ما ان شعب السودان ، شارعاً ورأياً عاماً ، ارادها ثورة وطنية من كل عقله وقلبه ضد إستنزاف اموال الشعب وتبديد المساعدات والقروض والاعانات والاستدانان وتوجيهها لغير التنمية والاستثمار بتحويلها للحسابات الخاصة فى الخارج والداخل ، مما افقد الامن واضاع السيادة ورهن القرار السياسى واضاع الشعب واجاعة

التنمية

(نامى جيع الشعب نامى) ... (١)

هناك صعوبات تقابل السودان فى طريق التنمية بالرغم من وفرة الموارد الطبيعية ، منها زيادة السكان من أهله واللاجئين (٢) ومتطلبات احتياجاتهم الغذائية ، وندرة الموارد المالية اللازمة خارجياً وداخلياً ، وماتم من هجرة الكفاءة والكوادر المؤهلة واغترابها عن الوطن تلبية للجذب الحضارى والمادى وفعل السياسة والادارة ... والتي لن تعود اغلبيتها الا بعد ان يؤكد لها الحاكمون جدية استشراف المستقبل وتبصر معالم الطريق ، وواقعية البناء للوطن بالإحصاء والتخطيط (٣) والتدبير فيما يمكن توفيره من اموال للإستثمار لان ذلك يوقف التردى الاقتصادى الداخلى ويقلل التورط فى الديون والسير نحو الإفلاس ، ويحصر الإرادة والقرار السياسى الوطنى المرتهن ويصنع الامل فى ان تحقق الامكانيات الزراعية والثروات الطبيعية والمعدنية

(١) عنوان قصيدة للشاعر محمد مهدى الجواهرى .

(٢) يبلغ عدد اللاجئين بالسودان ١,٢٥ مليون شخص ، وعدد النازحين من جنوب السودان شماله تحت ضغط المجاعة والجفاف والحرب ٣,٥ مليون

(٣) التخطيط فى السودان تخطيط قصير المدى يلبى حاجة معينه أو يحل أزمة قائمة ، ولكن يجب ان يمسير تخطيطاً تكاملياً طويل المدى ، يجمع بين استغلال الموارد الطبيعية واستمرار المحافظة على البيئة

الاكتفاء الذاتى ... ثم تعويضها عما تجده فى الخارج من تقدير واعتبار لكفاءتها ومقدراتها ، وتوفير وَضْعِيَّة مطمئنة ومريحة لها فى بلادها

التنمية فى السودان قوامها القطاع الزراعى ... فهو يستوعب ٨٠٪ من القوى العاملة فى السودان ، ويكُون اعلى نسبة من الدخل القومى ٣٠٪ (١٩٨٦-٨١) و ٣٥٪ (٩٠/٨٩) ، كما ان المصدر الرئيسى لعائدات السودان من النقد الاجنبى من المحاصيل الزراعية فهى تدر فى المتوسط حوالى ٧ و ٨٨٪ من مجموع عائدات السودان من الصادرات (١٩٨٦-٨١) وتضم اراضيه ٥٩٨,٧ مليون فدان اراضى خصبة ٢٠٠ مليون منها صالحة للزراعة (٤ و ٣٣٪) المزروع منها ١٩ مليون (٩٥٪) من الاراضى الصالحة للزراعة ... ومع ذلك كله فقد (استخدم السودان حوالى ربع عائد البلاد من العملات الاجنبية المتأتى من بيع الصادرات الزراعية فى استيراد منتجات زراعية لمقابلة النقص فى الاستهلاك المحلى فى الفترة ٧٠ - ١٩٧٧) (١) وتقييم الدوائر الاقتصادية وخبراء الاقتصاد فى البلاد بان

نصيب الفرد السودانى من الدخل القومى ٣٠٠ دولار وبلغت المديونية الخارجية عام ١٩٧٠ ١٥٠ مليون دولار وبلغت المديونية الخارجية عام ١٩٨٤ : ١٠ مليار دولار اقساطها السنوية ٨٠٠/٧٠٠ مليون دولار

وقد نتجت الفجوة الداخلية عن زيادة حجم الانفاق الحكومى . من موارده حتى وصل عام ١٩٨٤م الى مليار جنيه سودانى ، ويتم تمويل هذا العجز الداخلى بالاعتماد على النظام المصرفى وهو تمويل تضخمى ، ونتجت الفجوة الخارجية عن العجز المتزايد فى الميزان التجارى ، ويتم تمويل هذا بالاقتراض من المؤسسات التمويلية ولمدد قصيرة وبتكلفة عالية ، كل ذلك مصحوب بعدم امكانية الايفاء لسداد الديون مما ادى الى تراكمها .. ويرجع ذلك الى :-

هنالك انفاق حكومى فى المجالات غير المنتجة وسوء تخصيص الموارد بين

(١) اكساد ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية - المركز العربى لدراسة المناطق الجافة والاراضى القاحلة دراسة حصر وتقييم مصادر الاعلاف فى الدول العربية . . .

- اولويات القطاعات والصرف المتزايد على الدفاع والأمن كنسبة من الانفاق الكلى وانخفض الانفاق على الصحة والتعليم والخدمات الاقتصادية .
- ** تدهور الانتاجية في قطاع الانتاج الزراعى وتدنى حصيلة الصادرات .
- ** البنية الاساسية السيئة بما فى ذلك الطاقة .
- ** القصور فى برمجة وتنفيذ مشاريع التنمية مما ادى الى تاخير العائد وارتفاع التكلفة .
- ** القصور فى اختيار القيادات والكوادر الادارية العليا
- ** سياسات إقتصادية خاطئة ، استهلاكية وتفاخرية وترفضيات وافساد .
- ** شروط وفوائد اقتراض مجحفة تقبلها البلاد ...
- ** تغطى الحكومات العجز فى ايراداتها بطبع النقود
- ** تفاعل سلبى ملحوظ بين انخفاض اسعار الصادرات الدولية وارتفاع العائد وتكلفة الديون ^(١)
- ** سياسة اهمال الريف وعدم توجيه المزارع ودفعه فى طريق الامن الغذائى ، وتحول المزارعين من زراعة المحاصيل الغذائية الاساسية لمزيد من محاصيل التصدير النقدية بينما الحكومة تدفع اسعار منخفضة للمزارع مقابل ما ينتج ، وهذا المبلغ المدفوع لا يساوى الا جزءاً يسيراً (١٠-٢٠ ٪) من سعر منتجاته فى الاسواق العالمية ، مما يجعل المنتج منهم فى مستوى الكفاية بغير فائض لتطوير الارض وشراء البذور المحسنة والاسمدة الكيماوية ومبيدات الآفات الزراعية والاجهزة والمعدات الميكانيكية
- ** ثم الاسباب السياسية فى ضبط تكليف المعيشة لصالح سكان المدن الكبيرة ، خاصة الموظفين وجنود القوات المسلحة ، والذين تلبي مطالبهم أرضاءً وضغطاً على المواد الغذائية محلياً بالرغم من ان المزارعين والرعاة هم النسبة الكبرى من العمالة

(١) ٥٨ ٪ من الدخل القومي لافريقيا لخدمة الديون ...

فى بلد كالسودان بكل تلك الامكانيات الزراعية والثروة الحيوانية الكبيرة (١) يقتات الكبار والصغار والاطفال الالبان الجافة المستوردة وتهلكهم المجاعات والتى يساهم فيها الانسان السودانى بدور اكبر من العوامل الطبيعية كالجفاف والتصحر والفيضانات والافات الزراعية المختلفة فى المؤتمر التداولى لدراسة مشاكل انتاج الذرة (٢) قدم محافظ مشروع الجزيرة ورقة عمل يقترح فيها استبدال زراعة الذرة فى المناطق المروية بمحصولات اخرى ... وجاء فى دراسة اللجنة الاقتصادية الافريقية (الامم المتحدة) الدورة ٣٩ (٣)

الدلائل تشير الى ان عام ١٩٨٤م فيما يتعلق بإنتاج الذرة والدخن سيشهد انخفاضاً يتراوح بين ٢٥-٣٠٪ فى مناطق الانتاج الرئيسية فى الشرق (القصارف) وبالرغم من زيادة ٢٠٪ فى الاراضى المزروعة فى الدمازين إلا ان الانتاج سيشهد انخفاضاً عما كان عليه فى عام ١٩٨٣ نسبة لتدنى معدلاته ، وبالرغم من هذا ان السودان ظل يستورد كل عام قرابة ٥٠٠.٠٠٠ طن من الحبوب لمقابلة النقص " ...

(١) تبلغ الثروة الحيوانية فى السودان ٥٠ - ٥٥ مليون رأس من الأبقار والأغنام والماعز والإبل ... يكون السوق المصرى سوقاً تقليدياً للماشية السودانية وخاصة الأبقار والجمال ، للقرب المكانى وزيادة السكان .. غير ان تجارة الماشية تسجل انخفاضاً نسبة لقصور الهياكل الأساسية بين البلدين وخاصة مجال النقل كما ان الإمكانية المحدودة للقطاع الخاص مع عدم الحافز لا تمكنه من منافسة المصدرين الآخرين .. وتمثل السعودية سوقاً رئيسياً للأغنام السودانية .. ولكن انخفاض نصيب السودان لصالح استراليا ونيوزيلنده وتركيا وبلغاريا وغيرها نسبة لارتفاع معدل استيراد اللحوم المبردة والمجمدة على حساب الحية ، و لارتفاع اسعار الماشية السودانية مقارنة بغيرها لارتفاع تكلفة التعليف و لتعدد الرسوم والضرائب ، و لأسعار الصرف غير التنافسية التى يحددها بنك السودان لذا فقد انتشرت ظاهرة تهريب الماشية مما افقد البلاد الكثير من العملات الحرة ...

(٢) ١٤-١٥ يونيو ١٩٧٢م وادمنى ..

(٣) المواقف الاقتصادية الحرج فى افريقيا الوثيقة ١٧/٣٩/٥٩٤ تاريخ

٢٣/١٠/١٩٨٤م الفقرة ١٢

وإجتمع السببان حكومة غافلة لا تتابع^(١) ولا تحصى ولا تخطط وتتكأ في توصيل الدعم وتترك مواد الإغاثة لتماسيح و"تتأبله" السوق الأسود، ومأنح يهدف لخلاف ما يقول، يرغب في الدخول في التحديات السياسية الاقتصادية والاجتماعية للوطن، ويحاول حل مشكلة الغذاء بجلب الغلال والمعلبات وهو يدرك جيداً ان الحل ليس الإغاثة المادية السريعة وإنما دعم جهود الدول الممنوحة لتنمية مواردها الذاتية بتوفير المال والتقنية والكفاءات الفنية.... وإعادة النظر في سياسة الدول الغنية التجارية في التعريف الجمركية والأسعار، وفتح أسواقها أمام منتجات الدول النامية حتى يتم تحرير التجارة الدولية وتزاح اوضاع عدم التكافؤ.....

وساء الحال حتى بلغ حجم الدين الخارجى على حكومة السودان ١٢,٧ مليار دولار حتى ١٩٨٩ وبلغت حجم التزاماته ٣,٧ مليار دولار....^(٢) وبلغت تقديرات الانفاق فى اخر موازنة للحزب يونيو ٨٩م ٢٦ بليون منها ٦ بليون إيرادات من الموارد الذاتية بفرق يستدعى التمويل ١٣ بليون جنيه (التَّضَخُّمُ الجنونى) ويسوء الحال رغم محاولات الإعتماد على الذات حتى صنَّفَ السودان كأحد أفقر خمسة دول فى العالم (أغسطس ١٩٩٠)^(٣).... مأساة التنمية والاستثمار فى السودان تكمن فى جبن رأس المال العربى وتردده وتقلباته والشخصية السودانية، أى فى رأس المال والعامل البشرى وبالرغم من مرارة بعض تجارب رأس المال العربى بالسودان كما قيمته دراسة المؤسسة العربية لضمان الاستثمار (الشرق الاوسط العدد ٤٢٥٥ الاثن ١٩٩٠/٧/٢٣) ...

... (اوضحت الدراسة ان ابرز مظاهر القصور فى دراسات الجدوى التى أعدت للمشروعات التى خصصت للدراسة هى :- عدم دقة تقدير عناصر

(١) سجلت مصلحة الإحصاء الجوى ارماسات الجفاف والتصحر فى عام ١٩٨٤ بإنخفاض معدل الأمطار إلى ٦,٧ ملم بينما المعدل الطبيعى ١٦٠ ملم (٢) ندوة ادارة الديون الخارجية فى العالم العربى - الكويت (دول ومؤسسات التمويل العربى).

* (٣) ديون السودان الخارجية بلغت حوالى ١٣ مليار دولار (السودان الحديث ١٢/٢٦ /٩٠).....

التكاليف سواء تكاليف الاستثمار الثابتة ام تكاليف التشغيل
بالاضافة الى عدم واقعية التوقعات الخاصة بالطاقة الانتاجية وتطورها ..
ونلاحظ ان غالبية دراسات المشروعات كانت تتضمن توقعات مبالغ فيها بشكل
كبير .. كما تتضمن كثير من المبالغة فى تنويع الانشطة بشكل يفوق القدرات
المالية والتقنية للمشروع ، وبشكل لا يتناسب مع احتياجات السوق ، بالاضافة
الى اختيار تكنولوجيا غير ملائمة فى بعض المشروعات الصناعية .. وتعكس
هذه العوامل عدم خبرة الشركة التى تعد دراسة الجدوى ا وعدم اعطاء
الاهتمام اللازم بدراسة اوضاع البلاد وتوفر المعلومات الاقتصادية والاحصائية
الدقيقة ...

وفى السودان تمت دراسة ستة مشروعات يبلغ اجمالى رؤوس أموالها
حوالى ٧٦١,٥ مليون دولار يبلغ اجمالى المساهمات العربية فيها حوالى
٤٤٤,٥٠٥ مليون دولار أى نسبة ٥٨ ٪ ، ومن هذه المشاريع التى اقيمت فى
السودان مشروع واحد فقط حظى بدراسة جدوى واقعية .. وفى السودان ايضا
استهلك احد المشاريع العربية السودانية المشتركة خمس دراسات جدوى مختلفة
ومتناقضة ، وبدأ كمشروع للثروة الحيوانية ، ثم انتهى بإنتاج الأعلاف
والسلع الزراعية وتم إغلاقه وإفنتاحه اكثر من مرة بسبب خسائره المتراكمة) .

إلا ان هذه المبالغ المذكورة لا تتناسب وكمية الاموال العربية
المستثمرة والمودعة فى الخارج .. كما أنها اعتمدت على خبرة
بشرية تجهل حتى الظروف المناخية فى السودان والتى تتميز بارتفاع
الحرارة وتشبّع الهواء بالأتربة والغبار .. وتغفل حاجة المشروع
المعين للسيولة المالية للموسم الزراعى الاول ...

علماً بأن اجمالى الاموال العربية فى الخارج يبلغ ٦٧٠ مليار دولار ،
 واجمالى الاموال اليابانية والامريكية ٤٤٥ مليار دولار ، (١) ومع ذلك يستورد العالم

(١) المؤسسة العربية لضمان الإستثمار

العربي غذاءاً وقمحاً^(١) بما يبلغ ٢٠ مليار دولار ويصرف أكثر من ذلك في الكماليات والترف والفساد والإفساد ويُذعن للسيطرة والهيمنة الاقتصادية الخارجية لتفرض عليه شروط التعامل التجاري والاستثماري وينسون السودان وارضيه وامكانياته ... ويتحدثون عن الأمن الغذائي العربي وتصيد اليابان وغيرها ، اسماك البحار حولهم وتصنعها ، وليابان سفن لصيد السمك مجهزة للإبحار في رحل طويلة وبعودتها للساحل يكون الانتاج المعلب جاهزاً للاستهلاك والتصدير ومن ثم ياكله العرب في اسواقهم معلباً ... وينسون الانسان السوداني والعربي معاً ، فبينما أنهى البترول حرفة صيد اللؤلؤ في الخليج العربي ، تزرعه اليابان في شواطئها وتملأ به اسواق العالم واسواقهم أولاً

وعن إنسان السودان ، تتعدد القيود ... الخدمة المدنية وترهلها وضعف البناء الإداري والخلط للأدوار الوطنية في فهم النقابيين والمهنيين - طاقة الخدمة والتففيذ - ففي ظل غيبة هيئة الدولة استغلت النقابات التداخل بين الولاء الحزبي والعرف النقابي المتوازن بين زيادة الانتاج وجودة الاداء والمطالبة بالحقوق وصارت وسائل للضغط السياسي ومنابر للتعبير عن الرأي المضاد للحكومات لتعهد اليها بنصيب في الوزارة مواز للأحزاب السياسية ... وذلك تاريخ لها معلوم منذ جبهة الهيئات اكتوبر ١٩٦٤م ، والتجمع الوطني ابريل ١٩٨٥م ، والحكومات الانتقالية و تجربة ضغط النقابات والقوى الحديثة على السيد صادق المهدي وتكوين حكومة القصر قبل الانقاذ ... وللإنسان السوداني دور آخر في توجيه سياسة البنوك الداخلية في التمويل التجاري والتموي الاستثماري فجميع البنوك ربوية واسلامية لم تؤدي الغرض منها حيث لا موضع قدم للفقير فيها تمويلاً ...

(١) لماذا لا يكون السودان مزعة القمح العربي الكبرى ، وقد أزال قوانين الاستثمار وضماناته الخوف من المصادرة والتأميم... ولا معنى للأمان بوجود المقدرة على التجميد حيث تستودع تلك الاموال في أماكن اخرى في البنوك الغربية والأمريكية ... ومن المؤكد ان تكلفة هذه المزرعة اقل من جملة الأثنى عشرة مليار دولار التي ستدفعها كل من السعودية ودولة الامارات المتحدة وحكومة الكويت مساهمة في تكلفة قوات عملية " درع الصحراء .. " ويرتاح السودان من مشاكل توجيه سفن القمح لغير أهدافها

تتعامل مع الرأسماليين ومعارفهم واهلهم ، أى مع الاقوى ماديا وتزيد ثراء ،
لم تشارك فى تشييد البنية الاساسية للوطن ، ولم تمول مشاريع تحوية فى
القطاع الزراعى خاصة لأنها تبحث عن العائد السريع المضمون فتمارس
العمليات التجارية وتفضلها ويسيل لعبها لهثاً وتتبعاً لها ... أما إن وجد
تمويل لمشاريع صناعية وزراعية محدودة فإن ذلك يقوم .. على المعرفة
والعلاقة الشخصية بين ادارة البنك وموظفى الاستثمار و... عمل وليس السمعة
والمقدرة المالية فقط ... والأدهى والأمر أن فى بعض البنوك يوجد موظفون
يشاركون بعض الرأسماليين مما يخل بمبدأ عدالة ندية التعامل مع العملاء
ومساواة توزيع الفرص ومعاملتهم بالمثل ويتيح فرصة للمفاضلة والميل لجانب
العميل الشريك وخاصة عند ندرة الفرص وكثرة عدد المنافسين ، مما يرجح
كفة المحاسيب ومراكز القوى ويبرز تقسيمها بين ذوى الادارة والنفوذ
ولم تخل من ذلك حتى البنوك الاسلامية والتي نجد أن بعض
ممارساتها تركّز على عدم القناعة بإمكانية تطبيق الاقتصاد الإسلامى وتجسيده فى
المجتمع خلاف ما هو مخطط له ومؤمل فيه ، وفق ما يلزم ذلك من تركيز
لمعنى أن المال فى الاسلام مال الله والإنسان مستخلف فيه ينفقه وفق
توجيهات القرآن والسنة ، متبعا عدم الإكتناز وعدم الإحتكار ، والمداومة على
إعمار الارض ، واستثمار المال وزكاته وتحقيق التكافل الاجتماعى من خلال
الزكاة والقروض الحسن

وقد ابتعدت البنوك الاسلامية فى بداية عهدها ، ولزمن يشكل اغلبية
عمرها ، عن الدخول فى الإستثمارات الزراعية والحيوانية راکنة للعمليات
التجارية سريعة العائد بكل أنواعها ودرجاتها ، مما يؤدى لتركيز الاموال عند
الاغنياء ذوى الضمانات المالية والعقارية .. ورفضت تمويل المشاريع الزراعية
بنوعها النباتى والحيوانى بحجج مختلفة ولأسباب غير موضوعية وبصيغ وردود
تبريرية شَم منها البعض رائحة أن البنوك الاسلامية تعتبر الدخول فى تمويل
التنمية الزراعية كأحد بيوع الغرر التى تحتوى على جهالة أو تتضمن
مخاطرة أو قماراً ، لأن الزرع والضرع تحفهما إحتتمالات المخاطرة والهلاك

الجزئى أو الكلى المفاجيء فعلوا ذلك ونسوا بأن المال رغم إنه خادم أمين ، إلا انه سيّد قاسى ربما يزيّف الشعور بالأمن والإستقرار مما يبعد فكرة الاعتماد على الله صاحب المال ... وبما ان المال يساعد على ابراز عامل الإحساس بالأمن تجاه المستقبل ، ويدخل الطمأنينة في مسيرة الحياة ، مخادعة وتخديراً ، لذا فهو يصلح تماماً ان يكون ميداناً عملياً لإختبار حقيقة التوكل

ويعتبرها البعض بنوكاً مَخْتَرَقَة ، نسبة لأنها تضاد فكرة الربا فى البنوك غيرها ، ونسبة لظروف تأسيسها زمن السلطة المطلقة وشكوك المصالحة ، مما ادخل فيها حسابات أمن السلّطة بادخال بعض العناصر ، وكذلك وجَد فيها طالبى الثراء فرصة لادخال بعض من يرمى شئونهم ومصالحهم من دون ايمان بالفكرة وبكل مجهود للجمع والتصرف .. وأباض أمثال هؤلاء وأفرخوا واقنعوا غيرهم بسلوك نفس الطريق .. وبالرغم من ان هنالك من لاحظ واحتجّ وذكرَ إلا انه سرعان ما يغادر المؤسسة كامثاله ، إمّا إبعاداً أو احتجاجاً أو تنقلاً وصحب تجربتها من تربع على رأس الادارة أو صار عموداً ضمن قمتها ، إمّا مداهاً مرآئياً لا يؤمن بفكرة الاسلمة الاقتصادية ، ولكنه يسير مرغماً بنيتة أو بفعل غيره من هو فاقد لسابق التجربة المصرفية المالية او المعرفة الاقتصادية ولكنه مسنود ومدفوع بركن أهل الثقة والولاء السياسى او التنظيمى ... كل ذلك وغيره جعل ثمة فجوة بين الفتوى والتطبيق فى تجربة البنوك الاسلامية لان بعض موظفيها يتخطون الفتوى تنفيذاً واهتماماً بالعمليات التجارية والاستثمارية فى حدود ضماناتها المالية دون سلامتها الشرعية

وجاء اخيراً ما يؤكد ذلك من قمة خبرائها ، وبشهادة شاهد من أهلها " لا توجد مؤسسات عملية تجسد الإقتصاد الإسلامى وتجارب البنوك الإسلامية الحالية فاشلة بسبب الطفرة والاعتماد على العاطفة " (١)

** (١) أحمد النجار - الأمين العام للبنوك الإسلامية (المسلمون العدد ٢٧٩ يونيو ١٩٩٠ م)

(من رضى عن نفسه كثر السّاططين عليه)

قصتان تلخصان الشخصية السودانية كعامل تنمية احدهما في بلاد الانجليز المستعمر السابق ومن عرف السودان عن قرب ومعاشرة ، والاخرى في امريكا الدولة العظمى ... ومن يغيب عنه دور امريكا في ارض السودان (١) والعرب ... اولاهما : ذكر ان مفتش انجليزى عمل بالسودان ويعمل يومئذ خفياً لعمارة ، نسبة لان المعاش لا يكفيه ، بان الحاكم الانجليزى كان يقول لهم " لا تعاملوا السودانين كالهنود لان السودانى لا يذلل فهو يَمَكِّنُه ان يعيش بالضراية (الويكة) والذرة وحدهما ولا يرضى ان تهان كرامته " كان ذلك ايام المجاعة فى السودان ٨٤/٨٥ وقال بان " السودان الذى يعرفه لا يمكن ان يصل الى ما يطالعه فى الصحافة العالمية حتى ولو حكمته لجنة تخريب أوكل اليها مهمة دماره " ... ولعل " الخواجة " قد بكت نفسه مواضى الايام ودار بمخيلته شريط الذكريات بارض الخير والبركة وسهولة الحياة .. وتذكر المناظر التى يراها من فوق ظهر جملة وحصانه عند المرور ، وتذكر اشتراكية النّفير والضحوة والسربة والضرا وايام الفكى والخلوة واصرار البحث عن الماء بالرقعة والرّشا من جوف الآبار وتخزين ماء الامطار فى جوف اشجار التبلدى ... ومَرِحَاتِ الإبل والضأن والماعز تتوسط خُضرة وديان الخريف . ومواكب الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وتعاون الدفيع والخئة فى مناسبات الأفراح والاتراح ، وصنع وتقديم الطعام للضيف والمحتاج وبذر الذرة للغاشى والمأشى وتخزين المحصول فى السويبة والمطمورة ، وتذكر قرأصة القمح وكسرة البفرة (الكسافا) والكابيدة وتراعى لناظرية قدح العصيدة المكدوب الظهر يكسوه بياض الرّوب وبريق السمن وصفرة الدخن (وليس من رأى كمن سمعا) اما القصة الثانية فقد حدثت فى عام ١٩٦٤م عندما ذهب راويها مبعوثاً لامريكا- لجامعة اوهايو لدبلوم التسليف الزراعى ...

(١) رواها شفاهاً للكاتب السيد يعقوب ابراهيم عثمان - الخرطوم الرياض مايو ١٩٩٠م .

وكان المحاضر يومها مستشاراً في البيت الابيض الامريكى يقول : "وصل تقرير البيت الابيض بعد استقلال السودان ١٩٥٦م يفيد بأن كل عوامل التنمية الزراعية متوفرة في السودان ، الاراضى الخصبة الواسعة المستوية والمسطحة ، و النيل و الامطار ... و بما انه الاقرب الى الاسواق الاوروبية فهو يشكل خطراً بالمنافسة التى تضر بمصالح امريكا الزراعية ، وخاصة فى الحبوب الزيتية و الاعلاف ، وخاصة بوجود فائض المال فى امريكا و المانيا و اليابان " وواصل " وفى رأيي ان ذلك لا يُشكّل أى خطر حسب نظرتي التى تقول بأن للعامل البشرى فى التنمية ٩٠٪ ، و ما تبقى ١٠٪ للمال و الارض ، و الدليل على ذلك اولاً العنصر البشرى فى اليابان و المانيا و اسرائيل و ما احدث من تغيير ، و العامل البشرى فى السودان صفر ٪ و الدليل على ذلك منذ ١٩٥٦م و حتى اليوم ١٩٦٤م اضطرتنا ان نمنحهم جزءاً من غذاء خنازيننا و حيواناتنا و دواجننا لنهب لهم الحياة و اصبح المنافس يغاث نسبة لضعف العامل البشرى " ...

وقال العم يعقوب ^(١) (إنها قصة مؤلمة ولا زالت عالقة بذهنى وأصبت يومها بالخل و غشيني الإجباط ولم استطع مواصلة المحاضرة لملازمة أعراض الإنهزام النفسى) و ذكرته بأن ذلك تكرر فى عام ١٩٨٥م و لا زال الوضع كما هو فى ١٩٩٠م ... ولقد تكررت مشاركة الشعب السودانى خنازير امريكا و حيواناتها فى غذائها عام ١٩٨٥م ^(٢)

(١) ١٩٦٤م مدير فرع الخرطوم ، ومدير التسليف بالبنك الزراعى ...

(٢) فى الموسم الزراعى ٨٩/٩٠م أضاع السودان عشرات الملايين من جالات الذرة بغير نقص الايدى العاملة و غلاء عمليات الحصاد . وفى موسم ١٩٨٩م بلغ الإنتاجى الإجمالى للذرة ٢,٥ مليون طن فقط (صحيفة الإنقاذ) ، ليقفر سعر أرب الذرة لأكثر من " ٢٢٥٠ " جنيه فى مناطق الإنتاج ... و يستمر سوء التخطيط والإدارة و الإحصاء و حسن التوقع الخاطى ، إنه صراخ البطون و هتاف الجياع ولعبة السياسة فى السودان ، وكلاهما يهمهم رعد الأمطار وبرقها مما اضطرت وزارة التجارة لتسعير الذرة وإدخالها بطاقة التموين ، و شراء كل المخزون بواقع الجوال ٦٠٠ جنيه بسعر يفوق ضعف سعره عام ١٩٨٥م ... وفجأة تعلن وزارة التجارة عدم تدخلها فى شراء الذرة لموسم ٩٠/٩١ (السودان الحديث ٧ نوفمبر) وتمنع البنوك التجارية من الشراء لصالحها أو صالح عملائها ويتوقع ان يكون إنتاج ٩٠/٩١ ، ١,٦ مليون طن .

ومتابعة لذلك حضرَ بوش نائب الرئيس الأمريكى يومئذ شخصياً للسودان وزار معسكر النازحين حول مدينة الأبيض ، حاضرة عروس الرمال ، فى ٧/٣/١٩٨٥م حيث انبرت امرأتان ترفعان الدعاء واكملتا جملة بسيطة ، جمعهما اثر الموقف وتوافق الإنفعال ورد الفعل ... " بوش ^(١) ربنا يَنْطَلِكْ حَجَّة ^(٢) وَيَدْخُلْكَ الْجَنَّة ^(٣) انها جملة بسيطة يحسبها من يقرأ بالنظر تعبيراً ساذجاً ونكتة بلدية جمعت بداهة الريفى بشمال كردفان ولهجة البقارة بجنوبها الغربى ، ولكن القارئ المستبصر يجدها ذات أبعاد شتى فهى تجمع وقع العطاء وأريجيتها وفاعلية الدعاية ^(٤) وتدبير المخبرين ، ووقع المشاركة الوجدانية الميدانية ، وفيها عمق وسذاجة فطرية التدين الشعبى فى انسان السودان القروى البسيط ..

(١) البوش حفل العرس والختان فى القرى والأرياف والوديان والفرقان ، تجمع الوليمة فيه بين العظم واللحم وقدر العصيدة وكأس الخمرة ((المريسة)) و ((العسليّة)) لمن يرغب وحسب الطلب والمجموعة

(٢) يَنْطَلِكْ : يعطيك

(٣) ذهب رهط المرجفين فى المدينة ينقلون الخبر ويزيدون فيه ، وهم يعملون براعة النكتة السياسية والكراتير فى تلخيص المراد (كان بوش ما دخل الجنة إلا تكون سلطنة ساكت) ، .. فقد كان اللواء الفاتح بشارة وقتئذ اميراً حاكماً لكردفان ، والناس على دين ملوكهم ، وفى الاذهان قصة اتهامه لبك فيصل الاسلامى بتخزين الذرة والفحم ... وتلك غميمة يؤكد بها عداءه السياسى للحركة الاسلامية وخاصة بعد المصالحة والمشاركة فى عهد مايو ...

(٤) لم تكن المساعدات والإغاثة الأمريكية غرض فى ذاتها ، وإنما كانت تكتيك وواسطة المنظمات والغرب لتحقيق الاهداف المبرمجة ، ليحكم سيطرته على القرار السياسى ، .. فقد اُكتشِفَ احتواء بعض صناديق المواد الغذائية وعلبها على اسلحة وذخائر فى معسكر النازحين بالجلد بكردفان بعد ان ذهبت مايو .. أين من ذلك فشل وانحراف جهود الاغاثة السوفيتية فى اثيوبيا .. واخيراً تساوم امريكا واسرائيل اثيوبيا بعد سقوط مَصَوِّع فى ايدى الثوار بان تستمر عمليات الاغاثة مقابل ترحيل بقية اليهود الفلاشا الاحباش ... إذن هى عندها كليهما سلاح استراتيجى سياسى ...

وهي نتيجة الجهل المراد الموروث المغرورس وغفلة ، الامير وفيها حرارة الدعاء وصدق وسرعة إنطلاقه

بلاد السودان التي كانت تجد رزقها رغداً في كل مكان زرعاً وضرعاً ، تجمعت عليها عوامل الطبيعة (الجفاف والتصحر وجرف التربة وتغير المناخ و قلة الامطار وانعدام المراعى) وهوان بنيها وقعودهم واهواؤهم وخمولهم ومطامع الشعوب ... إنها

الاراضى الممتدة الخصبة

باطن الارض يضم المعدن والبترول

وطن فيه كل هذا لا طريق له غير التنمية حتى يفى بالديون لضمان تدفق المال لاكمال ما بدأ وبداية ما يدرّ الخير... إن جاء عفو الدين من صاحبه فذلك شأنه وتلك ارادته ، وإلا فلا بد من الوفاء به .. فقد سبق أن نادى احد الروساء الافارقة بالتمرد على الدائنين وسبق ان اعلنت بوليفيا تجميد دفع اقساط ديونها الى حين ... و اعلن رئيس بيرو (الان قارسيا) فى ١٣/٥/١٩٨٥م تمرده على الديون وعلى صندوق النقد الدولى ... و طلب جيوليوس نيريرى رئيس تنزانيا من الدول الافريقية الاتحاد حول ما اسماه (سُلْطَةُ الدِّين) بالتمرد على الديون العالمية وعدم دفع ارباحها المستحقة ... وقال الرئيس الاثيوبى منقستو عن ديون افريقيا التي فاقت ٢٥٠ مليار

دولار .. " إنها لم تعد فقط مصدر قلق بل ، لم تعد لدينا القدرة لدفعها . " (١) ... بالنسبة للسودان يمكنه ان يفى بديونه اذا دخله رأس المال العربى الكبير الذى يعمل فى خارج ديار العرب واذا استطاع السودان بعد ذلك ان يؤمّن جزءاً من الغذاء العربى تكون تلك عدة فى حرب الغذاء والمياه القادمة ولتسير الاقطار العربية خطوة نحو الوحدة ولا وحدة بدون تنمية اقتصادية (٢)

(١) افتتاح مؤتمر القمة الأفريقى باديس أبابا يوليو ١٩٩٠م (منقستو)

(٢) هل يمكن ان تكون مجالس التعاون الاقتصادى العربى الاقليمى (مجلس التعاون العربى ، مجلس التعاون الخليجى ، مجلس التعاون المغاربى) نواة للوحدة الاقتصادية العربية الشاملة .. أم هى مجرد واجهات سياسية إعلامية تعيش أوهاماً بعيداً عن الواقع كما أظهرتها واقعة الإجتياح ، العراقى للكويت ، ليكفى عنها تحالفاً غربياً عربياً أمريكياً ، يحدد مسار الواقع العربى الجديد ...

لقد بدأت الخطوات والعمليات الوجدية في أوروبا وسيتم اعلان البيت الاروبي الكبير (السوق الأوروبية المشتركة) (١) في بداية عام ١٩٩٢م وبدأت الدول الغربية والمنظمات الدولية تخفيض مساعداتها لدول العالم الثالث وتوجيهها لدول شرق أوروبا بعد التغييرات الانقلابية التي طرأت على نظم الحكم هناك لمتابعة الاصلاح الاقتصادي ، وسيلحق بذلك تغيير كامل للاستراتيجيات الدفاعية باعادة تنظيم حلفى الناتو وارسو العسكريين وخلق بديل أوروبى مشترك عنهما

ولا يزال السودان كغيره من الدول ذات الاقتصاد الوطنى في طريق النمو يواجه صعوبة رأسمال كاف للتنمية ، وذلك نسبة لحقة دائرية تحيط بالسياسة الاقتصادية ... (لا يمكن توفر رأسمال ضرورى للاستثمار لان ذلك يتطلب ارتفاع ملحوظ في الدخل القومى ومن اجل هذا لابد من زيادة الاستثمار) (٢) والرأسمال المطلوب نقديا وتقنيا (اجهزة وتجهيزات) ... وبما ان السودان هو احد دول التقنية المحدودة فانه مجبور لتوجيه المساعدات الاجنبية لمحاربة البطالة والتخلف وهى مساعدات مشروطة (شروط سياسية) (٣) وهى اقل حتى من الحاجة ، وشروط فوائدها تنقل كاهل الاقتصاد الوطنى النامى ، وبما انها تدخل فى هوة التخلف والبطالة العميقة فلا اثر يظهر لها ، هذا ان خرجت من افواه تماشيح السلطة والسوق وليس أنسب للسودان من أن تتطلق تنميته من الداخل وبعوامل ذاتية وطنية باستثمار موارده الداخلية وتطبيق نظرية استثمار العمل والتي نجدها متأصلة في روح التعاون السودانى ...

(١) مشروع (1 أوروبا ١٩٩٢م) سوق اوروبية كبرى يتحرك فيها الافراد ورؤوس الاموال والسلم والخدمات بحرية تامة وبدون ادنى قيد او شرط بين اثنتى عشرة دولة هى الاعضاء فى الجماعة اوروبية .. ويتمثل ذلك فى ازالة كل الحواجز والحدود المادية والفنية والسياسات الاقتصادية التى تقف عائقاً امام إنتقال الاشخاص والبضائع ورؤوس الاموال بين اعضاء الجماعة ...

(٢) تم حل الجناح العسكرى لحلف وارسو فى ١٩٩١/٢/٢٥م فى بودابست وأبقى على الجناح السياسى حتى عام ١٩٩٢م فى اجتماع حضره اعضاء الحلف الست

(٣) التفسير الرأسمالى للتنمية

(ان الرأسمال واستثماره هو الذى يحدد ارتفاع الدخل القومى ويحدد مستوى القوى

الضرورية للنتاج او مستوى الشغل)

وقد جربت هذه النظرية عالميا فى ظروف محدودة فى محاربة العطالة المقنعة واستخدام الاراضى ، ولكن يمكن تطبيقها حتى تكون اداة للتنمية الاقتصادية فى الاراضى الحكومية والملك الحر الغير مستغلة او غير المستغلة بما فيه الكفاية .. وتوزيع فائض العمالة والبطالة المقنعة عليها ليتكون رأسمال لازم للاستثمار بعد الانتاج والنمو الاقتصادى وبذا يتوازى استثمار القروض والمساعدات واستثمار العمل المحلى علماً بان الاستثمار الخارجى فى افريقيا يَواجَه بالإضافة الى عدم الاستقرار السياسى بالفساد المالى المستشرى فى مجتمعاتها وسلطاتها ، وتزايد البيروقراطية وانشغال الانظمة فيها بامنّها السلطوى والشخصى بعيداً عن دائرة أمن الدولة ، اكثر من انشغالها بالتنمية ... وان تجربة المستثمر الاجنبى فى السودان امامها ماضى تجربة بعض البيوتات المالية والعائلات العاملة فى مجال التجارة والتي خرجت بتجربتها الميدانية وامكانياتها العملية بعد سؤدنة التجارة بعد اكتوبر ١٩٦٤م ، وكذلك مضايقات الرقابة العامة بعد مايو ١٩٦٩م ، وان هذه التجارب بالرغم من انها تَمَّتْ على المستوى الفردى إلا انها تعكس اثراً فى زعزعة ثقة المستثمر و سكون إطمئنانه على مصير امواله ، كما ان المستثمر الاجنبى امامه المفاضلة بين اعظم الفرص وتنوعها لاستثمار امواله فى كل بقاع العالم ، وان المستثمر المحلى اكثر ارتباطاً بوطنه لتوجيه استثمارته داخلياً ما استطاع وما اعين على ذلك

إِنَّهُ (فَتَى وَلَا كَمَالَكَ)

ما سرُّ مارد الشرق الاصفر الذى اخاف الغرب ؟!

اليابان كيف قامت من كبوتها الذرية (هيوريشيما - ناجازاكي) ونافست الدول الصناعية الغربية فى اسواقها وتفوقت عليها . وصنعت منتجات عالية التطور التكنولوجى والجودة ، لا سيما فى الالكترونيات والكمبيوتر والروبوت وصناعة السيارات لتهدد بها الاسواق الغربية فضلاً عن المنتجات الزراعية ... حدث ذلك لاهتمام اليابان بالناحية العلمية بتغيير اتجاه السياسة التعليمية مرحلياً لمواجهة احتياجات المرحلة .. وللاهتمام بالدراسات المستقبلية ،

وان اليابان قد نبذت الحروب الى الابد ^(١) والتزمت بالسياسة الدفاعية البحتة (قوات الدفاع الذاتى) وانها توجه السياسة لخدمة الاقتصاد، واتبعت إنتهاج سياسة خارجية محسوبة بعيداً عن الانفعالات والتشنجات والمغامرات ... كما يمتاز اليابانيون فى العمل بالنظام والدقة، وفى التعليم بالدراسة والبحث والعمل والتربية، ويملأون نفوس الشباب الفتية بقوة الابتكار، ويتعاملون على أساس التربية والأخلاق، ويقوم العمل الحر بعيداً عن الاستغلال، فلا المؤسسة تستغل العامل ولا العامل يستغل وظيفته لأنه يعلم أن سجله الأخلاقى ينظر اليه قبل الكفاية والشهادات ... ويستمر عطاء العامل بلا تحديد لسن معاش حيث يصل الانسان سن المعرفة والاتقان والخبرة والهدوء ... ويسير التعليم سوياً مع التربية والسلوك، والانضباط مع تنمية المهارة الفردية وتركيزها وترجع طفرة اليابان للبرنامج اليابانى للتعليم، حيث يعتبر خير برامج العالم التعليمية، وأن المتعلم اليابانى اكثر شعوب العالم إحاطة بالخبرات الضرورية فى حقول المعرفة المختلفة

وتتركز الثروات لدى الشركات الكبيرة مع توازن القطاع الخاص والعام ... ولكل من المدير والعامل والتقنى نصيبه كمشريك حسب الاداء والبذل والاخلاص . ونجد ضمور او زوال الفوارق الاجتماعية العميقة بين افراد المجتمع مع تحديد الخطأ فى أوانه، وسرعة الحسم مع عدالة الاحكام وصرامة القوانين وسطوة التقاليد والاعراف، وتتعدم فى مجتمع اليابان الصراعات القبلية والعشائرية والمذهبية الدينية والايديولوجية ... وتحمل المؤسسات الخاصة فى اليابان العبء الأكبر من نفقات البحث والتطوير

(١) بالرغم من معاهدة الأمن بين امريكا واليابان عام ١٩٨١م، إلا ان الكونجرس الأمريكى يحاول ضغط اليابان لتزويد من حجم انفاقها العسكرى، ولتعمل على تصحيح العجز فى الميزان التجارى بين البلدين وبعد عملية الإنتشار العسكرى فى دول الخليج (درع الصحراء)، سيساهم اليابان بعدد ثلاثة مليار دولار من جملة التكلفة الكلية والبالغة ١٥ مليار دولار للعام المالى ١٩٩٠م ... علماء بان باليابان ٥٠ ألف جندياً أمريكياً منذ الحرب العالمية الثانية وقد أجاز مجلس الشيوخ الأمريكى (سبتمبر ١٩٩٠) مشروعاً يقضى بانسحابهم بشرط دفع اليابان تكلفة اقامتهم طوال هذه المدة والبالغة ٢٨٢ بليون

دولار

حكى احد من زاروا اليابان قصته في زيارة احد المصانع وكيف انه طاف على الوحدات المختلفة للمصنع بصحبة مرافق واحد فقط وكيف انه لاحظ شريطاً احمرًا على اذرع بعض العمال المنهمكين في العمل بينما لا يوجد عند زملائهم الآخرين . . . وعندما سأل مرافقه اجابه بان ذوى الشريط الاحمر مضربون عن العمل مما يستوجب بحث مشاكلهم ... اين من تلك الاضرابات المتكررة وسحب بعض الاجزاء من المَكَن والأجهزة سرا حتى لا يدركها من يحاول العمل ؟!!! . . .

ولعلكم تذكرون جيدا كيف فقد " تاكاشيتا " رئيس وزراء اليابان منصبه وسمعته ومستقبله السياسى عندما اشترى اسهماً بأقل من سعرها الحقيقي قبل طرحها على الملأ ومن لا يعجب اذا علم ان امبراطور اليابان السابق " هيروهيتو " والذي يُعَدُّ من اغنياء اليابان تبلغ ثروته ١٢ مليون دولار المبلغ الذى يملكه العشرات من السودانيين فى بلد فقير يستجدى الآخرين المال لإنتاج قوته حيث ينذر وجود المواطن الوفى المستشعر لواجبات الانتماء الوطنى ، وحيث روح المواطنة ينخفض لدى معظم افراد المؤسسات والشركات الخاصة مهما وصفوا بالراسمالية الوطنية ... انهم يتصفون بالجبن الاستثمارى ويركنون للاعمال التجارية التقليدية ، وتشجعهم على ذلك البنوك لانهم يملكون الضمانات و (يُفَكُون حِيْرَة) الموظف ، ولانهم مثل البنوك يفقدون التعامل الاخلاقى فى المال والاقتصاد ... لذا فان اليابان فتى غير السودان اليابان اغنى دول العالم لان مجموع اصولها المالية فى عام ١٩٨٧م بلغت ٤٤ ترليون دولار بينما بلغ مجموع اصول امريكا المالية فى نفس العام ٣٦ ترليون دولار (١) و ابحت لتعرف كم كان عجز السودان فى ١٩٨٧م لتعرف الفرق بيننا وبين مارد الشرق الاصفر !!! إنهم يستثمرون طاقاتهم البشرية ويبيعون ثمار عقولهم ابتكاراً يدفعه الآخرون من موارد الكامنة فى باطن الأرض و سطحها فتزيد طاقاتهم وقواهم العقلية وتتاقص عند من يدفع الثمن

(١) مجلس النقد الفدرالى الأمريكى (البنك المركزى) ، وكالة التخطيط اليابانية ...
(الترليون يساوى ألف مليار)

(قطرة الماء اذا دامت ثَقِبَ الحجر)

** "ملعون ابوكى بلد"

** ليت الله صارت حشيشاً فَتَعَلَفَهَا خيول الإنجليز

** لو أَغْلِقَ الباب فاستعصت مغالقه نادوا خبيراً من المكسيك منتدياً

** الميرى كان فائك إِتْمَرَمَقْ فى دريه

** ودار ابوك كان خربت شيل، ليك منها شلية

** وبعد

ابحث عن دورى ودورك ، وفعل غيرنا وقول غيره .. عد بذاكرتك الي
موقف صديق او سلوك خاطف عابر ، او تصرف هو غير مسئول لفرد او جمع
فى الاسواق و الاحياء و الارياف فى فيافى واصقاع البلاد ، فإنها قطرات
تتجمع فتسقى وتنب وتحيى او تهدم وتجرف وتدمر لتحدد ما هى مساهمتك
فى دفع الديار نحو هاوية الدمار ، واستبصر كيف يكون الخلاص لتعرف مَنْ
وما هو الفأر الذى يقطع فى الظلام ليهدّ سد مارب ، وأين يَكْمُنْ مَصَاصُ
الدماء والبعوض الذى أدمى مقلة اسد افريقيا الهصور ليصير جريحاً يوصف
برجل افريقيا المريض

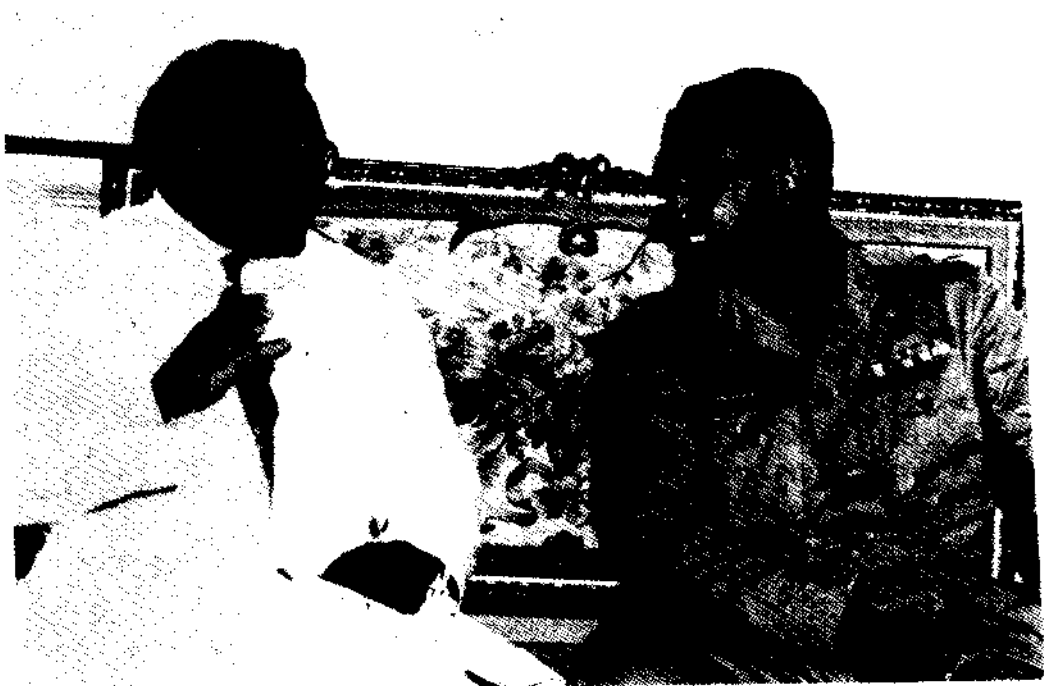
سمسرة سوق ، تخزين غذاء ، تجارة تموين ، سرقة الدواء وقطع الغيار ،
سحب الوقود من خزانات عربات الدولة ، او اساعة استخدام او استغلال
سلطة زيادة استهلاك كهرباء وترك صنوبر المياه ينقط طوال الليل ، ولعن
ابو البلاد ، تعطيل درس او غضبة تشل التفكير فيضيع فضل وفعل القدرة
والمثال ... عدم اماطة اذى عن الطريق او تقصير فى امرٍ بمعروف او نهى
عن منكر ، غياب عن العمل واصطناع لعذر غير صحيح بموت جدّ أو قريب ،
أو تحرير شهادة مرضية بالزور .. تزوير أو تقرير كاذب بزيادة طلبية أو
عطاء أو زيادة ساعات عمل اضافى ، أو عدم تدبير واقتصاد لمواد فى
صناعة الطعام أو ترك ارض بور بلا زراعة ... هتاف لامير فاسد أو وضع
صوت لانتخاب حقود أو فاسد ، موتور ... اعجاب بقول او تصفيق لمتحدث
يحسن التدمير والتزوير ... لا يهم المكان .. هناك فى الاقاليم وبعيداً عن

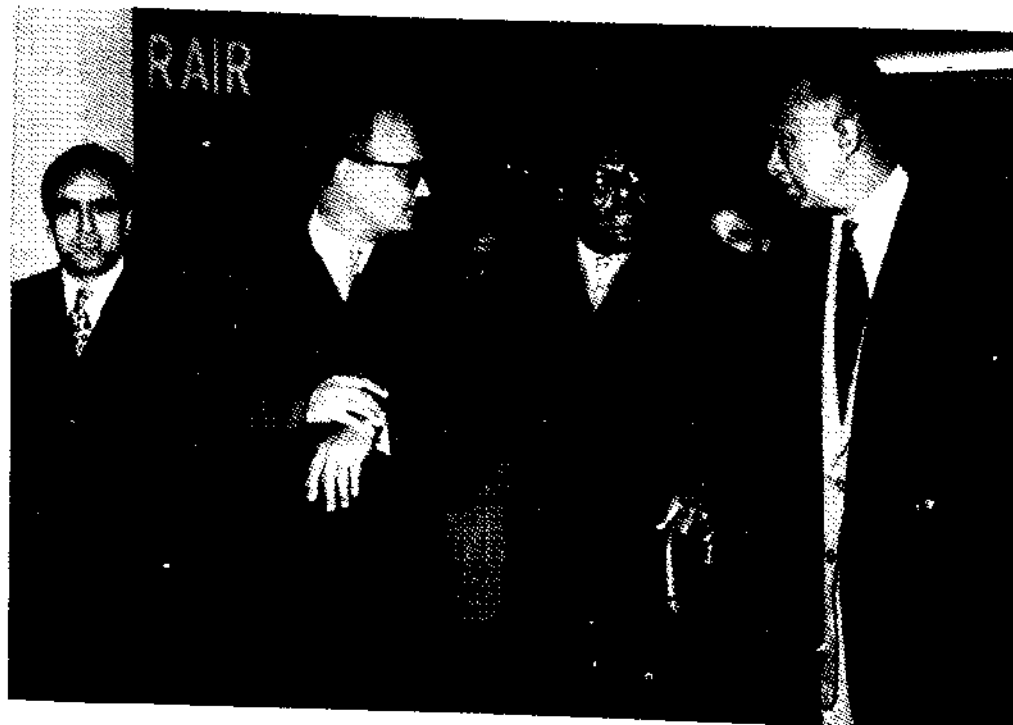
الخرطوم تجد من يهدم بمعوله فساداً وهو غير معلوم حتى للقلة من حوله
... ولكن ولاشك ان كل احد يعرف دوره تماماً ... وهناك من لم يذكر اسمه
أو قوله أو فعله . وربما كان دوره في الدمار والهدم اكبر من كل ما ذكر
تمسس موقعك في صف دافعي البلاد نحو الهاوية وليس مهماً ان
تشكل لك محكمة أو يطالك القانون .. فكم من فاسد وفاشل تخطى رقبة
القانون ولم تشكل له محكمة ، ولكن احذر مراقبة الضمير البشرى وصحته
واحذر عين الله التي لا تنام



البداية ...
إتفاقية تقرير المصير

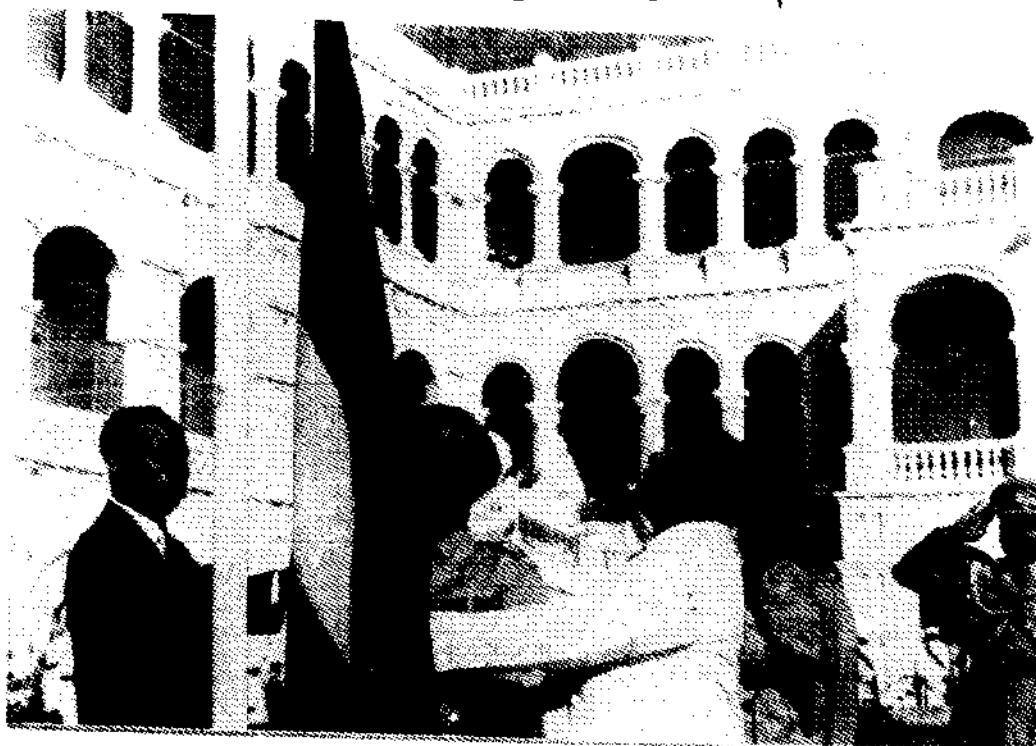
الرئيس جمال عبد الناصر والزعيم الأزهرى





الزعيم الأزهرى والصاغ صلاح سالم

تم التحرير وبقية التغيير والتعمير



إخراج إلكتروني : ابوبكر خيرى

وجاءت الأحزاب

- (أ) الأمة والأنصار
- (ب) الختمية وإلتحاديون
- (ج) الحركة الاسلامية
- (د) صفوة جنوب الوطن
- (هـ) جبهة التحرير السودانية الوطنية
- (و) الشيوعيون وقوى اليسار
- (ز) الجمهوريون

(١) الأمة والأنصار

من التاريخ ...

ولج الامام المهدي وحركته المهدية لمجتمع السودان وهو يمتطىء صهوة حصانه رافعاً راية العقيدة الإسلامية .. فلقى الاتباع والأنصار وانكى فيهم معانى الجهاد وروح الكفاح والوطنية .. وتعهدهم بالتربية الدينية الروحية والبدنية العسكرية ، فإنصلحت بدايته وأكمل بهم ما أراد...

وعندما أعلن المهدي ، الصوفى السمانى الطريقة ، مهديته الدينية ثورة وطنية قومية داعية كل الطرق الصوفية يومئذ للانضمام تحت راية الكفاح والجهاد ، لبث نداءه ، واختارت الطريقة الختمية صف المستعمر التركى-المصرى وذلك حرصاً على كسبها الدينى .. وهو نفسه موقفها من المهدية عندما صحبت دخول الغازى الانجليزى المصرى ، وهو يكتب نهاية الثورة المهدية فى كرى ، ويقتل الخليفة فى ام ديكرات ..

وجد المراغة فى ذلك فرصتهم لتجميع شتات المريدين الذين فرقته المهدية ووسعوا دائرة نفوذهم فى شمال وشرق السودان مما جعل المستعمر حليف الأمس يفكر فى تحجيم قوتهم و تسخير جهد ابناء المهدي ذوى الإرث الدينى ليوازى توسع الختمية ، وبذلك يكسب الانجليز نجاح فكرة التحجيم ويجدون فى المهديين عناصر إسلامية تعادى لهم الأتراك ، سابقهم فى اذلال واخضاع السودان ... ووجد ودّ الانجليز هوى فى نفوس الاسرة المهدية مما جعل صغيرهم عند الغزو (السيد عبد الرحمن المهدي) يسافر مختاراً فى ١٩١٩م ليقدم سيف الامام المجاهد هدية للملك جورج الخامس ، ملك ^(١) بريطانيا.... فما كان من الجلالة البريطانية غير قبول الهدية ثم ردها لمهديها..... ولعله خيراً فعل فبذلك أنجى الابن من غضب الأجيال ومعرة السنين بتضييع حسام الكفاح ...

(١) كان رد ملك بريطانيا عندما خاطبه السيد عبد الرحمن " إن الحرب التى كانت بيننا قد

انتهت "..... بل احتفظ بهذا السيف لك ولابنائك لمقاتلة أعداء الامبراطورية فى افريقيا ... "

أن مافعله كتشنر الغازى وجيشه من هدم لقبة الامام (١) بالبقة المهدية لم يكن الا لانه قد ضرب منهم كل بنان واصاب منهم ومن استراتيجيتهم الاستعمارية كل مقتل بسيفه الهدية

والذى لولا فعله فى الماضى بهم وما تركه فى تضاريس ذاكرتهم من ثبات وجهاد ، لما دمت عينا الامام عبدالرحمن المهدي فرحاً بالاستقلال صبيحة رفع العلم وهو يمثل الشعار الاستقلالى (السودان للسودانيين) ، والذى لم يكتمل إلا بعنصر المفاجأة الازهرية وامتناء مؤسسات التطور الدستورى لإتفاقية الحكم الذاتى ، والتضحية بطفاء الأمس السند المصرى وقيادة الختمية ... (قتل فى الزروة والغارب) ...

وتوالت هبات الإنجليز لابن الامام واسرته ... أراضى واقطاعات بأواسط الجزيرة ، والجزيرة أبا ، ثم أمدم وسويا والسقاي ، مما مكنه من تأسيس البنية الاساسية لدائرة المهدي الاقتصادية والاجتماعية

(١) .. جاء فى بعض المراجع التاريخية (كحرب النهر لتشرشل) ان كتشنر ورجاله نبشوا قبر الامام المهدي واخرجت جثة ومثل بها وقطع الرأس عن بقية الجسد وارسل لانجلترا وألقى ماتبقى من الجسد الطاهر فى مياه نهر النيل ... ومهما كان نصيب ذلك من صحة تاريخية ووقع احداث إلا إنها لاتنقص البطل المهدي الثائر شيئاً ولا تنال من مكانته الوطنية المتأصلة فى نفوس السودانيين جميعاً نسبة لصراعه ومقاتلته الجسورة لطرد المستعمر وتحرير السودان واقامة دولة المهدية ... فمن قبل اهدى رأس النبی يحيى ابن زكريا إلى بغى من بغايا بنى اسرائيل ، وحدث فى تاريخ الاسلام أن رأس الصحابي المهاجر عمرو بن الحنظل الخزاعى هو أول رأس فى الاسلام ينقل من بلد الى بلد آخر حيث قتل فى الموصل وحمل رأسه الى دمشق واخذ لزوجته فى سجن معاوية وألقى فى حجرها فما كان منها الا ان قبلته وقالت 'غيبتموه عنى طويلاً ثم اهديتموه الى قتيلاً' فاهلأ به من هديه غير قالية ولا مقلية " غير مهجوره ولا مكروهة - ..

كما ضرب ابن زياد والى الكوفة الاموي بقضيه رأس سيدنا الحسين (رضي الله عنه) وعبت بثغر قبله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فعل ذلك ورأس الحسين فى طست بين يديه ...

وكم من مجاهد وثائر إجتز الحسام رأسه وفصله عن جسده ومثل به ولم يبق منه إلا ذكرى أيام الشهداء ويا فضات قبور الجندي المجهول ..

وركب الامام عبد الرحمن مطية الإقتصاد بزرع التكافل فى مجتمع الانصار
وقصد بهم درب السياسة

فى عام ١٩٤٢ م جاءت الاداره البريطانية بفكرة المجلس الإستشارى
لشمال السودان . . فما كان من مؤتمر الخريجين - (الاطار السياسى الوحى الاول) ،
إلا تقرير رفضها ومقاومتها درءاً لمخاطر إنشقاق الجهود الوطنيه . . ثم انشق
الجمع تجاه الفكرة تاييداً ومعارضة . . .

وتزعم السيد عبد الرحمن المهدي المؤيدين المنشقين مكوناً بذلك تحت زعامته
حزب الأمة برئاسة ابنه الصديق فى ١٩٤٦م . . تحت شعار السودان
للسودانيين ^(١) يتراعى للراعى يومئذ خلف الشعار ملكيه السودان ، يبدؤها
العرض ويكسوها الطموح ، ويمهدا التطور الدستورى لنظام الحكم الذاتى
المقترح . . .

ودخل الانصار المجلس الاستشارى لشمال السودان . . .

وشرف الاميون الجمعيه التشريعيه . . .

وأناوبا قومهم فى برلمانات مابعد الاستقلال . .

حدث كل ذلك وبالأنصار بقيه من تربيه روحية دينية يلهبها الولاء ويحييها راتب
الإمام وترعاها عين وكلاء الإمام ممن يرى انسياب العطايا والهبات والمنح
والزكاة لبيت مال الانصار اجدى للحزب من مهمته التربويه الروحية والتنظيمية ،
تاركاً كل ذلك لمنشورات الإمام القابضة فى سَحَّارة الوكيل ، يجتمع السامر الأمى
الجاهل حولها ويغيب من يقرأها ، وليالى الملاح المقمرة العامرة بايقاعات الرق
والكشكوش وعبارات الثناء فى مدح إمام الدين ووصف معاركه الحربية والسياسية ...
وسرعان ماتتعتثر خطوات مدّاح الإمام تحت ثقل رسالة التوجيه . كيف
لا ، وقد صحبهم اتساع الديار وبدائية الوسائل والإعلام . . . ويغازلهم الضعف
البشرى ، بموازنة لقمة العيش وغريزة جمع المال . . . وغاب عن قيادتهم
حقيقية إنه مهما اتسعت كلماتهم وتعددت وتعمقت معانيها ،
لا تجد فى أذن الأنصار وقع راتب الإمام . . .

(١) أيضاً تبنته المجموعة الاستقلالية كشعار لها . . .

واختفت من رمال المريدين والاتباع آثار خطى وخطوات مواكب شباب
الانصار وتدريباتهم العسكرية... يجوبون أجواء القرى طائفين منشدين
أهازيج الكفاح ، يتبعهم الصغار تغمرهم نظرات الإعجاب والأمل مرددين معهم ..
إلى الامام .. إلى الامام

يا شباب الإمام ...

وكل ظالم إن ظلم ...

دوسوا عليه بالقدم ...

يالها من تربية تدعوهم لرفض الخنوع والكسل ، وتحثهم على رفض الظلم
والضيم ... إنها تبذر فيهم حميد القيم بالرغم من وصفها لهم بشباب الإمام
.. **تلك أمة قد خلت** ..

واعقبوا جهلاً يمكنهم من التبرك بنظرات الإمام وآثار مطيته عند زيارته
النادرة ، متمسكين بما علق عليها من غبار ...

ولما اختلف السادة واحتاروا في مصير مركب الحكم الفارق خطلوا تسليمه
لعهد جديد ... (١)

وجاءت العسكرية الأولى في ١٧ / نوفمبر ١٩٥٨ بعد إن هيات لها احزاب
الأمة والشعب الديمقراطية عن طريق اتفاق رئيس وزراء حكومتهم عبدالله خليل
مع عسكر نوفمبر بعلم وتأييد السيدين عبدالرحمن المهدي وعلى الميرغني...
وحمل ضوء الصباح بيان الانقلاب ، وتبعه بيان السيدين حيث قرأ عبدالرحمن
على طه بيان الامام عبد الرحمن زعيم طائفة الانصار وراعى حزب الامه ...
"كلكم تتطلعتم جميعاً في الأشهر الأخيرة الى المنقذ الذي يحمى الاستقلال
ويحقق للمواطنين المكاسب المرجوة ، وهاهو اليوم قد أتى الفرج ، إذ تقدم
رجال الجيش السوداني وقبضوا على زمام الأمور بيد الشعب السوداني
القوية العاتية التي لن تسمح للتردد ولا الفساد والفوضى بأن تعبثا على ارض
الوطن بعد اليوم ... اليوم آن لى ولكم أيها السودانيين جميعاً ان نفرح ونسعد

(١) ذكر خضر حمد في مذكراته قول عبد الله خليل لوفد الوطنى الاتحادى بخصوص اجراء الانتخابات

سنة ١٩٥٧م (مبارك زروق ، بشير عبد الرحيم وخضر حمد) ...

" إن هذا البلد يجب ان يحكم حكماً دكتاتورياً لمدة ٢ سنوات وبعد ذلك ما فيش مانع الواحد يقتلوه ويخلص ..

إذ هيا الله لنا من ابنائنا البررة قادة الجيش وجنوده من بقود زمام الحكم بحق وعزم ليحقق لهذا الشعب ماكان يصبو إليه وماعجز عنه القادة من السياسيين" . . .

ولقى الامام عبدالرحمن ربه وتبعه الإمام الصديق . . .
وجاء الحفدة و (بالت بينهم الثعالب) ووقع بينهم فساد الود والولاء .
قربوا من يبتعد سلوكه عن مفاهيم الدين والعبادة ، اهلوا تربية الانصار الروحية والجهادية وغاب عنهم أنه (ليس لسلطان العلم زوال) . وابتعدوا عن فكرة التكافل الاجتماعى والاقتصادى فى البنية الانصارية . . وتركوا المتاعب والعمل لجمهور الانصار مستأثرين بالعائد النافع من عرقهم . . . إنهم يأكلون التمر ، ويرمى الانصار بالنوى . . واقتسموا الاتباع وورثوا المال والديار ، ومازادوا جمعهم غير تخسير . .

وعندما عصفت رياح التغيير السياسى بمقعد الحكم لمايو بدأت قيادة حزب الأمة محاولات الاحتواء والتأييد . .

" فى يوم ٣٠ / ٥ / ٦٩ انعقد اجتماع بالجزيرة أبا حيث كان يقيم الامام الهادى وتقرر فى ذلك الإجتماع تفويضى كرئيس لحزب الأمة للتفاوض مع النظام المايوى الجديد لأن النظام كان قد انتدب الرائد الفاتح عبدون لبدء تلك الرغبة " (١) . . .

" إنه فى يوم ٢ يونيو ٦٩ اجتمع كل من الرائد الفاتح عبدون والرائد محبوب برير محمد نور كممثلين للضباط الأحرار مع السيد الصادق المهدي، وقد اعترف الصادق المهدي بسوء الأحوال التى آلت اليها البلاد بسبب السياسة الخاطئة والفساد الحزبى ، وقد أيد الصادق المهدي . . . قيام مايو ولكن اعترضه انصب على وجود الشيوعيين فى النظام الجديد وسيطرتهم عليه " (٢) . . .
" نجح رئيس النظام المباد فى الحيل التكتيكية نجاحاً باهراً ، ولكنه اضاع كل الفرص الاستراتيجية التى عرضت له وما اكثرها . . .

(١) الصادق ، الصحافة ٨٥/٦/١ - محمد رمضان السيد / أين تملك الحقيقة للجماهير

(٢) من وثائق مايو ٦٩ م .

ففى بداية انقلابه عرضنا عليه باسم القوى الوطنية كلها فى ٣ يونيو ٦٩ أن يجعل الحركة ذات أهداف قومية فيعبر بالسودان مرحلة خطيرة معتمداً على سند شعبى عريض ، ففكر فى الأمر ثم انقلب عليه . " (١)

" وذكر صلاح عبدالسلام الخليفة فى محاكم الجزيرة أبا والتي كان يرأسها الفاتح بشارة . .

" أن إتصاله بالامام الهادى كان بمعرفة عمر الحاج موسى وحمدالله وأنه حاول أن يثنى الإمام الهادى عن المعارضة وذكر بأنه يزيد ثورة مايو ، وقد صدر قرار بالعفو عنه " (٢)

وجرت الأقدار بغير المؤمل وتم قصف وغزو الجزيرة أبا وتبعتها بعد سنين أحداث يوليو ٧٦ (٣) ، الغزو المسلح بكوادر الجبهة الوطنية من ليبيا... ومع تبدل المواقف السياسيه والآراء جرت المصالحه الوطنيه (٤) . . . والتي أخرج فيها الصادق المهدي وقادة حزب الأمة أدياً سياسياً كثيراً ، يختلف باختلاف مراحلها . . اقناعاً للشركاء فى الجبهة الوطنية ، وطرحاً لكسب المؤيدين فى الداخل بعدها ، وتبريراً للخروج منها ثم تحميل وزرها للإسلاميين أخيراً . . . (٥)

" إن الجبهة اقتنعت بالمصالحة صبيحة انقلاب يوليو ١٩٧٦م عندما إكتشفت أن العسكرى الذى أوكلت إليه مهمة التنفيذ من قبل القيادة السياسية للجبهة وما أن بدا له إنه سيطر على العاصمة حتى ضرب عرض الحائط بالقيادة السياسية للجبهة وتعليماتها ، وتصرف لحساب نفسه وعلى أساس أن الانقلاب قد صار من حقه بل واتخذ اجراءات خاصة بإعتقال

(١) الصادق ، الصحافة ١١/٧/١٤٠٥هـ .

(٢) ١٩ / ١٠ / ٨٧ . وزير شئون الرئاسة ، ورئيس التجمع بالتناوب

(٣) عرفتها مايو بأحداث المرتزقة . .

(٤) بورتوسودان ٧/٧/١٩٧٧م .

(٥) يقول د . ترابى لصحيفة الأمة ٢٧/١٢/١٩٨٧م (الصادق قبل فكرة الحزب الواحد ولكنه

خالف الأطروحات الفكرية وخالف البناء التنظيمى الذى لا يسمح بالتعبير الديمقراطى الحر" .

وتصفية القيادات التي إتفقت معه إذا حاولت العودة للسودان
وهنا اقتنعت المعارضة السودانية ان أسلوب الانقلاب العسكرى يجب ان
يستبعد نهائياً أيضاً أحست المعارضة ان استمرار التناحر بين النظام
والمعارضة سيحول السودان الى ساحة صراع للقوى الأجنبية والعربية ،
تصفى حساباتها هناك بيد السودانين أو بدمهم هناك خطورة الوضع
فى الجنوب ، فإن أى صراع فى الشمال سيكون ثمنه غالياً على صعيد
الإستقرار والوحدة (١)

ذهب الصادق المهدي للمصالحة بيورتسودان بلاسابق إتفاق مع شركائه
بالجبهة الوطنية وإتفق مع وسيطها فتح الرحمن البشير على ان
يتصل الصادق المهدي بالشريف الهندي وتتصل الحكومة بالترابى بيورتسودان
. . . . ولقيه النميرى وقناعته (بأنه لا يريد اخوان ولا إتحاديين وليس
لهم دور ولكن كرئيس للجبهة الوطنية يمكننى تمثيلهم)
وجاءت كلماته فى بدايه الاجتماع موجهة للنميرى

" لم نكن نشق بك ولكن منذ فترة سمعنا عنك ومنك اهتداء اسلامياً
وانضباطاً سلوكياً واخلاقياً جعلنا نشق فى شخصك ونذكر اننا صرنا
نتعامل بنفس القيم والمعايير وتلك هى الاسباب الموضوعية والذاتية التى
تكمن وراء استجابتنا لنداء المصالحة " (٢)

" الديمقراطية الليبرالية لا تتناسب ظروف البلاد ، وان
الحزبية لاتسمح ببناء الوطن ولا بد من التمسك بالتنظيم
السياسى الواحد

ومنذ لقاء بورتسودان فى يوليو ٧٧ حيث خاطبنى الرئيس نميرى
بأخلاق المسلم المؤمن ، وحرص الحادب على وحدة الكلمة المصمم على فتح
صفحة جديدة فى مسار بلادنا وطى كل اسباب التوتر والارتياب منذ ذلك
الحين انضافت ، للظروف الموضوعية ظروف ذاتية هى الثقة فى نوايا الرئيس
وقد زادت لقاءتى به بعد ذلك تلك الثقة رسوخاً . .

(١) الحوادث ١٩٧٨/٤/٢٨م الصادق المهدي (درس المصالحة الوطنية) ..

(٢) وثيقة المصالحة الوطنية (وقائع اجتماع بورتسودان)

.. هكذا قام جبل متين من الثقة صمد في وجه شكوك المتشككين وغالب
الدسائس .. (١)

وللحقيقة أيها الأخوة - اننى منذ لقاء بورتسودان لمست فى صاحب
المبادرة (نميرى) خلق المؤمن صدقاً ، وحرص الوطنى الحادب على جمع
الكلمة حقاً ، مما كان ضماناً ذاتياً لنجاح المبادرة ... (٢)
" ان مشاكل بلادنا متعددة ومتشعبة وان التفكير فيها يؤدى الى تلمس
حقيقتين هما ..

١- عدم التصدى الحاسم والجزى لها زاد من تشعبها وتدهورها الى درجة
بالغة

٢- ان من ايجابيات المصالحة الوطنية مناقشة السودانين لهذه الامور بصراحة
وجراة بعيداً عن دوامه العنف والقهر . هذه الإيجابية الباقية ربما كانت الفرصة
المتاحة لأهل السودان ان يجدوا مخرجاً سلمياً لانقاذ البلاد ... (٣)

" إما العناصر التى ترفض العودة للبلاد فهى الآن أقلية لاتذكر ، وإذا
سار السودان موفقاً فى وضوح فكرى ، واستطاع ان يستمر فى التنمية مع
علاج سلبياتها وان يستمر بقوة فى سياساته الخارجية الوطنية فإن من
بقى مكابراً أو مزاولاً سيعيد النظر فى حساباته .. وحسب علمى فان ما حدث
أخيراً من ممارسة للحريات والانتخابات الأخيرة التى كانت حرة ، والتطور فى
السياسة الخارجية السودانية والذى حدث أخيراً ،... هذه العناصر جعلت
العناصر المزودة تدرك خطأ حساباتها وخطأ مراهنتها على الإخفاق ... (٤)

وبالرغم من أداء الصادق المهدي لقسم الولاء غير المشروط للاتحاد
الاشتراكى (٥) السودانى ، إلا ان مشكله عدم الثقة لم

(١) الصادق المهدي - الايام ١٩٧٨/٣/٢

(٢) خطبة عيد الاضحى - صادق المهدي ١٩٨٧/١٢/١٢ . مسجد الخليفة

(٣) المستقبل ١٩٧٩/٨/١١م

(٤) الايام ١٩٧٧/٩/٢٨

(٥) فى ١٩٧/٨/٣ بصحبه عبدالحميد صالح وعمر نور الدائم .. أقسم بالله العظيم ان أكون
مخلصاً وصادقاً لثورة مايو الاشتراكية وأن أدمع تحالف قوى الشعب العاملة وتنظيمها القائد الإتحاد

الاشتراكى السودانى :

تختفى ابداً ما بين الصادق والنميرى حتى مرحلة المفاصلة... (١)

فعندما استقال صادق المهدي بحجة معارضة كامب ديفيد... تحدث النميرى... "قال انه يعتبر ان استقالته الاسلوب الوحيد الذى يعارض به كامب ديفيد.. فاجبته بان هذا الاسلوب خاطيء ويختلف عن اسلوب الثورة ومنظوماتها فى المعارضة وفى ابداء الرأى المخالف ، ذلك ان اسلوب الاستقالة قديم وقد تخطيناه.. فكانه يقول انه اكثر السودانين تمسكاً بالقومية العربية... الحقيقة اننى لا اعرف نواياه الحقيقية... (٢)

ومن قبل وعقب أحداث يوليو ٧٦ وصف النميرى الصادق بقوله :
(الكاذب الضليل)، حتى إذا ماصالحه قال مادحاً...
"أستطيع ان أوكد الآن بأنه كان على مستوى الظن فيه ، أميناً صادقاً ملتزماً بما وعد وفياً لما هو مدرك للمصلحة الوطنية ، وانه من أجل هذا يوجه كل جهده وطاقاته..." (٣)
"وانه شجاع وصادق وإنهما يتفقان فى الكفر بالحزبية وإنه مفكر اسلامى أصيل..." (٤)

لم يكن الصادق المهدي هو الوحيد من قادة حزبه الذى أيد وعمل مع مايو بعد المصالحة... فقد ذكر الشريف التهامى فى محاكمته (٥) بأنه ليس من سدنة أو رموز مايو، ولكنه من رموز المصالحة وذكر بأنه دخل بصفته انصارياً مع آخرين كالصادق المهدي وعبد الحميد صالح... كما نادى عمر نور الدائم بفكرة التنظيم الواحد بندوة الصحافة حول الوحدة الوطنية... (٦) وذكر فى ندوة بجامعة الخرطوم ١٩٧٩ م..

(١) عبد الحميد صالح "بين الرئيس نميرى والصادق المهدي أزمة" المدينة ١٠/٩/١٩٨٤ م.

(٢) نميرى الحوادث ٧٩/١/٢٦ م (نشأت التغلبى) .

(٣) ملحق المجلة ٧٨/١/١٧ (نميرى يصف الصادق المهدي بالأمانة والصديق والالتزام)

(٤) النهج الاسلامى لماذا - نميرى ص ٢٢١/٢٢٢... ، سيجد القارئ ما وصف به الصادق النميرى بعد سقوطه فى رجب ٨٥ م فى الصفحات التالية... .

(٥) الشريف التهامى وآخرين - الأسبوع ١٩٨٧/٢/٨ م...

(٦) الصحافة ١١/٥/١٩٨٧ م...

" ان المصالحة خطوة مصيرية نحو مستقبل أفضل للسودان ، وإنها تحقيق لوحدة شاملة صارت ممكنة لأول مرة فى تاريخ السودان .. "

وفى مؤتمر تنمىة كردفان بكادقلى دعا بكرى عدیل حاكم كردفان (سابقاً) المواطنين للانخراط فى الاتحاد الاشتراكى العظیم وذكر " ان مايجرى فى كردفان مصدره وملهمه أصلب الرجال نميرى .. (١) " للذين يجهلون كثيراً عن المصالحة الوطنية أقول ان المصالحة وضعت أمامهم أساسيات ... هذه متفق عليها لاعتراض لأحد عليها ، لا خلاف على زعامة الأخ الرئيس القائد وقيادته للأمة .. ولا خلاف اطلاقاً على وحدانية التنظيم السياسى وحاكميته ولا خلاف اطلاقاً على النظام الجمهورى الاشتراكى الذى أسسته ثورة مايو ، هذه أساسيات اتفق عليها وليس موضوع جدل " (٢) ...

وظل أحمد المهدى حتى نهاية مايو عضواً فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى السودانى يستقبل الزوار فى مكتبه ، ويشرح لهم ابعاد قرارات الرئيس القائد فى تحقيق العدالة الناجزة وتطبيق الشريعة الإسلامية وتفجير الثورة القضائية ... (٣) وعضواً فى برلمان وادى النيل .. وإماماً متحدثاً باسم الانصار يُدبجُ برقيات التأييد لنميرى كل ما حلت مناسبة ... " إن التاريخ سيشهد مرة أخرى ان مايو رفعت رايه الدولة الإسلامية فى السودان ، وسنمضى مع القائد والثورة بعزم الآباء والأجداد وفاء لعهدهم القديم " .. (٤)

" الانصار قوة من قوى التحالف .. تؤيد الرئيس القائد فى قراره الذى يحمل فى معانيه خلاصاً للأمة من ادعاء الدين والذين يتخذون من الدين مظلة ليكتموا أنفاس الشعب السودانى الصامد باذن الله .. ليس من صفات المسلم الغدر والخيانة والتستر برداء الدين للوصول للمآرب الذاتية .. نحمد الله من

(١) الايام ٢٨/١٠/١٩٨٠ م.

(٢) وثائق اللجنة المركزية للاتحاد لاشتراكى - الامانة العامة الدورة الرابعة فبراير ١٩٨١ - بكرى عدیل

(٣) الصحافة ١٧/١٠/٨٣ م.

(٤) برقية لنميرى بمناسبة تكريم ابطال الثورة المهدية ((الايام ١٥/٥/١٤٠٥ .))

ولى فينا من يعلن الشريعة الاسلامية ولا يخشى فى الحق لومة لائم ،
يحفظ الله السيد الرئيس القائد المؤمن حتى يحقق لشعبه الإستقرار والعزة والله
متم نوره ولوكره الكافرون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (١) ...

يبدو لقارئ تاريخ المصالحة وأدبها ان الصادق المهدي وجعفر نميرى
متفقان تماماً على مبادئ أساسية فى نظرية الحكم فى السودان وتوطيد
قواعد الدولة .. ولكن ما ان يدقق النظر حتى يعلم انهما نقيضان وخطان
متوازيان لا يلتقيان أبداً ، إلا من باب المكيدة والمكر والدسائس وترغب الفرصة
للأنقضاض على الخصم وتحطيمه ... تحسبهما متفقان على إقصاء الأحزاب عن
الحكم ...

" لم أطلب من الرئيس نميرى العودة الى نشاطات الأحزاب ..
والواقع اننا اتفقنا كلنا وحتى قبل هذا الاتفاق (٢) على
أن نظام تعدد الأحزاب هو ليس لبلادنا ، لاننا ندرك جيداً ان
طبيعة مجتمعنا تجعل فى الحقيقة الحكومة الحزبية الطريق
المؤدى الى الانشقاق الداخلى والتدخل الخارجى .. (٣) . ولهذا فاننا
نامل فى ان نحقق ما يعيد الحركة المدنية والسياسية ولكن من
غير العودة لتعدد الأحزاب ... (٤)

" لن تقوم فى هذا البلد أحزاب وانا فى موقعى ، فالتنظيم السياسي
الموحد ضرورة لتوحيد السودان " (٥) ...

وتحسبهما متفقين على دور القوات المسلحة السياسي فى السودان ...
" لم يعد أحد يطالب بأن تكون القوات المسلحة كما هي
فى النظام البرلماني بعيدة عن المسيرة السياسية ، فميثاق الجبهة
الوطنية ينص على أهمية المشاركة السياسية للقوات المسلحة دون

(١) برقية لنميرى عند اعتقال الاسلاميين (الصحافة ١٤٠٥/٦/٢٨) - احمد المهدي

(٢) المصالحة الوطنية .

(٣) الصادق صحيفة الأنوار ١٩٧٧/٧/٢٨ م.

(٤) الصادق ، صحيفة النهار ١٩٧٧/٧/٢٥ م

(٥) نميرى (روز اليوسف) والايام ١٩٧٨/٥/٨ م.

أن يؤثر ذلك على الانضباط اللازم لكيوننتها العسكرية . . . (١) ...
(ومنتفق مع النميرى على أنه فى الأقطار المتخلفة مثلنا لابد
من تسييس القوات المسلحة وانخراطها فى عملية التنمية ، خوفاً
من أن تؤدي عزلتها لأن تكون قوة مخططة للإنقلابات) ... (٢)
وما ان ياتى رجب الانتفاضة حتى ينفذ سامر (اتفقنا) ، و (وجدت
فيه) مابين الصادق والنميرى ، وتعد معاول الهدم والتحطيم ...

(قلت للصادق المهدي .. (٣) علاقاتك مع الرئيس السودانى السابق تميزت
بالمتناقضات فهو فى كتابه (النهج الاسلامى لماذا) يقرظك ويبدى اعجابه بك
فى عديد من الصفحات .. وهو عندما سألته أهله فى دنقلا لماذا اختار اللواء
عمر نائباً له .. ضحك وقال .. نائبي هو ذلك " المستعجل " فى ام درمان
يعنى انت .. فما هى اسرار هذا التناقض فى تقديرك ؟

(الصادق :: هو كان متناقضاً فى مسلكه معى بالفعل يحبنى الى درجة
الإنصات العميق ، ويسمعنى وكأنى استاذة .. وهو كان شديد الرقة معى الى
الدرجة التى يكاد ان يطعمنى فيها بيده ... وهو كان فى نفس الوقت
ويمجرد ان أغادر مجلسه يعلن كراهيته لى ورفضه لأفكارى الى درجة إصدار
قرار اعتقالى وسجنى ...

لقد فكرت بالفعل ان اكتب عنه ، ووضعت بعض النقاط الرئيسيه التى
تحدد معالم شخصيته ومسلكه وممارسته للحكم ، وخرجت بأنه يجسّد
شخصية الامير عند مكافيلى عن طريق استخدامه كل الدسائس والمتناقضات
فى كسب الانصار والبقاء على السلطة بالمنافع الشخصية والإرهاب . وإدارة
لعبة الصراع لقسم واضعاف خصومه وتفجير الجبهات السياسية فى داخلها ..
واستبدال المبادئ كما تتبدل الملابس .. والتخلص من الاقوياء والأذكياء
واستبدالهم بضعاف الأخلاق ومن يشعرون بأنه ولى نعمتهم ... والاستفادة القصوى

(١) الصادق المهدي - القيس الكويتية ، العدد ١٩٠٥ - ١٩٧٧/٩/٧ م.

(٢) باسكال فيليرى دى موى ، AFRICAN AFFAIRS, NO : 81/MAY 19-78

(٣) يوسف الشريف وصادق المهدي ، روز اليوسف ١٥/٩/١٤٠٥ هـ .

من الأعوان والحلفاء وتبنى افكارهم ومناهجهم .. وادعائها لنفسه .. ثم الاستغناء عنهم فى الوقت المناسب والانقلاب على افكارهم ومناهجهم وادعائها لنفسه ... وتحميلهم الأخطاء والتجاوزات كما لو كانوا كباشاً لفداء عرشه " ...

" لقد كان رئيس النظام المباد من ناحية الوعى الاستراتيجى والوعى الاقتصادى أمياً ولكن كان ضليعاً جداً فى فن التكتيك السياسى ... فن فرّق تسد، وشراء الذمم وتهديد الخصوم وشق الكيانات ، واستغلال الشعارات ، واستغلال الأفراد ذوى السمعة الحسنة .. وتقديم كباش الفداء فى حالة السياسات الفاشلة .. وتبنى كل جديد وكل نجاح .. وهلمّ جرّاً .. مقصدها المحافظ على السلطة بأي طريقة وبأى ثمن ... كانت تفوق ممارسات امير " ميكافيللى نفسه " (١)

(ثم قام نظام مايو وَمَزَقَ مشروع الدستور (٢) واصفاً إياه بالوريقة الصفراء فحق لنا الآن أن نمزق ورقته .. (٣) وماذا عن البيعة ... !!!

(إن البيعة التى اخذت لرئيس النظام المباد هو شخص غير مؤهل لها قاصر عن كل شروطها فقد كانت بيعة الزور والإكراه) .. (٤)
(البيعة شعيرة إسلامية لها عشرة شروط ، ليس لنميرى فيها الا الذكورة ، وبعد استيفاء الشروط هناك الشورى .. ثم كيف تكون البيعة لنميرى وهو ظالم .. كاذب .. وجاهل !! ودعوة نميرى للإسلام كانت اكبر أساءة للإسلام ، وساهمت بحق فى تقوية المشاعر المضادة للإسلام .. ولاستبعد ان يكون هناك مخطط صليبي اقترح هذا الأمر على نميرى لانهاء الدعوة الاسلامية .. وكانت دعوته اجهاضاً للحركة الإسلامية فى السودان (٥)

(١) الصحافة ١١/٧/١٤٠٥هـ.

(٢) وثيقة دستور ١٩٦٨ والذي ينص على ان تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع

(٣) الصادق - احتفالات الاسراء والمعراج ، القبة ام درمان ١٤٠٥هـ.

(٤) خطبة الجمعة ٥ رمضان ١٤٠٥ النهج الاسلامى بين الاستقامة والتشويه صادق

(٥) الأيام رمضان ١٤٠٥هـ.

كل الذين عرفوا جعفر نميرى وأهل السودان عامة يعلمون ان النميرى جاهل
(١) وكذاب وظالم ، ولا أهلية له اصلاً ليباع ، وتقديمه للبيعة استخفاف بالولاية
الإسلامية .. وتفريط فى واجبات الدين ، ولا يخلط اثنان ان البيعة لنميرى لم
تكن على أساس الشورى بل كانت بيعة زور واكراه لقيمة لها بمقياس
الاسلام ، والآن فإن تجربة مايو الاسلامية بقوانينها واجهزتها هى سياسات
مايو وممارساتها مكانها كلها مزيلة التاريخ ... " (٢) ...

يواصل صادق المهدي سيره فى درب السياسة الطويل يبنى على قاعده
الموروث الدينى والطائفى لحزب وطائفة الأمة والانصار ذات العددية الكبيرة والتي
لا تتناسب طردياً مع عددية المستثمرين فيها ،،، مفكراً ومنظراً ، منقياً ودارساً
لفكر المهدي وتاريخها ، ولكن لمن تقرر الأجراس !!... فهو يملك
الجرأة والفصاحة والبيان ، والمقدرة على الصياغة والتعبير (وإن من البيان
لسحراً) غير انه يحاط بعصبة تصفق لكلماته اكثر من ان تفهمها ، وترك
له التفكير والتنظير والتنفيذ ، وتصفه بأمل الأمة ولا تعينه ليكون ، وتفوضه في
ما يريد وما لا يريد .. ما ذنبهم !! هكذا علّموا وهكذا تريد الطائفية ..
وإن منهم لمن أمّ الجمع وهو شهيد ..

فى (١٩٤٦ - أعلن زعيما الفرقتين الختمية والانصار - الميرغنى
والمهدي راعيين لحزب الاشقاء والأمة على التوالى ... ونظم كل من الحزبين نفسه
على نمط ديمقراطى عصرى ، فكان له مجلس منتخب ولجنة تنفيذية ولجان
مختلفة وأمانة عامة ، ولكن السلطة النهائية حتى على آخر
التفاصيل كانت فى أيدي الراعيين ، إذ كان لابد من الحصول
على رأييهما وموافقتيهما فى كل الأمور) ... (٣)

تلك أحرف من صاحب الحزب معرفة وتأسيساً وريادة حتى رئاسة
الوزارة كتبها بعد " مايو " وهذه كلمات رجل معاصر حتى " الإنقاذ " ...

(١) وصفة مرة بعد الانتفاضة ومن باب الفجور فى الخصام بقوله (النميرى لا يعرف هل
الستوت تصام أم تصلى)
(٢) خطبة الجمعة مسجد الامام المهدي ٢١ رجب ١٤٠٥ هـ .

(٣) محمد أحمد محجوب - (الديمقراطية فى الميزان) .. رئيس وزراء سابق (أمة) ..

.... كتبها وهو يشارك قيادة حزبه المسئولية. ...

(ان القرار السياسى هو محصلة لتوجهات الزعامة الدينية يحاط
فى الغالب بقدسية القائد ، والتي لاتخضع فى كثير من الأحيان للمراجعات ...
تشكل هذه القدسية سياجاً ضد النقد لأن النقد يعتبر خروجاً عن التقليد
بل قد يكون سبباً للعزل السياسى ومدعاة للاتهام بالخروج عن حدود
الادب ، والكفر فى حالات التطرف ... تأسيساً على ذلك فإن قرارات الحزب
تتصف بالخصوصية ولا تعكس فلسفة حزبية تقوم على أسس عقلانية وإنما
تخضع لمزاجية القائد ... (١)

وبين سنوات "القولين" يغالب الصادق صراعاً داخلياً ...
"إنه لا عودة للأحزاب وسياسة الأحساب والأنساب" (٢) ...
وإنه قبل فكرة الحزب الواحد وخالف الأطروحات الفكرية وبناء الحزب
التنظيمى الذى لايسمح بالتعبير الديمقراطى ..

وإنه يكفر بالتعددية ، ويطرح مكانها فكرة الحزب الغالب وإنه يت رأس
رئاسة وزارات تقوم على التعددية الحزبية إئتلافاً ووفقاً، وجبهة وطنية
متحدة ... عبء ثقل من صراع المتناقضات ... فقد نشأ الصادق بين يدي
طائفة القيادة فيها تورث تاريخياً، وتربى فى وسط لا مكان فيه للرأى الآخر ،
وأعتاد ان تجد كلماته طريقها ممهداً للسمع والطاعة والتطبيق فور مغادرتها
طرف اللسان ، حيث يتخطفها أكثر من واقف وجالس ... واكمل دراسته بجامعة
بريطانية تخرج قادة بريطانيا (٣) ... وبدأ حياته السياسية بعد أن أخلى له
مقعد مكنه من رئاسة الوزارة عند سن الثلاثين ... وبالرغم من ذلك يريد أن
يكون ديمقراطياً ممارساً يتحمل من آلام الصراع وضغوطه (كل مالا يقتلني
فهو يقوينى) من أجل تمكينها فى أرض لا تصلح لنمو الديمقراطية الغربية ...

(١) من يحكم السودان !! د. فضل الله على فضل الله - وزير الخدمة والاصلاح الإدارى (أمة) ،
حكومة الوفاق الوطنى

(٢) صادق - كلمة للشعب عند العودة سبتمبر ١٩٧٧م (الايام ١٩٧٧/٩/٢٨)

(٣) " مشاوير فى عقول المشاهير "

وإنه ليجد فى محاولاته التوفيقية بين المتناقضات السياسية وعلاجها بالتسوية للوصول لمنزلة بين المنزلتين ، خصماً عنيداً ومصارعاً غالباً .. لأن ذلك يضطره ، وبالرغم من وضوح الرؤى الترجيحية بين الخيارات أمامه ، للقبول بتسوية مذلة تُحسب محصلتها النهائية عليه ، مما يُسوّد من صحفه فى سفر السياسة

وكبرى مأسيه انه يصارع من كان أوجب ان يكون معينه ومصاحبه .. ينادى بالفكرة الاسلامية ويعادى رافعيها من الاسلاميين ، وقد صاروا قوة لا يمكن لمن يريد حكم السودان أن يتجاهلها ... وكان الأجدر به والأفيد للسودان ان يجمع قوى وامكانيات اسلامية متقاربة ، مهما كان العمل شاقاً وعسيراً فى تجميعها ... فهى مأمّنه الأقوى من أن تغمره رمال التغيير السياسية .. (اننا ندخل الانتخابات القادمة بوشيقة إتهام لمايو ومؤيدى تجربتها الإسلامية .. نحن لانعتبرهم مجتهدين إجتهدوا وأخطأوا ... بل نقول ان جعفر نميرى سخر الاسلام لاغراض السلطان المستبد ، وسخر من نصوص الشريعة وتلاعب باحكامها ... هذا من جعفر نميرى معلوم فالشئ من معدنه لا يستغرب ..)^(١)

وتسير قافلته السياسية ويفاجئها بيان الإنقاذ وتفرق سامر الأحباب ، وتركوه مختبئاً .. ولما اعتقل وجدت بحوزته مذكرة معنونة لمجلس قيادة الإنقاذ الوطنى يقترح فيها اعترافه بنظام الحكم الجديد ودعمه بشعبيته على أن يعود الجيش لشكائته بعد فترة انتقالية (٣-٥ سنوات) تمكنه من حل مشكلة الجنوب والمشكل الإقتصادى ما أشبه الليلة بالبارحة ... إذ لم تجد الفكرة منهم قبولا ... ويسجلها التاريخ كما سجل سابقتها المايوية

(ففى بداية انقلابه عرضنا عليه باسم القوى الوطنية كلها فى ٣ يونيو ٦٩ ، ان يجعل الحركة ذات أهداف قومية فيعبر بالسودان مرحلة خطيرة معتمداً على سند شعبى عريض ، ففكر فى الأمر ثم انقلب عليه ..)^(٢)

(١) صادق - مناسبة الاستقلال وافتتاح دار الامة ١٩٨٦/١/٣١ م.

(٢) الصادق يتحدث عن النميرى - الصحافة ١٤٠٥/١١/٧ هـ.

هذه الشعبية التي يساوم بها السيد الصادق المهدي استناداً على مكانته في قلوبها ، اتعبه حبها كثيراً وأرهقه بحثاً وهو يحاول أن يحوله لعقولها وقناعاتها لتتوازن خطاه وهو يسير منهكاً حافياً من فوق حد حسام الواقع السوداني المرهف ، بلا دليل أو معين . . .
إنه (يطلب أثراً بعد عين) ...

وجاء ابن عمه مبارك الفاضل المهدي^(١) ليقصم ظهر وطنيته ويُدنس مجاهدات حركة " الأنصار الجهادية " ، وليُبينَ فطير التفكير السياسي لقيادة " حزب الأمة الجديد " وليدلل على أن الصادق المهدي كان يقدم أهل الثقة وأواصر القربى على أهل التجربة والخبرة والحنكة السياسية ... فيخاطب قبائل مناطق التماس في جنوب كردفان وشمال بحر الغزال ، ذات الولاء التاريخي الطائفي للأنصار والتي إنضمت لكثائب الدفاع الشعبي ، لتقاتل المتمردين . . . دفاعاً عن النفس والأرض والعرض والعقيدة ... في إذاعة التمرد ..

(نداء من مبارك الفاضل المهدي لقوات الدفاع الشعبي من الأنصار وحزب الأمة بعدم التعرض لقوات التمرد وتوجيه سلاحها للعدو المشترك في الخرطوم^(٢))

ويصرح في المقابلات الصحفية^(٣) بأن من انجازات المعارضة الإتصال بالدول و الحكومات الصديقة والوكالات والمنظمات العالمية لقطع المعونات والمساعدات الإقتصادية والعسكرية لحكومة السودان

(١) كان وزيراً للداخلية ، واستكرب عنف ندوة أمبو بأثيوبيا ، ووصف المشاركين فيها بالخيانة الوطنية وطالب بمحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى . . .

(٢) رفضته جماهير الأنصار وحزب الأمة ، واستكبرته بعض القيادات السياسية ومثقفو الحزب ، ولم تقبل بميثاق التجمع الديمقراطي ، وعمل بعضهم مع الإنقاذ ، ووقف بعض وزرائهم السابقين موقفاً قوياً مع هوية الأمة الحضارية - كموقف الأستاذ عبدالله محمد أحمد حسن - وزير الثقافة السابق من شريط اتفاقية قرنق الميرغنى ومنع بثه من تلفزيون السودان

(٣) مبارك الفاضل : مجلة (المجلة) ٢٢/١٧ أكتوبر ١٩٩٠م

ويحاول مع رفقاء معارضته بذر الفتنة والعداء والجفوة بين السودان
والسعودية ودول الخليج ومصر بعد الغزو العراقى لدولة الكويت بإفساد الموقف
السودانى من القضية وبإشاعة وجود الصواريخ العراقية المنصوبة فى عروسة
على الساحل السودانى للبحر الأحمر والتي ينوى السودان استخدامها لهد
السد العالى وهبوط اسراب الطيران العراقى بقواعد سودانية .. إلا ان
تلك المزاعم الكسيحة سرعان ما تبين مقدار حظ زاعميها من السياسة عندما
نفتها كل من مصر والولايات المتحدة الأمريكية



السيد عبد الله بك خليل

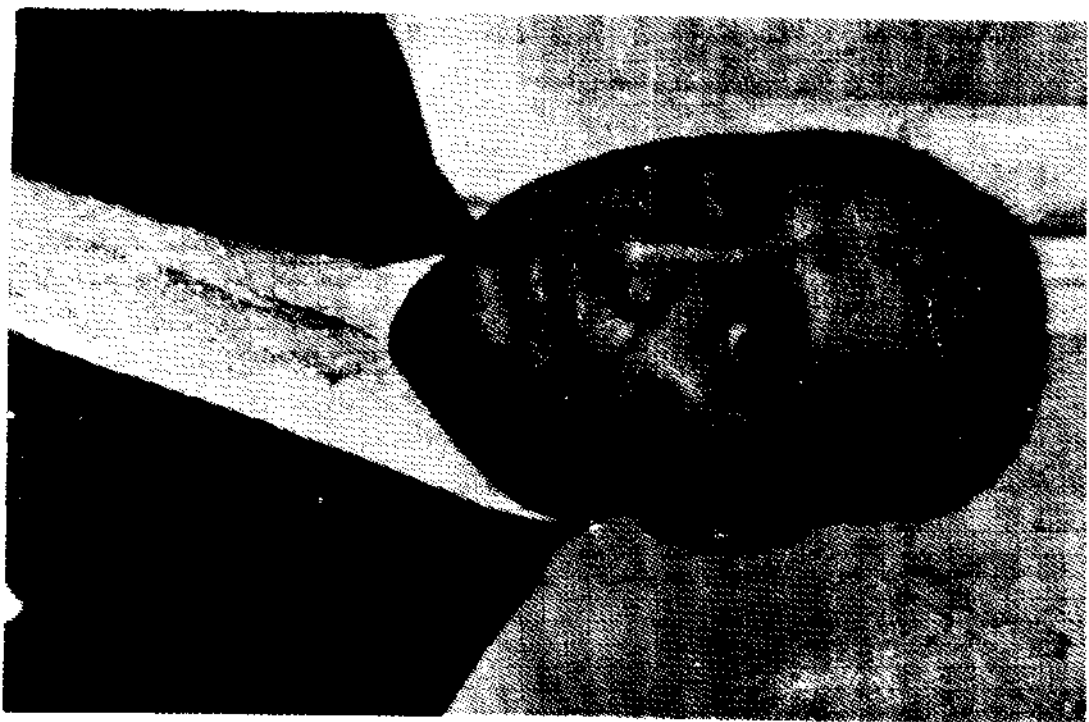


السيد عبد الرحمن المهدي

السيد الصادق المهدي



السيد محمد أحمد محزون



إخراج إلكتروني : أبوبكر خيرى

(ب) الختمية والإتحاديون

(اللحظ أصدق انباءً من اللفظ) ...

كانت استجابة الشريف حسين (شريف مكة والحجاز) لطلب الخديوى محمد على باشا، بالمساعدة على تحجيم توسع التبشير المسيحى فى السودان وانتدابه للسيد محمد عثمان الميرغنى الكبير لتلك المهمة، هى نقطة إنطلاق الطريقة الختمية فى السودان^(١). وعمل الختم الكبير على تجميع المريدين وتوسيع طريقته حتى ظهرت الثورة المهديّة، والتي ناصبها الميرغنى العداء. ولما انتشرت المهديّة توجه الميرغنى الكبير صوب مصر ومعه ابنه على الميرغنى الذى عاد للسودان مرافقاً لحملة كتشنر الغازية بترشيح من الزبير باشا المنفى بمصر وقتئذٍ... ووجد السيد على الميرغنى فرصة لتجميع اتباع أبيه الختميين وتنظيمهم من جديد...

وكما جاء الميرغنى رجل دين فى لباس السياسى المرافق لغزاة مسقط رأسه، المتعاون معهم بعد الغزو، لحق أيضاً بركب حزب الإشقاء الذى أسسه أعضاء مؤتمر الخريجين المنشقون الرافضون لفكرة المجلس الاستشارى لشمال السودان، المقترحة من الادارة البريطانية عام ١٩٤٣م لتهديدها لوحدة الوطن... وصار الميرغنى راعياً للحزب والسيد اسماعيل الأزهرى رئيساً له.. وجعلوا شعارهم (وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى) (٢)

(يد تشجّ وأخرى منك تأسونى)

عملت الحكومة على تجميع الأحزاب الاتحادية السودانية (٣) ودمجها فى الحزب الوطنى الاتحادى عام ١٩٥٢م، تحت شعار وحدة وادى النيل برئاسة الأزهرى وزعامة السيد على الميرغنى... ويمرأهنة الانجليز على حزب الأمة، ووقوف

(١) يذكر الختمية بأن دخول الختم الكبير للسودان كان بمبادرة شريف مكة وبمباركة بعث من الشيخ السيد أحمد بن الرئيس مؤسس الطريقة الأحمدية لتمليذه السيد محمد عثمان الختم الكبير بالذهاب الى مصر ثم السودان لنشر الطريقة الأحمدية

(٢) كان شعاراً لثورة ١٩٢٤ اللواء الأبيض وتبناه بعدها الختمية وحزب الاشقاء ثم الاحزاب الاتحادية ..

(٣) مؤتمر السودان حزب الاشقاء بحناحيه، حزب الأحرار الاتحاديين، حزب الجبهة الوطنيه والحزب الوطنى

المصريين بقيادة الصاغ صلاح سالم^(١) مع الأحزاب الاتحادية تم تكوين مجلس النواب لعام ١٩٥٢ والذي كون فيه الوطن الاتحادى برئاسة الأزهرى حكومته منفرداً^(٢) ... بعد انتخابات تم الإقتراع فيها بطريقة مباشرة وغير مباشرة^(٣) وحددت مهام حكومة الأزهرى الأولى بتنفيذ السودة ، ووضع دستور السودان ، والتمهيد للاستقلال العام بتنفيذ اتفاقية الحكم الذاتى و (لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقاً)

"وعلى العموم لم يكن من المصلحة الدّخول مع الطائفية فى صراع فى تلك المرحلة الحرجة حتى يتحقق استقلال السودان ، لذلك كان الحزب يرضخ رغماً عنه لكل طلبات زعامة الختمية ، وكثيراً ما شكّا اسماعيل الأزهرى من التّدخل المستمر فى شئون الحزب وفى شئون الحكومه فيما بعد ... ومضت الأمور على هذا النهج حتى تمت الانتخابات وفاز الحزب بالأغلبية المطلقة وكون حكومت منفرداً ، ولكن مرة أخرى كان الرأى الأول والأخير فى تشكيلها للسيد على الميرغنى"^(٤) ...

(لقد كانت جميع الطوائف الأخرى غير السياسية - وهى كثيرة - تؤيد الحزب ورجّله لما عرف عنهم من تاريخ وطنى عامر ، كما كانت فئات المثقفين والعمال والطلبة تؤيد الحزب لنفس السبب ، ولكننا لم نشأ المغامرة بمستقبل البلاد، فأثرنا الصمت والإستجابة لمطالب السيد على حتى نجتاز تلك المرحلة ... وقد يتساءل القارئ لماذا قبلنا هذا الوضع والرد أيضاً إنا علقنا كل أحاسيسنا وكرامتنا فى تلك المرحلة الخطرة حتى نجتازها بسلام ونجاح.. فكرامتنا وأحاسيسنا تاتى فى المرتبة الثانية بالنسبة لكرامة الوطن)^(٤)

(إنه نسيجٌ وحده)

ما كان ليل السودان فى مرحلته الإستقلالية عن صباح ينجلى لولا حنكة الأزهرى وحكمته السياسية وصبره وجلده

(١) وزير شئون السودان بالحكومة المصرية (عرف بالصاغ الراقص) .. (٢) ٦٩٥٤/١/١٦

(٣) فى المدن ومناطق الوعى استخدمت تذاكر اقتراح مباشر ، وفى مناطق التخلف (الجنوب

وبعض مناطق جبال النوبة) كان حق الاقتراح لبعض نوى الأهلية الخاصة من اعضاء المجالس

الريفية (٤) مذكرات عبد الماجد أبو حسيب.

واستخدامه الكتمان والمباغطة في اتخاذ القرار وإعلانه ... فقد حَسَّ الزعيم
(١) بضرورة إعلان الإستقلال بعد ان تمت السودان وعملية إجلاء الجيش
المصرى عن السودان

((سارت الحكومة (٢) وسط هذه التيارات الجارفة يقودها ريان اعطى
الكثير من الجلد والحنكة والحكمة ، غير ان الجنادل فى طريقه كانت كثيرة
يصطدم بها حيناً ، ويتعدها حيناً آخر حتى تمت السودان والجلاء ، واصبح
الاتجاه نحو الاستقلال واضحاً . عندها تحركت كل الجهات لاسقاط الحكومة
وقبيل الاستقلال حدثت الجفوة بين الحزب وقيادة الختمية ذلك ان قيادة
الختمية (لسبب لم يحن الوقت (٣) لذكره) قد عارضت الاتجاه نحو الاستقلال
وطالبت باجراء استفتاء عام لوقف تيار اعلان الاستقلال ، ولكن حكمة الرئيس
أزهري وصبره على الناس ووعيه لما كان يدور حوله من مؤامرات مكنته من
ان يفاجئ الشعب من داخل البرلمان)) (٤)

واصاب الازهرى ثمرة الغراب بانفراده بإعلان الاستقلال من داخل
البرلمان (٥) ليضع الانجليز والمصريين والختمية والانصار جميعاً امام الامر
الواقع ، فقد كان (بينهم داء الضرائر) فى سياسة السودان وسيادته
ليس (لمثل هذا كنت أحسبك الحساء)

موت الحكومة المصرية عن طريق وزير شئونها بالسودان ، صلاح
سالم ، انتخابات الوطنى الإتحادى لانتخابات ١٩٥٢م لشئ فى نفس يعقوب
" المحافظة على المصالح المصرية بالسودان " لان التاريخ
يقول، ويؤكد الحاضر وسيبين المستقبل ، ان مصر لن تترك السودان وشأنه ولكنها لا

(١) يجمع السودانيون على وطنيته ويفردونه بمناداته (بالزعيم الازهرى)

(٢) بالرغم من مناداة الختمية بالحكومة القومية أعيد انتخاب الازهرى رئيساً للوزارة فى

١٥/١١/١٩٥٥م

(٣) رحم الله أبا حسبو فقد مات وفى نفسه شئ من حتى ، ويبقى الإفصاح عن المسئولية
الوطنية فى تبليغ علم الكفاح والتاريخ للأجيال ديناً على من يعلم من المعاصرين

(٤) مذكرات عبد الماجد ابو حسيب

(٥) فى ١٩ ديسمبر/ ١٩٥٥م

ترغب في حمل همومه (١) . . . لذلك كان موقف الأزهرى من اعلان الاستقلال محيراً لمصر، فما لذلك اغدغت عليه الأموال والتأييد السياسى والمعنوى والأدبى ، ولعل القارئ يلمس ذلك جلياً فى موقف الصاغ صلاح سالم أيام الإستقلال فى إجتماع بمنزل الزعيم الأزهرى بحضور بعض قادة حزبه (٢) .. وقد بدا الحديث بين الصاغ والزعيم إسراراً وفجأة يرتفع صوت الزعيم ((لكل خطيئة كفارة ، حضرة الصاغ .))

ويسارع الصاغ بالرد ذى الجذور المتأصلة فى اعماق وجدانه وقناعه من أرسله ، ولا رسول كالدرهم

((إلا خطيئة إعلان الإستقلال))

(إن مع اليوم غداً يا مُسْعِدَة)

ثم تَمَّ لقاء السيدين (٣) عبد الرحمن المهدي وعلى الميرغنى ، وتبعه انفصال الختمية عن الوطنى الاتحادى وتكوين حزب الشعب الديمقراطى برئاسة الشيخ على عبد الرحمن الأمين ورعاية على الميرغنى ، وتكونت حكومة السيدين (٤) تحت رئاسة عبد الله بك خليل عقب اعلان استقلال السودان ، وكان ذلك لا يخلو من مكايد السياسة والدسائس الشخصية واردة من بقية مستعمرة ... واكثره غرض حزبى رخيص ، فقد تلاعبت حكومة السيدين بحق وزير الداخلية فى منح الجنسية السودانية ، ومنحت حق المنح لثلاثة وزراء من حزب الأمة ووزيرين من الشعب الديمقراطى لتشهد مناطق الحدود توزيع شهادات الجنسية السودانية للفلاتة والاريتريين والتشاديين ... كل ذلك للحصول على الناخبين المؤيدين فى الانتخابات مما مَكَّن الحزبيين من تكوين حكومة برلمان ١٩٥٨م والتي مهّدت تسليم الحكم وقدمته للحكومة العسكرية السودانية الاولى وأثبتت

(١) يقول المثل السودانى عن مثل هذا (لا بريدك ولا بحمل براك)

(٢) منهم - مبارك زدوق ، يعقوب ابراهيم عثمان وحسن عوض الله .

(٣) ١٩٥٥/١٢/١

(٤) ١٩٥٦/٧/٦م

ذلك عبارات التهاني والتقدير ومذكرات التأييد (١)

(هذا ولما تَرَدُّ تهامة) . . .

عقب بيان الفريق عبود مباشرة أذاع السيد محمد عثمان الميرغنى بيان تأييد الختمية وحزب الشعب الديمقراطي لحكومة نوفمبر نيابة عن والده على الميرغنى ، كيف لا وقد سبق الاتفاق على ذلك بين السيدين ورئيس الوزراء عبد الله خليل وقائد انقلاب " التَّسْلِيم " ابراهيم عبود (٢) . . . ثم جاءت مذكرة كرام المواطنين (٣) لينفرد الختمية بتأييد آخر لحكومة نوفمبر ... وجاءت بدايتها ... ((حضرة صاحب المعالي رئيس المجلس الاعلى للقوات المسلحة .

تحية واحتراماً . . .

نتقدم لسيادتكم بالمذكرة الآتية لما أدلى به الرئيس عبود فى بيانه بتاريخ ١٧/١١/١٩٦٠م والذى شرح فيه اهداف الثورة ، و تلقاه المواطنون بترحاب وقبول واعطوا جميعاً الفرصة لرجال الثورة لتحقيق الأغراض العظيمة التى اعلنوها)) ... إمضاءات (٤) منفردة

والتزم الحزب الوطنى الاتحادى معارضة حكومة نوفمبر بقيادة الزعيم اسماعيل الأزهري سويماً مع حزب الأمة بقيادة الإمام الصديق المهدي (٥)
ورفعت المعارضة مذكرتها الوطنية للفريق ابراهيم عبود ...
(لقد بذل السودانيون جميعاً على اختلاف منظماتهم وعلى تباين اتجاهاتهم ومشاعرهم ، جهوداً صادقة أدت الى استخلاص حرية السودان

(١) راجع الأنصار وحزب الأمة

(٢) ترجع بعض مذكرات السياسيين ان الاتفاق المعنى كان فقط اخراج لمسرحية التدخل الأجنبى و ذلك بدليل قرار اتفاقية مياه النيل ١٩٥٩ (الحكومة المصرية) وتقديم المعونة الامريكية (الإستخبارات المركزية الامريكية) ... ولعل هذا اقرب للإفهام بدليل تدخل الطرفين فى تحولات السلطة فى السودان فى الستينات والثمانينات . . .

(٣) مذكرة كرام المواطنين ٩/١٢/١٩٦٠م

(٤) راجع الاسماء فى مصادر أخرى))

(٥) وبعض قيادات الأحزاب الأخرى وشخصيات وطنية ومستقلة ..

وأعلان استقلاله وضمن مكانته بين أمم العالم الحرة المستقلة - هذه حقيقة تاريخية ثابتة .. وحفاظاً على هذا التراث المجيد ، واستشعاراً لواجب المواطنين نحو بلادهم ، وحرصهم على العمل لرفعها ، وحفظ سمعتها ، والمشاركة فى تقدمها وإزدهارها ، رأينا ان نتجه برأينا اليكم :-

ان السودان الذى حصل على حريته من المستعمر من غير ان يعرض البلاد الى الخطر والهزات ، هو اليوم أكثر وثقاً فى انكم تقدرون الروح والدوافع الوطنية التى أملت تقديم هذه المذكرة ، والتى لم يقصد منها غير مصلحة البلاد خاصة .. والجيش فى كل بلاد العالم هو أملها وعدتها ورمز عزتها وكرامتها ، وحامى حدودها ، والمدافع عنها فى الداخل والخارج .

ولهذا فانه عندما استولى الجيش على مقاليد الحكم تحدث رئيسه فى بيانه الاول عن مهمته ، وأكد إنها لفترة مؤقتة .. وتريث الناس ترقباً لما ستأتى به تلك الفترة المؤقتة ، والكل يعلم ان ليس من مهام الجيش تسلم ادارة الحكم نهائياً . وكل المحاولات التى قامت بها الجيوش فى البلاد الأخرى كانت عاقبتها سلسلة انقلابات ذهبت فيها الأنفس والأموال ، ورجعت البلاد الى الوراء ، وفقدت ثقة غيرها من الأمم التى يسود فيها حكم القانون .. ولنا فى محاولات الانقلاب الماضية فى جيشنا خير شاهد ، وفى ابعاد كثير من عناصره المدرية نتيجة لهذه الهزات وما أدت اليه من محاكمات ، واعتقالات ، وابعاد من صفوف الجيش ...

لقد مضى على تسلم الجيش مقاليد الحكم عامان ، انحصرت فيها السلطة فى يد الأفراد من غير ان يشترك الشعب معهم ، فى فترة اتسمت بفقدان الحريات العامة واصبحت الصحافة مقيدة لا تصبر عن الرأى العام ... وقد قطعت فى هذه الفترة عدة وعود بأن دستوراً يتجنب اخطاء الماضى سوف يعرض على البلاد قريباً .. ولكن بكل أسف ، وبعد مضى عامين كاملين ، كان ما اعلن يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٠ ^(١) يقتصر على أمور

(١) قارن بين هذا ومذكرة كرام المواطنين حول نفس موضوع الخطاب ..

تتعلق بنظام الحكومة المحلية التي لم تسبق الشكوى منها ، ولا من أسسها الديمقراطية ، ولكن من المؤسف حقاً ان النظام الجديد المعروض منكم حرم الشعب من حق التمثيل والرقابة على شئونه المحلية ، مما كفلته النظم السابقة ، وبهذا حرم الشعب من الحق الطبيعي في انتخاب ممثليه ، زيادة على ان وضع الحاكم العسكري رئيساً لمجلس المديرية أكد استمرارية حالة الطوارئ وحرمان البلاد من العودة إلى دستور يكفل حقوق المواطنين ويشركهم في الاشراف على شئونهم وينظم اداة الحكم في مراتبها العليا

إن الحكم سلسلة من المشاكل وليس من المصلحة ان يكون الجيش ضمن تلك المشاكل ، بل الاضرب ان يكون بعيداً عن التيارات السياسية لضمان حياده ، وسهره على حماية البلاد ، وصيانة سيادتها ...

إن البلاد التي خرجت بالجيش من مهمته الأساسية الداخلية أو الدولية ، فقدت جيشها أولاً بتعريضه للإنقسامات ، وعرضت بلادها ، ثانياً ، الى الانقلابات وهزات قد لا تقف عند حد ..

لهذا وبروح الوطنية ، والحرص على المصلحة العامة ، مدفوعين بالرغبة الصادقة في التفاهم والتعاون ، نتقدم بالأسس الآتية :-

- ١- يتفرغ الجيش لمهمته الوطنية وهي حماية البلاد .
- ٢- تتولى الحكم هيئة قومية انتقالية لتحقيق الآتى :-
- (١) تمارس سلطات الحكومة في فترة الانتقال .

(ب) تضع التخطيط السليم والاسس الواضحة للديمقراطية في السودان وعلى ضوء تجارب الماضي .

(ج) تضع قانون انتخابات عادلاً يجرى الانتخابات لايجاد ممثلي الشعب الذين يتولون الحكم في صورته النهائية وليضعوا الدستور .

٣- رفع حالة الطوارئ فوراً ، وكفالة حريات المواطنين ، وضمان حرية الصحافة ليستطيع الشعب ان يعبر عن آرائه في حرية ، ولتستطيع الحكومة القومية تحسس رغباته ، والتجاوب مع اتجاهاته ..

اننا نرى مخلصين ان هذه الحلول تحقق الحكم الصالح والاستقرار، وتصون

سمعة البلاد . واننا لنأمل بصدق ان تصفو النفوس ، وتتحّد الصفوف ، لتخرج بلادنا بسمعتها مصنونة سليمة ، ويتحقق للوطن خيره ومصالحته . (١) وما ان جاءت اكتوبر حتى عادت التحالفات السياسية واغراضها الحزبية الضيقة فيعود الأزهرى ، المعارض الاستقلالى القوى وحزبه الوطنى الاتحادى ليؤسس الاتحادى الديمقراطى (٢) مع حزب الختمية الشعبى الديمقراطى ، معارض الاستقلال و مؤيد نوفمبر و حليف الشيوعيين بعد إكتوبر فى التجمع الاشتراكى الديمقراطى ...

وان المرء ليتعجب ويحتار اجابة لأمر تحالف الزعيم الأزهرى مع زعامة الختمية ، رغماً عن قوته وسلامة تفكيره السياسى الوطنى ومقدرته التعبيرية واستقراءاته السياسية ... ولكنها السياسة وفهمها على انها (فَنُ الْمُمْكِنُ) مما يستوجب على الزعيم المداواة والاستفادة من سيطرة الطائفة الختمية على مؤيديها بفهم مغوّج لدور الدين والسياسة فى حركة المجتمع ومعنى التصوف فيه (٣) ... مما يمكن من الحكم والسلطة ، ومتطلباتها التكتيكية السياسية و (كفى المرء فضلاً أن تُعدّ معايبه)

كانا بالأزهرى يستقرئ التاريخ ويسنر غور مستقبل الحكم فى السودان فى خطابه أمام مؤتمر المائدة المستديرة بالخرطوم (٤) ((ثلّله من أسوأ ما ابتلى به السودان فى هذا القرن ، السياسة الاستعمارية البريطانية التى كانت تهدف لفصل الجنوب عن الشمال ، فسنت التشريعات التى تقيم العوائق بين شقى القطر ، كقانون منع الهجرة ، وعطلت

(١) مذكرة المعارضة لنظام عبود ١٩٦٠ (أزهرى وعصره - بشير محمد سعيد) .

(٢) ١٩٦٥م تحت رئاسة اسماعيل الأزهرى الاتحادى ورعاية الختمية....

(٣) تقوم الطرق الصوفية تاريخياً على التربية والتهديب ونشر الدين وتحفيظ القرآن ومعرفة علومه ، ليتمكن المريد من معرفة الشريعة وعلوم الحقيقة وسلوك الطريقة .. ومنها القادرية و التجانية والاحمدية والبرهانية .. وغلبت الصفة السياسية على طريقتى الانصار والختمية .. ويقف على الجانب الآخر المضاد لهؤلاء جماعة أنصار السنة المحمدية

(٤) ١٩٦٥م ... الحكومة الانتقالية رئاسة سر الختم الخليفة

التطور الاقتصادي والعمراني في جنوب السودان حتى تتسع هوة الخلاف ، وأورثت الاحقاد بنشر الدعاية السامة ، وبثت بذور الفتنة والوقية بين الاخوين ، بل انها سارت قدماً ووضعت المخططات لتنفيذ خطة الفصل عندما تمردت " الاورطة " الفرقة الجنوبية .. ان الوطنية الصادقة التي تجلت في زعماء جنوب السودان وقادته إبان مؤتمر جوبا ، وقبيل اعلان الاستقلال احبطت خطط المستعمرين ، وردت كيدهم في نحرهم ، واستعاد (١) السودان استقلاله ، كقطر موحد ، ولكن ذلك لم يمنع القادة في الجنوب وفي الشمال من الارتباط بالمواثيق والعهود لاعادة النظر في الاوضاع الدستورية لجنوب السودان عند اقرار الدستور النهائي .. فقد أجاز البرلمان بالاجماع في التاسع عشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٥م قراراً هذا نصه :-

((إنه من رأى هذا البرلمان ان مطلب النواب الجنوبيين لقيام حكومة فدرالية للمديريات الجنوبية الثلاث سيكون موضع الاعتبار الكامل من الجمعية التأسيسية)

وقد التزم الحزب الوطني الاتحادي كغيره من الأحزاب بهذا الميثاق . وبداننا في وضع الإطار العام للدستور المستديم ، ولكننا فوجئنا بالانقلاب العسكى الذى أطاح بالحياة الدستورية ، وحكم الشمال و الجنوب بالحديد والنار .. وها نحن اليوم وبعد ان تخلصنا من براثن العهد البغيض نلتقى مرة أخرى في هذا الاجتماع التاريخي لتجدد العهد ، ونؤكد الوعد الذى قطعناه فى عام ١٩٥٥م امام البرلمان السودانى بأن نعيد النظر فى مطلب جنوب السودان لقيام حكومة فدرالية للمديريات الجنوبية

وواقع الحال ان جميع السوابق والادلة والبراهين تثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، ان النظام الفيدرالى ينشأ كوسيلة فى جمع اشتات ولايات متنافرة ، فيوحد بينها ، ويخلق بينها دولة موحدة فى اهدافها ، وغاياتها ونظام حكمها ، مع اعطاء الاعتبارات الكافية والتحفظات اللازمة فى الاجزاء التى تنشأ منها تلك الدولة .

(١) لعله يشير ويعترف بدور الثورة المهدية

وغنى عن البيان انه ليس هناك نظام فدرالى واحد يمكن ان يشار اليه
بانه النظام الفيدرالى الاصيل .. فقد نشأت الانظمة الفيدرالية لتعالج بعض
المشاكل الدستورية التى واجهت بعض الاقطار فى بعض فترات تدرجها
السياسى ، كما ان النظام الفيدرالى فى حد ذاته نظام يشيع البطء فى
الاجهزة الحكومية ، فوق انه كثير التكاليف والنفقات اذا ما قيس بالنظام
الموحد .. يضاف الى هذا ان الفيدرالية لا يمكن ان تتجح ، أو تحقق اهدافها
، إلا اذا احتواها واحاطها احساس قومى عميق ، يجمع بين اشتاتها ،
ويقوى واصررها ، ويشد رباط اجزائها بعضاً الى بعض

اننا لا نقبل بحال من الاحوال ان نسمح لآى جزء من بلادنا أن يقطع
... واننا نعلنها دأوية مدوية ان دون ذلك خَرَطُ الْقَتَاد (١) ...

وأرى لزماً على أن أوضح فى هذا المقام إننا نفخر بعروبيتنا
وعربيتنا ... نفخر بعروبيتنا وعربيتنا واسلامنا فقد جاء رواد العروبة الى هذه
القارة لينشروا ثقافة أصيلة ، ومبادئ قيومة ولاشاعة المدنية والنور فى
اصقاع أفريقيا ، عندما كانت أوروبا تتخبط فى دياجير الجهل ، وظلمة
التخلف العقائدى والعلمى .. فاسلافنا هم الذين حملوا المشعل ، وقادوا
قافلة التحرر والإنعتاق ، وطوروا ثقافة اليونان والفرس والهند ،
وصهروها فى بوتقة الخيال والفلسفة العربية الراقية ، وقدموها نتاجاً
سائغاً لكل مستفيد ومستزيد ... هذه هى وقائع التاريخ ، وصحيح القول
لأزيفه ... وأراني مضطراً لترديد هذا القول لأننى أرى فى اصداء الحملة
المسمومة التى يضرهم أوارها دعاة الحروب الصليبية خطراً محدقاً بين صلات
الشمال والجنوب .. فقد ظلت المطابع الأوروبية تقذف لقرائها فى أفريقيا
حمماً من طفيليات الافكار الفقيرة التى لا تستند إلا على عواطف كاتبيها ..
ونحن فخورون بلغتنا العربية فهى اللغة الوحيدة فى افريقيا التى تتحدثها

(١) فى مؤتمر المائدة المستديرة .. وقف حزب سانو (الحزب الوطنى الافريقى) جناح اقربى جادين مع
الانفصال التام ، وأيد جراح ولیم دینج الإتحاد الفدرالى مع الشمال ، ونادت جبهة الجنوب بتسوية القضية
فى إطار حق تقرير المصير ...

أقطار كثيرة فى فصاحة وجزالة ، وتخلطها كثرة محسوسة منها أخلاط من اللهجات المحلية ، وتستعملها فئات كثيرة أخرى كوسيلة للتفاهم بينها عندما تعجز لهجاتها المحلية عن حسن الاداء ، وجودة التصوير ... ومهما قال شائنوها عنها . وما يرفضها إلا أولئك الذين يرون فى لغة الفرنجة سحراً ، ونكهة لا لسبب إلا لأنها لغة الحكام الذين تعالوا عليهم ، واستبدوا بهم فخليل اليهم ان فى لغة أولئك السادة عمقا أو سموقا ، اقول انه بالرغم من هذه النظرات السطحية ، والعنجهيات المبتسرة ، فإن منظمة الوحدة الافريقية التى تجمع الشمل الافريقى فترقى به الى مراقي الكمال ، قد قررت ان تستعمل اللغة العربية كإحدى اللغات الافريقية الأصيلة . وما كان دين الاسلام يسمح إلا تطويراً للمسيحية الجميلة ، وما كان محمد إلا خاتم الرسل والانبياء وما جاء إلا ليتم مكارم الأخلاق ، والنقطة الأساسية التى أريد ان اقرها هنا ان الحرب الصليبية الخيالية التى يود غلاة النصارى أن يشعلوها فى مجاهل أفريقيا قد انحسرت أمواجها ، ونضب معينها فى القرون الوسطى ، فكيف نسمح لهم بعد مرور قرون طويلة اصطلينا فيها بنار المجوس الفرنجة ان يؤججوا أوارها بين ظهرانينا

إن من أولى المهام التى يجب أن نوليها عنايتنا الخاصة هى إقرار الأمن فى الجنوب ، وتعزيز الثقة بين الجنوبيين الشماليين ، لاننا لا نستطيع تطوير الجنوب فى النواحي الاقتصادية والاجتماعية مالم يستتب الأمن فيه ، وتعاد الثقة بين الناس .. واننا لنهتم اهتماماً كبيراً بالتقدم الاقتصادى والعمرانى فى الجنوب ، لاننا نعتقد انه لا بد ان يلحق الجنوب بالشمال فى هذا المضمار . وان من أهم أسس التفاهم المستديم ان تتساوى الفرص الاقتصادية وتتقارب المستويات المعيشية .. ولما كانت المديرية الجنوبية الثلاث من أكثر مناطق افريقيا تخلفاً ، وان اغلبية سكانها يعيشون على الكفاف ، كان لزاماً علينا ان نسرع بالتطوير الاقتصادى ، فنزيل آثار التخلف ، ونرفع مستوى المعيشة ومن المعلوم ان التقدم الاقتصادى يعتمد الى حد كبير على تحسين المواصلات بين الشمال والجنوب لذلك وجب علينا ان نضع الخطط الفعالة لتطوير المواصلات البرية ، والنيلية ، والجوية ، والسلكية ،

واللاسلكية .)) (١)

إنه أحد حداة جيلٍ أدرك معاناة الوطن وعيش المستعمر وعرف حقيقته وأدرك هموم الوطن ومرحلتها ، فَنَسَلَحَ بالعلم والمعرفة ، وقاد كفاح جيله بعزم وصدق وإخلاص وتجرد ... تلك أمة من الاتحاديين قد خلت (٢) وجاءت بعدها أخرى تهب مع كل ريح ولها (بكل وادٍ بَنُو سَعْد) (٣) ، تَتَغَنَّى مع المَسْرَة والميسرة والمسغبة والمتربة ...

" كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا النداء إذا ناديت يا مالى "

(شَخْبُ فِي الْإِنَاءِ وَشَخْبُ فِي الْأَرْضِ)

ما ان جاءت مايو ، وأعلن رئيس وزرائها ووزير خارجيتها بأبكر عوض الله بان حجر الزاوية فى سياسة الثورة الخارجية هى العلاقة مع مصر حتى أسرع السيد محمد عثمان الميرغنى للقصر ليقابل نعيمى ويعلن تأييده للثورة بياناً مذاعاً

" لقد كانت المبادئ التى أعلنها رئيس مجلس قيادة الثورة والسيد رئيس مجلس الوزراء فى اليوم الخامس والعشرين من مايو فيما يتعلق بالإتجاه العربى والنظر الى المرحلة التى تجتازها أمتنا العربية هى المبادئ التى نؤمن بها وتجد منا التعاضيد والمساندة وقد إلتزمنا دائماً بالعمل على تحقيقها وان التلاحم القوى بين اسلاميتنا وعروبتنا هى منطلقنا فى المستقبل ... وفقَّ الله القائمين بالأمر لتحقيق الإستقرار المنشود للبلاد فى ظل مجتمع الكفاية والله المستعان . " (٤)

وتأتى أيام رجب و يحلو الغناء بنغم مخالف ... وبينما النيميرى بعيد بمصر التأييد تجتمع الجمعية العمومية للبنك الاسلامى السودانى ليخاطبها

(١) خطاب الزعيم الأزهرى فى مؤتمر المائدة المستديرة (ازهرى ومصره) بشير محمد سعيد -

(٢) توفى الزعيم الأزهرى فى ٢٧/٨/١٩٦٩ م .

(٣) من يجد من يلقاه كمن يفارقه .

(٤) جريدة الايام يوم ١/٦/١٩٦٩ م .

راعى الختمية (١)

" لقد تواصل العمل في مرحلة التأسيس ليل نهار حتى السابع والعشرين من شهر رجب ١٤٠٣ هـ ، العاشر من مايو ١٩٨٢ م ، وقد هدفنا من اختيار شهر رجب السابع والعشرين منه تيمناً بذكرى الاسراء والمعراج ، وقد هدفنا من اختيارنا (٢) لشهر ' مايو ' تاريخاً لافتتاح البنك كسر الحاجز النفسى والواقعى الذى كان يقضى بان شهر مايو شهر محتكر لافتتاح وانشاء منظمات النظام المباد ...

وقد توقع الناس دعوة الرئيس المخلوع لافتتاح البنك واعطائه حساب رقم واحد بدافع من الرغبة والرغبة إلا اننا تعمدنا عدم دعوة أى ممثل للنظام حتى محافظ الخرطوم ، وقد أحس النظام بان الحركة الوطنية تعمل جهاراً على تجاوزه فى مسيرتها نحو تحقيق اهدافها . ((..... (٣)

ومعلوم لدى السودانين جميعاً بان المعارضة الاتحادية لمايو كانت تتمثل في الشريف الهندى ومجموعته الاتحادية داخل الجبهة الوطنية والتي اشتركت فى كل ملاحم معارضتها لمايو بدءاً بموقف الهندى فى الجزيرة أبا والمواجهات فى شعبان ، والحركة العسكرية للجبهة الوطنية من ليبيا يوليو ١٩٧٦ م ... وفى شرائط الكاسيت والفيديو الهندية والتي يتداولها الاتحاديون فى الخارج والداخل والتي كانت تلهب حماس المعارض بالمقدرة الخطابية الادبية وإجادة العرض اكثر من واقعيتها وصدق أحداثه .. وبالرغم من ذلك كانت تمثل متفهماً للمعارض الداخلى ومسرحاً لنسيان كبته السياسى وعجزه عن المواجه الفعلية لنظام ضارب وعنيف ... وقد أفلح الهندى فى جمع المال وكسب التأييد والدعم السياسى العربى للمعارضة ...

(١) قامة الصداقة ١٢ مارس ١٩٨٧ م

(٢) ذلك داعى الخطابة السياسية وحكى لصورة المعارض ، فمن العسير اختيار تاريخين محددين برقم واحد عربى وفرنجى لمناسبة واحدة علماً بان الفرق بين السنة القمرية والشمسية ١١ يوماً ، تلك إذاً مجرد صدفه تقويمية ... (٣) جريدة الاتحادى ١٥/٢/١٩٨٧ م ...

ولم يترك حسين الهندى ^(١) سامر الجبهة الوطنية إلا عند المصالحة الوطنية
(ما يوم حليلة بسر) ^(٢)

بعد اجتماع بورتسودان ^(٣) وفى اجتماع الجبهة الوطنية بلندن ^(٤) ..
أعلن الشريف الهندى عدم موافقته على المصالحة .. وعندها ارسلت مايو كبير
أمنها القومى (عمر محمد الطيب) ، ورئيس مجلس الشعب القومى (أبو
القاسم هاشم) وأعلننا عن إتفاقية مصالحة لندن ^(٥) مع الشريف الهندى
أرسل الهندى خطابه لنميرى يعلن فيه عزمه العودة للسودان تحت إمضائه
بتاريخ ١٩٧٧/٩/٢٧ م ويدين فيه الممارسات الحزبية ويقرر ايجابية
التنظيم الواحد ...

((أود فى بداية حديثى ان أحيى المواطنين جميعاً ثم أشيد بمبادرة الاخ
الرئيس جعفر نميرى التى مكنت الشعب السودانى من تجاوز أخطر انقساماته منذ
الاستقلال ...

فمبادرة الاخ الرئيس فى الواقع وقفه شجاعة فى أخطر منعطف فى تاريخ
السودان حيث كان الخيار بين :-

.. الوحدة أو الشتات ..

.. البناء أو الهدم ..

.. العقل أو العاطفة ..

.. الأرض أو الافراد ..

(١) بعد وفاة والده يوسف الهندى ، تولى الخلافة الشريف عبد الرحمن بن الشريف يوسف الهندى
واسس حزباً تحت رعايته و رئاسة د. عبد القادر مشعال باسم الحزب الوطنى الذى اندمج فى الوطنى
الاتحادى ١٩٥٢م بعد توحيد الاحزاب الاتحادية فى القاهرة عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م . غير ان
الشريف عبد الرحمن الهندى قد انضم فيما بعد لحزب الامة ،، و عارض الشريف حسين تأسيس الحزب
الوطنى على أساس طائفى ايمانياً بفتح العمل السياسى أمام كل المواطنين بعيداً عن محورية الطوائف رافعاً
شعاره (لن نهادن الكهنوت السياسى) ولم ينضم لصفوف الوطنى الاتحادى إلا بعد ان انفصل عنه الختمية
مكونين حزب الشعب الديمقراطى ..

(٢) يوم قتل المنذر بن ماء السماء ..

(٣) ١٩٧٧/٧/٧ م .

(٤) ١٩٧٧/٧/١٤ م .

(٥) أعلنت من لندن ١٩٧٧/٧/٢٤م ومن ليبيا ١٩٧٧/٧/٢٦ م .

... الموضوعية أو الذاتية ...

وكان الأخ الرئيس جعفر وحده القادر على تحديد الاتجاه بمبادرة منه ما كان غيره يملك حق طرحها أو يستطيع المناذاة بها ..

نحن استجبنا للمبادرة لأننا نعلم ان الأخ الرئيس القائد يعبر بمبادرته عن رغبة الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية فى الوحدة الوطنية الشاملة ، ولأننا نتق فى الرئيس وفى وطنيته وجديته وصدق نواياه ..

ان التنظيم السياسى الواحد تجميع ايجابى لمقدرات الجماهير ، وقد كانت للأحزاب بحكم التجربة ممارسات سلبية عجزت تماماً عن تلبية امانى وآمال المواطنين ...

وختاماً فنحن قد استجبنا لنداء الأخ الرئيس وسنعود لأرضنا ولوطننا لنعمل بأعلى درجات الصفاء والموضوعية والجدية مع اخواننا ومواطنينا لبناء السودان الحديث المتقدم بإذن الله .)) ... (١) و عبر عن ذلك داخلياً عبد الماجد أبو حسبو فى مقابلة لثميرى بحضور أحمد عبد الحليم وفتح الرحمن البشير. .. ((هذه المبادرة الوطنية لا تصدر إلا من سودانى أصيل وقائد

مسئول ..)) ... (٢)

ورغم ذلك يظل الهندى معارضاً باسم الجبهة الوطنية حتى توقيع اتفاقية جدة (٣) مع نميرى مشروطاً فقط حرية الانسان وحرية القضاء ولما سئل :

" الشريف حسين ، هل ينتظر بعض التعديلات فى الدستور قبل ان يعود ؟ " ... (٤)

((لا أنا لم اشترط ذلك بالرغم من اننى ساكون سعيداً لأن أرى

(١) الصحافة ١٩٧٧/٩/٢٨ م .

(٢) قال الشريف الهندي فى رسالة وجهها للزيلة الايام) .

(٣) سونا ١٩٧٧/١٠/٩ م .

(٤) جدة ابريل ١٩٧٨ م .

(٥) سونا - ميديل إيست ...

القوانين الاستثنائية ترفع قبل عودتي

ونذكر فى اجابته لجريدة المدينة عندما سألته عقب اتفاق جدة (اتفاق المصالحة الذى وقعتموه مع النظام لا يختلف كثيراً عن الاتفاق الذى وقعه السيد الصادق المهدي وعارضتموه بشراسة كما إنه فى نفس الوقت لم يحقق مطالبكم السابقة بتعدد الاحزاب وحل مجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى) (١)

((الشريف :- فى واقع الامر ليس هنالك اتفاق وقعه الصادق المهدي ، فالصادق المهدي ومن معه ذهبوا للتفاوض على أسس محددة رأيت الجبهة ان يدور حولها التفاوض فى السودان .. ومنذ ان ذهب للسودان لم يشترك أحد من الذين ذهبوا معه فى التفاوض . . .

وثانياً :- إنه لم يتم التفاوض بل تمت اجتماعات متعددة تفوق العشرة بين الرئيس جعفر نميري والصادق المهدي وكل اجتماع كان يستغرق عشر ساعات ولم يعلم الناس إطلاقاً ماذا تم ، كل الذى علموه وبعد ذلك ان اعضاء من جماعته - اى الصادق المهدي - قد عينوا فى الاتحاد الاشتراكى وآخرين عينوا فى مجلس الشعب وفى اللجنة المركزية وفى المكتب السياسى واصبحوا جزءاً من النظام . . .

معارضتنا للصادق وعدم موافقتنا على الاتفاق الاول ترجع الى كون الصادق المهدي تصرف بفرديية ودون المشاورة معنا بل إنه قام باعلان طردنا من الجبهة خصوصاً انا واحمد زين العابدين وفى هذا الاتفاق الجديد سرنا فى طريقنا ملتزمين بالأسس التى وافقنا عليها وحملناها للصادق المهدي عند مفاوضاته مع الرئيس نميري وخير دليل على ان الصادق نفسه لم يكن راضى عن اتفائه الاول هو عدم ادلائه بالقسم للإتحاد الاشتراكى ولم يعتذر عن عضويته وابقى الامر معلقاً بينما ظل كبار معاونيه فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ونحن وقتها قاطعنا هذه الانتخابات وظللنا فى المعارضة الى ان تم الاتفاق على المصالحة

(١) المدينة ٢٥/٤/١٩٧٨ م .

وتابعته ايام^(١) الخرطوم ايضاً بجدة
((لابد ان أحيّ هنا وبصفة خاصة الأخ الشجاع الرئيس نميرى
ومواقفه البطولية فى سبيل السودان .. واننا نؤكد له باننا نصالحه اليوم
بصدق وشرف من أجل السودان ، كما خاصمناه بالامس بالصدق وبالرجولة
وبالشرف ، وسيجد فينا العون والنصير في جهوده))

عودة الغائب . . .

" اكّد الشريف حسين الهندي فى حديث خاص للأيام ان عدم عودته
للخرطوم فى نهاية ابريل الماضى يرجع لاسباب خاصة وطارئة وانه سيعود
حتماً خلال شهر مايو الحالى ليعمل مع اخوته من اجل البناء والتعمير ووحدّة
الصف والديمقراطية ..

وقال انه يؤكّد مجدداً للأخ الرئيس القائد نميرى ثقته الكاملة فى
اخلاصه وصدقه وشجاعته وتقديره الكامل لمبادرته التاريخية التى كانت الركن
الاساسى لهذه الوحدة الرائعة التى تتنظم بلادنا الان . ((^(١)
وبعد مرور شهر آخر ، تسال الايام^(٢)

(لم يبق فى نهاية اللقاء إلا ان سال الشريف السؤال التقليدى ..
متى يعود الشريف ١٩) .

" الشريف :- لقد ظلت هارباً ٩ سنوات ولدى كتاب الان
اسمه (الهارب) ، ولا بد من عودة الهارب وهناك كتاب آخر اسمه (عودة
الهارب) . . . أخوتى أرجو ان تكون عودتى خلال شهر يونيو (الشهر الحالى
(... وبمناسبة الحديث عن عودتى أرجو ان أؤكد حقيقة هامة وهى إننى فرد
من افراد الشعب السودانى والوحدة الوطنية لا ترتبط بالافراد أو بعودتهم
اطلاقاً ، وبمقدار ما يتساعل الناس لماذا لم يعد الشريف ؟ بمقدار ما أسأل
أنا ما هى أهمية عودة الشريف وهو فرد عادى ، ولماذا يعتقد الناس أن
هناك اخلاقاً باتفاق مَوْقَع بالرضى والإختيار قد حدث اذا عاد الشريف

(١) الايام ١٤/٤/١٩٧٨م (حسين الهندي يحيى شجاعة نميرى ومواقفه البطولية)

(٢) الايام ٤/٥/١٩٧٨م - لندن عبد الله سيد احمد .

ام لم يعد وهو بشر له ظروفه التي يغترب فيها ويعود ، اؤكد انى
سعود .)) (١)

ويظل الناس ينتظرون عودة المعارض الذي خرج سراً مطلوب القبض
عليه حياً أو ميتاً ، بعد ان غيرت المصالحة عودته رغبة ورجاء من مايو
وتشاء الاقدار ان يلقي الشريف ربه خارج وطنه ليعود جثماناً يوارى بجانب
اجداده ببرى الشريف بالخرطوم (٢)

ويتابع الاتحاديون الديمقراطيون مسيرة الاوضاع بمرونة وانسجام
ومآرب أخرى يبغونها ، ويزعمون المقاومة السرية الداخلية للنظام " دخول
أحمد للمكتب السياسى واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى كان
قراراً من لجنة الحزب ولقى ذلك ترحيباً من الشريف حسين
الهندي فى الخارج .)) (٣)

(رأى الشيخ خير من مشاهدة الغلام)
" ونحن نقلب صفحات التاريخ لابد ان نعلن الحقائق على الشعب السودانى
وفى صفوفنا نحن الاتحاديين من شارك أيضاً على أساس حماية المواطنين فى
الاقاليم المختلفة ، ولذلك دخل كثير من قياداتنا الجماهيرية مجالس
الشعب الاقليمية وحتى رؤساء ونواب رؤساء تلك المجالس كانوا
من الاتحاديين وقد اعتمدت أنا شخصياً أبان اشتغالى فى مايو على هذه
القيادات واستفرتها وجمعتها فى مجلس الشعب القومى من اجل إعادة
تكوين الحزب الاتحادى الديمقراطى وكنت اعقد الاجتماعات بوزارة
المواصلات وفعلاً تكونت منهم قوة اتحادية كانت تتعاون معى
على تجميع كل القوى الاتحادية كما كان يفعل الأخوان
المسلمون فى تنظيمهم داخل النظام المايوى ... وكان ذلك

(١) الايام ٦/٦/١٩٨٧م

(٢) ١/٩/١٩٨٢م .

(٣) اجابة السيد محمد عثمان الميرغنى لسؤال برنامج (الرأى لكم) التلفزيونى السودانى فبراير

١٩٨٦ م .

مظهراً من مظاهر قيادتي للمعاضة من الداخل وكان هدف المشاركة كما ذكرت الاستيلاء على النظام من الداخل استيلاءً سلمياً والعمل لإعادة الديمقراطية .)) (١)

وتأتى الانتفاضة وتدب الحياة بِقَدْرِهَا فى أوصال الحزب عندما يتجاوز الاتحادى الديمقراطى الخلافات داخل صفوفه ويصل الى صيغة تؤكد وحدة الحزب ، لتبدأ تكتيكات الحزب السياسية الإنتخابية

، " وتورد سونا ان الاجتماع قد قرر اعادة تكوين المكتب السياسى على أساس الشرعية التاريخية للحزب عند تكوينه ١٩٧٧م ، والشرعية المكتسبة من خلال العمل فى المرحلة النضالية الماضية .)) (٢)

وتأتى الإنقاذ فيكون يوم سرور الاتحادى الديمقراطى باتفاقية الميرغنى - قرنق (٣) قصيراً ... ويسجل حفيد جيبى به ليكون سداً امام التَّبَشِيرِ المسيحى فى السودان تفريطه فى المهمة ، ويساوم بهوية أمته ووجهتها الحضارية

((كيف لا يمكن للفريق البشير ان يلقى الشريعة رغم إنه قادر على ذلك ، بينما سبق ان وافق على الإلغاء زعيم دينى وهو السيد محمد عثمان الميرغنى ، ووقع على هذا فى اتفاق ١٦ نوفمبر ١٩٨٨ م مع العقيد قرنق)) (١)

ولولا قيام الانتفاضة فى ابريل ١٩٨٥م ، لكان الختمية والاتحاديون هم آخر فرس رهان لنميرى .. فقد اصدر نميرى قراراً جمهورياً بتكوين لجنة قومية لتخليد ذكرى السيد على الميرغنى وقادة الحركة الوطنية برئاسة السيد الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب .. ينص .. .

" تختص اللجنة بالاشراف والاعداد على اقامة احتفال بالعاصمة القومية بتاريخ غرة محرم ١٣٠٦ هـ تخليداً لذكرى سيادة السيد على الميرغنى والعمل

(١) أحمد السيد حمد - الاسبوع ٨ ديسمبر ١٩٨٦م .

(٢) الايام ٢٠/١١/١٩٨٥م .

(٣) أديس أبابا فندق قيون ١١/١١/١٩٨٨م . ** (٤) د. منصور خالد الإهرام ٢٨/٣/١٩٩٠م

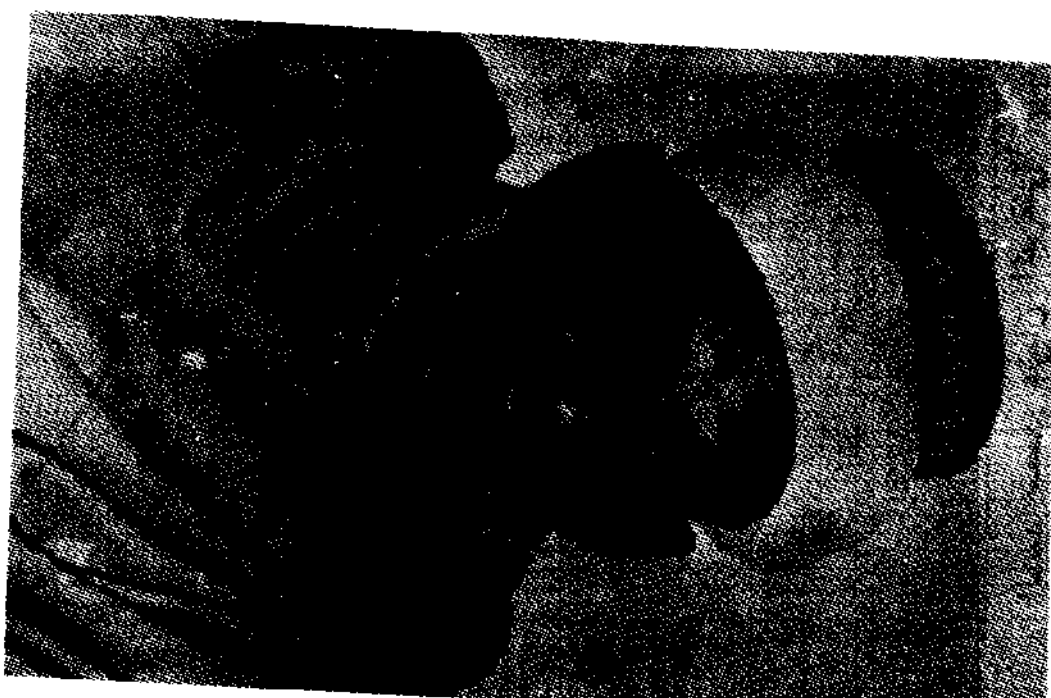
على إبراز دور الشخصيات الدينية ودور الصوفية في تربية أبناء هذه الأمة ونشر الوعي الدينى ومساندة الحركة الوطنية وجمع المذكرات والوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية وقادتها للاستفادة منها في تسجيل تاريخ السودان الحديث واثراء مصادره وطبع سفر يحوى مناقب ومذكرات سيادة السيد على الميرغنى ودوره فى الحركة الوطنية . ((...^(١)

ولكن (تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن)

(١) الصحافة ٢٤/٣/١٩٨٥ م .



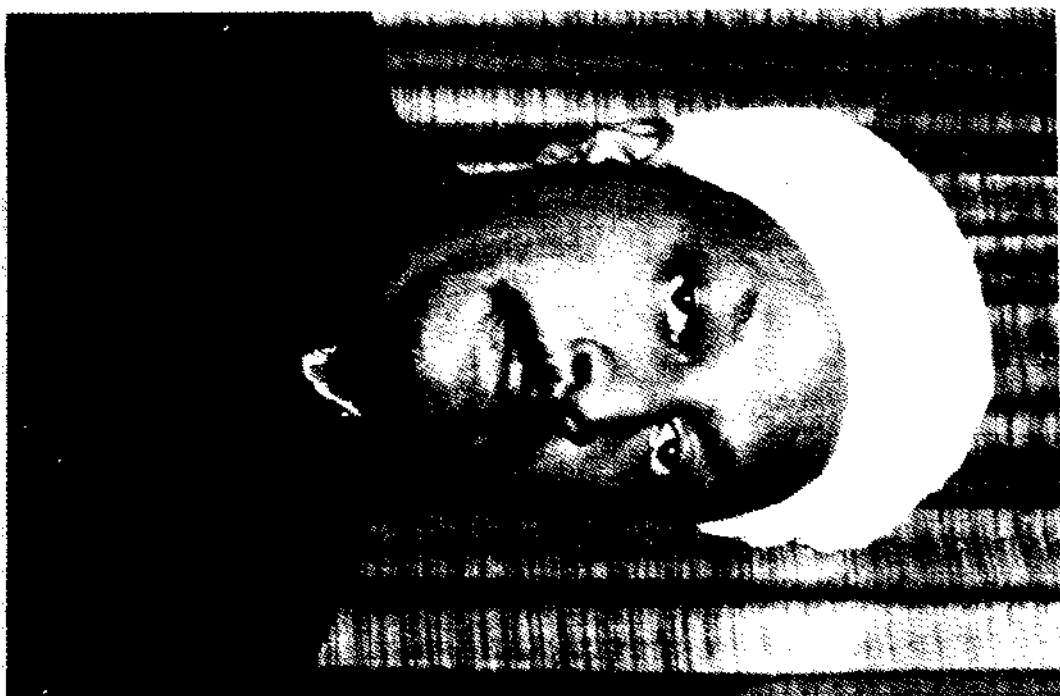
السيد الشريف حسين الهندي



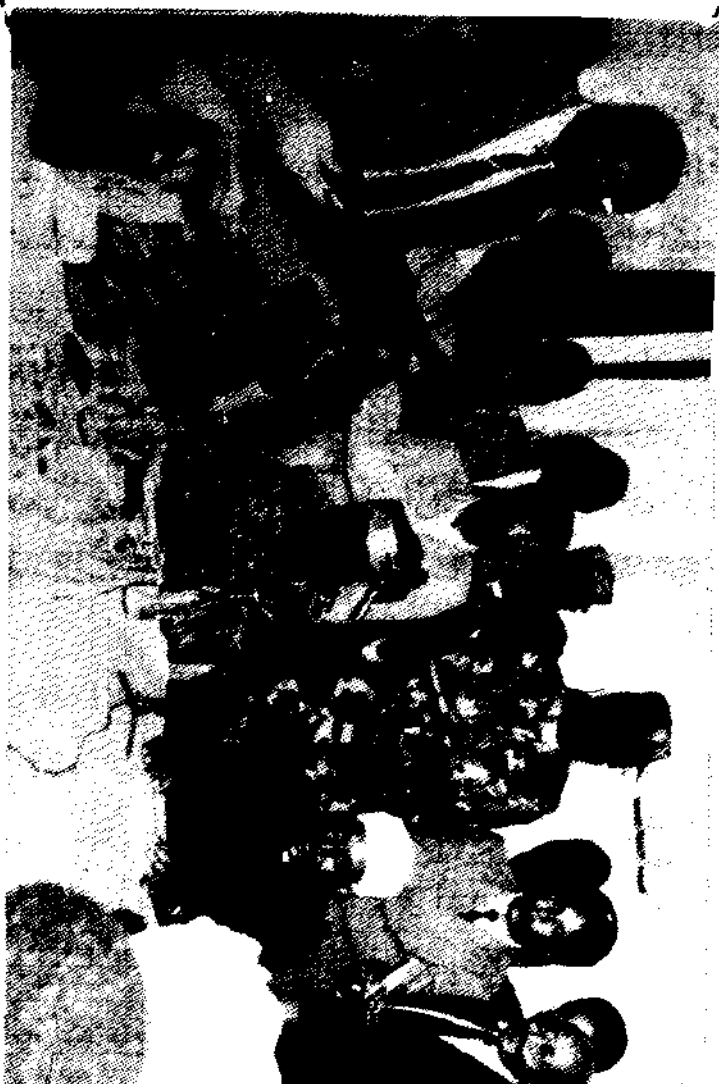
السيد علي الميرغني



السيد أحمد الميرغني



السيد محمد عثمان الميرغني



اتفاقية ١٦ نوفمبر (الميرغني / فريق)

(ج) الحركة الإسلامية

البداية والتطور

فى أواخر الأربعينان (١٩٤٩م) بدأت الحركة الإسلامية السودانية خطواتها الأولى باتصالات الاسلاميين الأوائل بقيادة تنظيم الإخوان المسلمين بمصر ، ودعم الجهد بعودة الطلاب السودانين الذين هاجروا للتعليم فى مصر وعاصروا حركة الإخوان بها وتأثروا بفكرها وأدبها الحركى .. وفى ذات الوقت كانت طلائع الاسلاميين بجامعة الخرطوم والمدارس الثانوية تقبل على الأدب الحركى الإسلامى للأخوان المسلمين والدعاة فى باكستان ، وتكونت عندئذ حركة التحرير الإسلامى ، وبتخرج شبابها الأول فى ١٩٥٥م ، وبعد الإستقلال ، بدأت تشعل شرارة تفاعل التدين الفطرى فى المجتمع السودانى لتضيف لمفهومه فى الشعائر التعبدية والمعاملات معنى تحكيم الدين ... وبدأت دائرة الفكر الإسلامى دعوة وتذكيراً وشعارات ومدارس وكتابة وخطابة ، مبتعدة عن ملامسة التقنين فى عرضها لقضية الدستور الإسلامى فى الخمسينات ...

وظهرت الحركة الإسلامية امام مجتمع السودان بحجم منظم محدود بعد اكتوبر ١٩٦٤م ، وذلك بعد المبادرة لقياداتها فى تفجير الثورة .. وبدأت تكويناتها الحزبية (جبهة الميثاق الإسلامى) والتنظيمية (منظمة الشباب الوطنى) والجهوية (الجبهة النسوية الوطنية) ... وابتدأت معاركها السياسية بقضية حل الحزب الشيوعى^(١) السودانى ، وحمل الأحزاب التقليدية الطائفية على مسودة دستور ١٩٦٧م ذات الملامح الإسلامية الواضحة والتي انتهت بقيام مايو...

قبل قيام مايو وفى مؤتمر دار الخريجين بأمدرمان^(٢) بدأت مظاهر الخلافات الاستراتيجية والفقهية تدب فى أوصال الحركة الإسلامية تنظيمياً وقيادة وشخصاً ، حيث دار الخلاف فى فلك التوازن التنظيمى بين التربية والنشاط

(١) ١٩٦٦م .

(٢) ١٩٦٩م (البعض يرجع بدايتها مكاناً للنادى الثقافى ببحرى) .

السياسى .. وسياسة النوع (عصبية التنظيم و طائفية الجماعة) وسياسة الكم (الممارك السياسية و حاكمية التنظيم) .. كما امتد الخلاف للاجتهادات الفقهية ، وعلاقة الحركة الاسلامية السودانية بحركة الاخوان المسلمين المصرية والعالية ... وانتهى المؤتمر بتباعد الاجتهادات الفقهية ورفض بيعة التنظيم المصرى كمرشد عام للحركة الاخوانية العالمية ...

وبعد ، رفض المنشقون المساهمة فى مواجهة المعارضة لمايو قبل المصالحة الوطنية ، كما رفضوا المصالحة نفسها فيما بعد ، وبنوا عليها كثيراً من جوانب الخلاف .. وبدأوا يهاجمون افكار الجناح الاخوانى المصالح (١) و آراء قيادته الفقهية . التجديدية

المعارضة ، والمواجهة بعد مايو

(وبعض القول يذهب فى الرياح)

بدأت المواجهة بين مايو والاسلاميين ، والذين اعتقلت مايو قياداتهم حتى المصالحة ، بمعركة الجزيرة ابا ٢٧/٣/١٩٧٠ م ، والتي قام كادر الاخوان المسلمين من المحاربين مع منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) ، بدور المدرب القائد لجماعة الانصار والاخوان معاً (٢) ...

وواجهت قواهم الطلابية مايو فى ٣٠/٨/١٩٧٣ م وأدت دورها فى قيادة الثورة على المستوى الطلابى ، واحتفظوا بها **ساخنة** لايام ، واخمدت المظاهرات بالرغم من وقوف بعض النقابات واحجام اخرى .. ولم يؤدى القادة السياسيون دورهم المناط بهم كما ينبغى ...

واشتركت الحركة الاسلامية فى احداث يوليو ١٩٧٦ م (٣) الدامية ، والتي كانت آخر المواجهات القتالية بين مايو ومعارضيه من الاحزاب ..

(١) من يعتبر التنظيم طائفة مطلقه فى مصر وحركة فى السودان .

(٢) الاستاذ محمد صالح عمر قتل فى المعركة ٢٧/٣/١٩٧٠ م ، وحركم الشيخ محمد صالح

الكارورى بالإعدام ضمن مجموعة من الانصار والاخوان ...

(٣) عرفت مايو بغزو المرتزة من ليبيا

المصالحة الوطنية

(الإيناس قبل الإينساس) (١) ...

جاءت الحركة الاسلامية لتصالح وأمامها حقيقة ان الشيوعيين هم اول من غرّه سراب مايو ، فإبادت خضراءهم وكانوا جيفة لم تعكر بحراً لمسيرتها ، وامامهم أولاً العتبة الفقهية ، فجولة الباطل ساعة وجولة الحق الى قيام الساعة ...

لذا فقد غشيت مجالسهم واجتماعاتهم نقاشات دارت حول فقه الضرورة ، ودرء المفسدة وجلب المصلحة ، وأرتكاب أخف الضررين ... حيث رأى البعض ان فى دخولهم مشاركة فى تضليل الأمة عن الاستبداد الذى يحكمها ويتسلط عليها .. ورأى غيرهم إن فى المشاركة واجباً يمليه فقه التدين فى قضايا الاصلاح والتغيير ، وبها يتم اسماع صوت الاسلام واقامة الحجة وقطع الاعذار ... وبها تخطو الحركة الاسلامية خطوة نحو حسم قضية تكيف الواقع ومتطلبات التدين

وصالحت الحركة الإسلامية ..

(الجرعُ أروى و الرشيف أنقى)

فى عام ١٩٧٦م بادر الصادق المهدي رئيس حزب الأمة بمقابلة نيمى دون ان يستشير بقية أطراف المعارضة وعقد معه صفقة أولية للمصالحة و بعدها ادركت المعارضة ان عناصرها ينبغي ان تصالح ، فصالح كل طرف على طريقته ... اما الحركة الاسلامية فلم تتبع السلطة وانما طلبت حرية الدعوة للإسلام .. فاشتراط عليها ان تعمل داخل الأطر القانونية وفى جمعيات مسجلة قانوناً ومن داخل أطر الحكم والاتحاد الاشتراكى فرضيت بذلك " (٢) .

(ومن خشى الذئب أعَدَّ كلباً)

" واستمرت الحركة تعبئ تنظيمات اسلامية موازية للإتحاد الاشتراكى

(١) الإدارة عند الطلب ...

(٢) د. حسن الترابى الاهالى ١٩٨٥/٥/١م .

وادخلت فكرها داخله حتى كاد ان يتلاشى فكره الكلاسيكى ... ولما تعاضم الدفع الإسلامى قدر نميرى ان خير وسيلة لاستلاب الشعبية منها ان يتبنى أطروحتها ، فتبنى الاسلام وجعله هو التفويض الذى انتخب به ، ولكنه صاغ القوانين بعيداً عنّا حتى يستأثر بالفعل وحتى لا يقال انه يتحرك بوحى منّا " (١) ...

((ظهرت بعد ٧٦ بؤادر استقطاب دولى لتلجئ المعارضة لها ، ويقع نميرى فى احضان أمريكا ليجابه التصدى ، وما أردنا ان ننتهى بعلاقات المعارضة الى حرب بين القوى العظمى يكون ابناء السودان وقودها .. وبدأ النظام فى مسطحة السياسى يتحدث عن الإسلام ويتقرب الى الرأى العام الشعبى ، وبادر الصادق المهدي بالذهاب الى بورتسودان دون ان يستشير اعضاء المعارضة فصالح بعد ذلك كل على نهجه ، وكانت الأحزاب تريد اقتسام السلطة ولم نطلب السلطة بل طلبت الحركة الاسلامية حرية الحركة واشترط عليها ان تعمل فقط فى إطار الجمعيات المسجلة من داخل أطر الاتحاد الاشتراكى ، ونجحت الحركة فى انشاء تنظيمات اسلامية موازية لتنظيمات الاتحاد الاشتراكى (رائدات النهضة وشباب البناء) (٢)))

" اما الاتجاه الاسلامي فلم يطلب إلا حرية الدعوة الإسلامية واشترط على هذا الاتجاه ان لا يكون كياناً معلناً ، فظللنا نعمل من اجل بناء مستقبل اسلامى فى السودان حيث نقيم المؤسسات الاقتصادية والخيرية والثقافية والاجتماعية ونحدث للرأى العام بلغة لا تدعوا لاسقاط النظام ، بل بلغة مستقلة تنتقد سياسات النظام وتتجافى عن شعاراته ، وكنا ننظم كثيراً من التظاهرات والندوات المعارضة وكان النظام مضطراً ليصبر علينا تقديراً لقوتنا السياسية .)) (٣)

" إن كان البعض يعيب علينا المشاركة فى النظام فإن النميرى ظل يحكم ١٦ عاماً شاركته بالتأييد السافر والخجول سائر القوى السودانية

(١) د. حسن الترابى الاهالى ١٩٨٥/٥/١م

(٢) ثلاثون لقاءً صحفياً مع د. الترابى - مكتب اعلام الاتجاه الاسلامى (المصالحة والمعارضة)

(٣) د. حسن الترابى - الاتحاد ١٤٠٥/٨/٢٤هـ

منها من ساندته في خرق الدستور . كالنظام المايوي الأول ومنها من شاركه بصفه شخصية وما من سوداني إلا وأدى دوراً في الحياة العامة في عهد مايو ، إلا الأحزاب التي لم تكن قد ولدت بعد .. وإنما تقوم المقارنة بينها على الدور الذي أدته الجبهة في سياق معيقتها للنظام المايوي ... والحركة الاسلامية في مشاركتها كانت الصوت الذي ارتفع بالنقد للفساد في المواقع التنفيذية والتشريعية ، وكانت هي الوحيدة التي فرضت مبادئها على النظام الذي بدأ اشتراكياً متمركزاً وانتهى يدعى النسبة للإسلام " (١) ...

لقد ركزت استراتيجية الحركة الاسلامية بعد المصالحة على استخدام الحرية النسبية المتاحة في توسيع التنظيم ونشاطه ، وعملت على ايجاد ضوابط اجتماعية لمحاصرة ومحاربة ومحاسبة الفساد تمثلت في الجمعيات والمنظمات المختلفة باعتبار ان القانون هو أعجز انواع الضبط الاجتماعي .. ودخلت دائرة الحركة النسوية السودانية مجال تخطيطات الحركة ، وعمومها . وانتبهت الحركة الاسلامية لمكانة جنوب السودان الاستراتيجية ، وبدأ النشاط السياسي والفكري الاسلامي عن طريق منظمة الدعوة الاسلامية بالجنوب و جبال النوبة ومناطق الانقسن ، واقتترنت الدعوة بالخدمات الاجتماعية والخيرية بمناطق غير المسلمين وغير الناطقين باللغة العربية ، وتوسعت الاعمال التطوعية والاغاثية ... وعملت الحركة الاسلامية على سد الفراغ الفكري داخل الاتحاد الاشتراكي وبدأت الممارك السياسية والكلامية بين القادمين والقدامى (٢) . ووجد المعارضون للحركة فرصتهم لبذر وتغذية الخلاف مع النظام .. وبدأوا بتضخيم المخاوف لدى النيميري وافلحوا في زعزعة الثقة وزرع الخوف والرهبه في نفسه من مخاطر الحركة الاسلامية على نظامه

وبدأت المغالطات في انتماء مايو الفكري بين مصالحي الحركة ومؤيدي مايو قيادة وتبعية ... (إن الكتاب (النهج الاسلامي لماذا) اعلن ايمان الدولة بما آمنت به القاعدة الشعبية ، وهذا تحول جديد ..) (٣)

(١) ثلاثون لقاءً صحفياً مع د. الترابي - (المعارضة والمصالحة) .
(٢) أشهرها مراعات الأستاذ/ موسى يعقوب ، وما يعرفه بعصاة الأربعة .
(٣) د. الترابي ندوة الصحافة ١٤/٢١/١٩٨١ م ، عن (النهج الاسلامي لماذا) .

" هذا تقويم غير صحيح للكتاب ولثورة مايو ، فالكتاب لم يجرى كتحول مفاجيء فى خط مايو ، أو كتطور معزول عن مواثيقها وانجازاتها فقد اتجهت مايو للنهج الاسلامى منذ قيامها وضمنته مواثيقها وانجزت على طريقه شتى الانجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... " (١) .. غير ان تلك الصراعات لم تتل من الحركة بقدر ما اضعفت الاتحاد الاشتراكى مما مكن الحركة من تمكين ايدولوجيتها الواضحة فى برنامج الولاية الرئاسية الثانية ..

وليس ثمة اوضح دليلاً على ايجابية خطوة المصالحة للحركة الاسلامية من نمو الدعوة الاسلامية السياسى ، والذي توضحه نتائج الانتخابات التالية للمصالحة وحتى قيام الانقاذ الوطنى .. ففى انتخابات فبراير ١٩٧٨ ، نالت الحركة الاسلامية عشرين مقعداً فى مجلس الشعب القومى (٢) ، وستين مقعداً فى انتخابات مجلس الشعب القومى لعام ١٩٨٠م من ضمنها نصف مقاعد العاصمة القومية وكسبت دارفور فى انتخابات الحكم اللامركزى ، ودارفور هى احد مراكز السيطرة الحزبية للأنصار وحزب الامة (٣) ... وحازت الحركة على كل دوائر الخريجين فى الشمال ودائرتين فى الجنوب فى انتخابات ١٩٨٦ (٤) ...

(١) عوض الكريم موسى عبد اللطيف ، ندوة الصحافة ١٤/١٢/١٩٨١م فى رده على د. الترابى .

(٢) مجموع المقاعد ٣٠٤ كسب منها (حزب الامة ٢٠ ، الاتحاد الديمقراطى ٢٠ والمستقلين ٦٠) .

(٣) فى انتخابات ١٩٨٦م كسبها حزب الامة ولم تتل الحركة إلا دوائر الخريجين ودائرتين جغرافيتين

(٤) مجموع دوائر الجبهة الاسلامية فى الجمعية التأسيسية ١٩٨٦م ٥١ ، منها ١٣ مقعداً بمنطقة

الخرطوم .

الشرعة الإسلامية ...

(مع الخواطيء سهم صائب .. والبئر أبقي من الرشا) ...
معيّة النميرى وعقليته ومفهوم الدين عنده ...
(رَحْلُ يَعْضُ غَارِباً مجروحاً) ...

لم يعرف المجتمع السودانى للمايويين تَقِيْدًا بسلوك ديني ، وأتباعاً
لمعروف ونهياً عن منكر يؤهلهم ليكونوا حداة لشرع الله وهداة به ، وإن
البسوا حلة القيادة الرشيدة التى فصلها جعفر نميرى لقادة نظامه ، وأهل
مكة أدرى بشعابها ... فقد كانوا خليطاً ، منهم المعتدلون وغيرهم من
الفلاة وأكثرهم مغرضون وبعض المقسطين .. هذه الجحافل المايوية وقيادتها
الرشيدة ، هل هى موسمية الاسلام خوفاً من قبضة السلطان أم عوناً يدفع
الحركة الاسلامية ؟ ... فقد اوصى الفاروق رضى الله عنه جيشه قائلاً ...
" كونوا أشدّ احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش
أخوف عليهم من عدوهم .. " ... كل تلك الدوائر المحيطة بقرار القوانين
الاسلامية أتاحه فرصة لمن يرغب أن يقول أن احلام مايو الاسلامية كانت
نزوة عابرة وأمنية نفس عاجزة ولم تكن نابعة عن عزيمة وإيمان وجدّ
وارادة تهذيب وتقويم ، فمن دافع عن الشريعة عندما رفضها النميرى ؟ ! ...
ولم يكن النميرى وهو يتأهب لحلة الإمام قد أعد نفسه تسلّحاً بالمعرفة ،
ومعرفة العالم حوله وما يدور فيه من صراعات وفتن وضغوط ومعارك
فكرية حتى يوطد نفسه وعزمه لمعركة الشرع ...

هكذا يفهم النميرى الدستور الإسلامى ...

سأله مندوب صحيفة المرأة بجوبا :- هناك الكثير من المواطنين
يتحدثون عن التغييرات الحادثة ويعتقدون إنه اذا ما حدث ذلك قد يعنى قيام
دستور جديد ... (١) أجاب الرئيس ...

" الدستور الاسلامى هو معمول به الآن فى السودان ، وأحب ان أوضح
نحن دستورنا الإسلامى هو القرآن وهو الذى نعمل به الآن ، ليس هناك
دستور آخر يوضع اسمه الدستور الإسلامى ، ولا نريد ان نسمى انفسنا

(١) سونا / مؤتمر صحفى محلي واجنبى ٢٩ / ١ / ١٩٨٠م

جمهورية إسلامية .. واضيف الي معلوماتكم انه ٩٠٪ من دول العالم دساتيرها ٧٥٪ منها مستقاة من القرآن .. فرنسا ٩٠٪ من دستورها من القرآن .. وكل دول أوروبا التي ورثت الحضارة من العالم الإسلامي ، ما كانت عندها قوانين لما كانت في العهد المظلم فما وجدت أمامها غير الحضارة العربية الاسلامية فاخذت منها قوانينها .. ولا خوف على السودان مما يجرى فيه وليعلم كل مواطن سوداني ان الإسلام يختلف عن الأديان المختلفة الاخرى كلها جميعا .. الاسلام دين دنيا واخره وله اساس في التشريع وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل الدول الاخرى تأخذ من تشريعه .. وانا لما اقول ٧٥٪ من الدول عندها تشريعات اسلامية هذا حقيقة لان دا جزء من منابع التشريع الرئيسية في العالم "

" ان قانون السودان لن يؤخذ فقط من الشريعة وانما من مصادر اخرى مختلفة ... " (١)

وتقول ديباجة دستور ١٩٧٣

" قد عقدنا العزم الاكيد على أن نرسى دعائم مجتمع اشتراكي ديمقراطي جديد يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ... "

وتقرأ المادة (١) منه ...

" جمهورية السودان الديمقراطية ، جمهورية ديمقراطية اشتراكية موحدة ذات سيادة وهي جزء من الكيانين العربي والافريقي ... " وينص ...

" الإسلام دين الغالبية والمسيحية ديانة عدد كبير من المواطنين وتسعى الدولة للتعبير عن قيمة كل منها .. " ... وينص الدستور على المساواة التامة بين اصحاب الديانات السماوية (وكريم المعتقدات الروحية) من حيث الحقوق والحريات المكفولة لهم كمواطنين .. "

" وإذا رجعت لأدب الثورة تجدين إنه لم يتحدث وزير أو مسئول الى الجماهير إلا ويبدأ بأبعاد الشيطان بالبسملة .. ثم بعد ذلك في كثير من

(١) مجلة الشرق الاوسط (باللغة الانجليزية) ديسمبر ١٩٧٧ - نمبري ...

(٢) اجيز الدستور بواسطة مجلس الشعب ١٩٧٣/٤/١١ م رئاسة بروفيسر النذير دفع الله وقعه جعفر

نمبري ١٩٧٣/٥/٨ م .

الاحاديث أو الخطب المكتوبة أو المرتجلة تأتي دائماً اقتباسات من القرآن الكريم أو الاحاديث النبوية الشريفة ثم ندخل في الموضوع . . . (١) وتتوق قوى نميرى الروحية بحمل النزعة الطائفية الصوفية فيتعثر بين مفهوم الرهبانية والحركة في الإسلام ويخلط بين مفهوم العلاقة بين الأديان

" جعفر نميرى يطوف مع الزائرين في افتتاح قبة بمدينة كوستى ويأمر بهدم القباب في مدنى ، ويرى في النوم إنه يطوف طائراً بأخرى فيذبج الخرفان والعجول .. " (٢) ..

" وقبل ثلاثة أيام وأنا نائم في العصرية أشوف رؤيا اننى مدفوع الى ان احضر لهذه القرية ودخلت القبة فاذا بى أجد سيدى أحمد الطيب يقوم من القبر ويقول بهذا اللفظ ... [انت اتيت بالعدالة لهذا البلد فطير على هذا الإتجاه] وشعرت بنفسى أطيروا واخذت لى لفة لحد الكوداب وجيت راجع ، لفيت لفة كبيرة وأصيح بملء فمى (العدالة العدالة العدالة) ثم اتيت له مرة أخرى قال نفس الشئ ودفننى نحو الجنوب فاخذت لفة على الخرطوم واخذت اهتف بالعدالة فى كل مكان . جئت مرة أخرى ونزلت على بعد أمتار ودخلت القبة وشعرت ان سيدى أحمد الطيب لم يقابلنى هذه المرة ، فدخلت لأرى من اين خرج ، وجدت فى حفرة فى القبر الأخير ، وأنا بنظر لهذه الحفرة فاذا بالقبة تنزل كأنها بنيان من طين ضربه مطر بتمام كده ونازلة على ، فرحت طلعت برة على حسب ما قيل لى من بعض الأخوان فى الخارج ، وشاهدت ان هذه القبة بدأت تتهدم ببعض الاماكن ، وأنا فى النوم قررت بانى لازم انفذ الزيارة ، وان هذه القبة تحتاج للصيانة والتجديد .. " (٣) ...

" نحن كمسلمين لا نفرق بين الأديان فالاسلام يبشر بان من لا يؤمن بالمسيحية ليس مسلماً وكما قلت قبل قليل لبعض زوارى فإن سفيرنا فى واشنطن اسمه عيسى وتعنى (JESUS) وسفيرنا فى جدّه اسمه محمد

(١) الصياد ١٩٨٤/١٠/٢٤م نميرى (مايو عملت منذ بدايتها للإسلام) .

(٢) أوقفوا تدمير الآثار الإسلامية .. د. خالد المبارك الصحافة ٣/نوفمبر ١٩٨٣م

(٣) أم مَرَح ظهر الجمعة ٢٨ ربيع أول ١٤٠٥ هـ / ٢١ ديسمبر ١٩٨٤م

وهناك سفير فى الخرطوم اسمه موسى ، وجميعهم مسلمون ، وهذا يعنى
اننا نعترف بكل الأديان . " ... (١)

وتسأل المجلة : ولكن المستشار المسيحى من أجل أى قوانين (٢) ١٩
" لكل القوانين بما فيها القوانين الاسلامية . فهو أولاً عالم قانونى ولكنه
مسيحى ، وهو مؤمن بما جاء فى القوانين الإسلامية ، ويعترف بها ويعتقد
إنها من القوانين المتقدمة وهذا أمر ليس جديداً ... ولعلك تذكر إنه كان
هناك قانونيون فطاحل فى مصر يستشهدون بالقرآن ، وخير مثال على ذلك
مكرم عبيد .. " (٣) ...

و" ان المستشار القانونى السابق د. الترابى تم اختياره مساعداً لرئيس
الجمهورية للشئون الخارجية لتدعيم الاتجاه الاسلامى لأننا فى عملنا للتعديلات
القانونية نحتاج الى الدعم من الخارج وهو كفاءة قانونية ، ورجل فقه
ويتحدث الكثير من اللغات وسيساعد ذلك لتحقيق الاهداف المرجوة داخلياً
وخارجياً ... " (٣)

ورجل بهذا الفهم للاسلام ، يصحب حركة تفهم الاسلام قناعة وتربية ،
حركة شمولية الفهم فى تفاعل تعاليم الاسلام مع واقع الحياة ، لابد أن يعجز
ويسام مصاحبته ، ولابد له من لحظة توجس وتردد عند مفترق الطرق ...

إنه (**هُكْرُهُ أَخُوكَ لَا بَطْلُ**) ...

" ان النهج الاسلامى لن يكون على حساب ثورة مايو ، وإنما بها فما
تحقق إلا فى ظلها .. النهج الاسلامى لن يكون على حساب التنظيم السياسى
الواحد ... " (٤) ...

ان النهج الاسلامى إن لاناخذ بشبه ان لا ندين الناس إلا ببينة ، لاناخذ من
الشكوك قرائن ، ندرك الحدود بالشبهات ، ندرك عورات الناس لانفضحها ،
لانقل باب التوبة بالاشهار وامكانيات الصفح والعقوبة بالتشهير .. النهج

(١) هكذا يفهم نميرى الاسلام ... التضامن ٢٦/٥/١٩٨٤م .

(٢) التضامن ٢٦/٥/٨٤ " عندما غير نميرى مستشاره القانونى المسلم بأخر مسيحى د. يوسف
ميخائيل " .

(٣) نميرى ، عند العودة للاسكندرية لحضور الاجتماع الثانى للمجلس الأعلى للتكامل سونا
١٩٨٣/٩/١١م ،

(٤) نميرى الصحافة ١/١/١٩٨٤م

الاسلامى إنما هو مكارم الأخلاق ، ان لا ندخل البيوت إلا من أبوابها .. ذلك هو الإسلام ، وهذا هو الإسلام ، وهذا هو دستور السودان ومانص عليه ، ولكن ايها الأخوة وبعد ذلك كله ، وكل ذلك هو الاسلام الصحيح حقاً .. لكن الاسلام له طوارئ وعندما يرى المجتمع قد فسد وانحرف انحرافاً شديداً نعلن الطوارئ ، ندخل البيوت نضبط ، نفتش .. نفتش الناس فى كل مكان .. من يشرب فى الخفاء من يزنّى ، كل بيت سنفتشه وندخله ، الإسلام أمرنا بذلك ننشر فى الجرائد لان المسلم يكره ان يسمع اسمه .. اذا كان انت بتكره الآخرين يسمعون اسمك أوقف هذه الاشياء ، هنستمر ننشر ، نستمر نجلد حسب الحدود ، سنستمر نقطع الأيدي حتى يتكون المجتمع المسلم الصحيح .. ((^(١) ...

وبالرغم من كل هذا الحماس وهذه العاطفة المشبعة بالرغبة ، والمحاطة بالجهل وفراغ الجوف تراجع النميرى عن بعض القوانين الاسلامية ، بدأ يتراجع تدريجياً ، وتحت الضغوط الاقتصادية ، وكوارث المجاعة والجفاف ، وحب السلطة وطول بقائها ... ويتكرر للجماعة التى جعلته قريباً من وجدان الأمة وأهل السودان وآمالهم ، وحبته اليهم عن طريق العقيدة والدين .. لأن أهل السودان يقدمون الدين والعقيدة عن لقمة العيش ... وبدأ النكوص عن الشرع بإرجاع الفاسدين من وزرائه المبعدين ، ورفع شعبية الزكاة عن المؤسسات والشركات ، وحل جمعيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما اشعر الحركة الاسلامية بأن أسلمة القضاء لا تتماشى وعلمانية الدولة ...

ووجه للإسلاميين تهمة تخريب الإقتصاد الوطنى والتآمر لقلب السلطة بمساعدة دولة أجنبية ...

" لقد أرادوا بهذه المشاركة النشطة فى تطبيق احكام شرع الله التقليل على مكتسبات الشعب والقفز الى مواقع السلطة ثم التحكم فى الشعب باسم الدين ... إن الهدف الرئيسى والأساسى من وراء مخططهم هو الإستيلاء على السلطة وكان اسلوبهم المهادنة ثم المشاركة ظاهرياً .. فالتغفل

(١) نميرى الصحافة ١٢/١/١٩٨٤م.

(٢) الصحافة ٢٥/١/١٩٨٤م

والإحتواء ثم الاستيلاء على السلطة بأسلوب البديل المناسب فى الوقت المناسب .. فقد اكدوا فى اجتماعاتهم بأن دور الإمام المجاهد قد إنتهى بالتطبيق الفعلى للشريعة الإسلامية .. وعليه لابد ان يحل محله الإمام العالم ، ومواصلة لتنفيذ مخططاتهم الرامية الى التسلط على الشعب باسم الدين .. فقد لجأوا لبث الاشاعات الكيدية المغرضة .. واتصف تعاملهم بالإستهجان لكل من يعارض خطهم السياسى ونشطوا فى الإنخراط الفعال فى الأجهزة التشريعية والقضائية والتنفيذية والاقتصادية .. بل كثفوا النشاط داخل تنظيمات الثورة السياسية والاجتماعية والثقافية ، وحتى بين صفوف القوات المسلحة (.....)^(١)

الحركة والشريعة ومداراة النظام . . .

(عينك عبرى والفؤاد فى ددِ) ..

كان حال الحركة الاسلامية مع نظام مايو كاخوة يوسف وأبيهم (وما انت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين)^(٢) ... وقطعت الحركة مشوارها مع مايو صبراً ومدارة ...^(٣)

" كلمة الاخوان المسلمين لم تعد تصف تنظيماً بعينه وإنما أصبحت ظاهرة من ظواهر الصموة الإسلامية الجديدة .. "

" ولكن هنالك رائحة تنظيم ، ومن يصف د. الترابى بمرشد عام الاخوان المسلمين " (٤)

(١) خطاب جعفر نميرى ١١/ مارس ١٩٨٥ م .

(٢) يوسف الآية ١٧ .

(٣) المدارة سُنّة ...

فى الصحيح عن عائشة قالت استاذن رجل على النبى (ص) فقال " أذنوا له بشئ أخو العشيرة " فلما دخل له ألان له القول ، فقالت يا رسول الله ، قلت الذى قلت ثم ألفت له الكلام ! قال " يا عائشة ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء فضه " .

وفى صحيح البخارى عن ابى الدرداء قال " إنا نكشُر فى وجوه اقوام وقلوبنا تلعنهم " (٤) د. حسن الترابى التضا من ١٩٨٥/٨/٦ م

إذا كان مرد الأمر الى اتجاهات مذهبية فاننى انتفى لله والاسلام
وهوليس بحكر أى فئة بالسودان . (١)

" وكنا نتكلم بصوت متميز وكانت توجه إلينا اتهامات وهجوم من قبل
الاتحاد الاشتراكى ومن قبل الرئيس والصحف .. وهذه الاتهامات والهجمات
كانت على مستوى مقبول وكنا نصبر عليها .. ومع تعاظم المد الاسلامى
فى البلاد وتوابعه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية حاول النميرى ان يسحب
البساط بان يتبنى التوجه الاسلامى وقدر إنه بذلك سيجذب الى نفسه كل
جاذبية الدعوة الاسلامية ، ويجرد الاسلاميين منها .. " (٢)

" من اجل تطبيق الشريعة الاسلامية ضحيت بكل شئ . " (٣)

" طبعاً من اجل قيام الدين الانسان يضجى بنفسه . " (٤)

وكان رجالها يعرفون ان النميرى يكرم ويقرب خاصته ويقدمهم على
العامه ، ولا يتثبت من المواقف والأنباء ، وتكون منه العجلة التى يعقبا
الندم .. و ما عرف له خلق من وفاء بالوعد والعهد فكم غدر ... وإنه
ليفصح لخاصته بأنه قد نال درجته العسكرية العليا فى فن المباغطة ...
ويتأكدون بانهم حتى ولو نصحوا لنميرى فانه لا يحب الناصحين .. وإن
النميرى ليركب كتف المرء حتى يرتفع ، وهو عند القمة يركل من سنده
برجله من عك ليلقى جزاء سنمار

(هل يستقيم الظل والعود أعوج)

اجاب د. الترابى عن سؤال جريدة السياسة الكويتية (٥) ، (شخصية

نميرى فى الفترة التى عملت معه) ...

" لم يكن نميرى غريباً جداً عنى وان كنت لم أعهدده سياسياً
وإنما عهده طالباً فى المدرسة يعنى بالرياضة وقائداً ادارياً
للداخلية ، أما نميرى السياسى فقد كان أولاً رجلاً حاكماً يتمتع بحاسة
بالغة تجاه أمنه السياسى ، وكان حاكماً فرداً يستشعر غربة شديدة فى
وسطه الذى يحكم فيه ولذلك كان دائماً يتولى العناية بأمنه السياسى وحده

(١) أحمد البلال الطيب - الايام ١٩٨٤/١/٩ م .

(٥.٤) المستقبل ١٥ يونيو ١٩٨٥ ، اسعد حيدر - د. الترابى .

(٥) الراية ١٩٨٦/٩/٢٨ م - د. الترابى .

ويحسب حساباته الذاتية ..

وكان نميرى عرضة للتأثير لانه لم يكن يملك ولا يدعي عبقرية سياسية ولذلك ما كان فى اطروحاته السياسية شديد الاستبداد ولكنه كان شديد الحرص على سلطته السياسية ، وقد يقبل من معاونيه نقد سياساته ولكن اذا شكل نقدهم خطراً على سلطته عندئذ لا يقبل شيئاً من ذلك ولذلك كان يغار جداً من نجاح معاونيه السياسيين لان نجاحهم قد يعنى شيئاً من تشتت الأضواء من حوله . ولكنه كان يفوض الراى والتصرف لمعاونيه اذا وثق إنهم لا يشكلون خطراً على سلطته السياسية ، وكان يحسب موازناته بدقة ، ولذلك كان لا يتخلى عن دعم سياسى إلا اذا هيا دعماً سياسياً آخر، ويوازن محاذير ومزايا التعويل على قوة سياسية موازنة دقيقة جداً . وكان انفعالياً حاداً ، وما احسب ان ذلك عائد الى طبعه الشخصى بقدر ما يعود الى فعل السلطة باى شخص .. إذا آلت كل السلطة الى شخص واحد يغلب ان ينهار نسيجه النفسى واستقراره ويصبح عرضة لضغوط الهوى وتقلباته ، ولذلك كان اذا اندفع فى وجهه سياسية يندفع بغير تحفظ ويتجاوز المعقول ثم ينقلب بوجهه مزاجى .. وعلاقاته كذلك بالآخرين كان يثق ويطمئن ويفوض ويركن الى بعض مقربيه وقد ينقلب عليهم ويبغضهم ولا يرى ذرة خير فيهم ، وما احسب ان هذه خصلة شخصية لنميرى ، ولكن طبيعة لكل حاكم تحت وطأة كل هذا التركيز العنيف من السلطة ... ذلکم كان النميرى ولكن كانت له بالطبع صفاته الشخصية .. كانت له عاطفه ود تجاه بعض الناس ويبدو ان حياته الرياضيه وحياته العسكرية علمته تأسيس الود مع الآخرين ، فبعض الحكام لا تربطهم علاقة ود مع الآخرين ... إلا علاقات المصلحة والاستخدام ، ولكن نميرى كانت له عاطفه ود نحو الآخرين ، وقد يبعدهم أو يقربهم حسب مصالحه السياسية ولكنه يظل يحفظ لهم هذا الود ويستحى عندما يبعدهم من ان يلقاهم حتى لا يصيبه حرج فى وده الشخصى ، فقد كان أيضاً انساناً لم تمنعه السلطة عن جوانب الضعف البشرى الذى يحسه كل بشر فى علاقاته ببعض الناس ... ومن حيث هو حاكم معزول جداً لانه ليس معه فريق ولا حزب كان عرضه بالطبع لأن يحاط به ويؤثر

عليه تأثيراً بالغاً ويوجب عنه كل تأثير آخر حتى ينكشف له الأمر فينقلب هائجاً ليحول مسيرته السياسية . تحول نميرى في أخلاقه ومسلكه الدينى من عهد الطلاب الذى عهدته الي أواخر عهده ، ولكن هذا التحول لم يكن شاملاً وإنما كان تحول فى سلوكه الشخصى أما فى منطقة السلطة فقد ظل هو نميرى المتسلط ، يعنى لم يكن يتقى الله ويذكره كثيراً فى منطقة سلطته السياسية ، ولكن فى سلوكه الشخصى تحول تحولاً واضحاً جداً ، ولكن آفة كثير من المتدينين إنهم يتدينون فى بعض جوانب حياتهم وقد تخلو الجوانب الأخرى تماماً من آثار الدين .." (١)

"نميرى شديد الغيرة حتى من وزرائه وأعوانه ويتمتع بقدر كبير جداً من الحسد والطمع والإثرة ، ويضايقه كثيراً أن يرى بعض أعوانه وقد أحرزوا بعضاً من النجاح ...". (٢)

وبالرغم من كل الصفات الشخصية والسلطوية لنميرى .. وبالرغم من معرفة الحركة الإسلامية لنوايا وأسباب استجابته لإعلان الشريعة الإسلامية ، .. وقفت الحركة مؤيداً ومرافقاً ووارثاً لقراره .. لأن تطبيق الشريعة لم يكن فى حُسنِ الحركة وهى تصالح ..

(كداغنة وقد حلم الأديم) (٣)

"واياً ماكانت التفسيرات والتبريرات التى كانت تسوقها الجماعة لمشاركتها فى نظام حكم غير شرعى ولامرضى ، فانما دخلت فى الحقيقة الى تلك المشاركة مهتدية باستراتيجية خاصة لاتعول على الوعد الإسلامى للنظام بل ولاعلى الأمل فى اصلاحه بقدر ما تبتغى اغتنام فرصة سانحة بفضل المشاركة لبناء صفها وتطوير حركتها الإسلامية التى هي معقد الآمال فى الإصلاح الإسلامى الشافى .." (٤)

"وقد جاء تطبيق الشريعة الإسلامية بركة ضخمة غير محتسبة وجاءت التعبئات الإسلامية احتفالاً بها دفعاَ لأهم أهداف الإستراتيجية .. وهو البناء

(١) د. حسن الترابى - جريدة السياسة الكويتية .

(٢) د. الترابى - الاهالى ١٩٨٥/٥/١ م .

(٣) من يسعى فى اصلاح شئ بعد ان أوصله الفساد الى حيث لايرجى إصلاحه

(٤) ص ٢٢٠ الحركة الإسلامية فى السودان ، التطور الكسب المنهج - د. الترابى

الشعبي للجماعة" .. (١)

وحتى قوانين الشريعة التي طبقت أخيراً في السودان ، فقد طبقها نميري لأنه أراد ان يوسع شعبيته ، ويكسب الشعبية من حركة اسلامية هي التي كانت تدعو لهذا الامر .. (٢)

" قدرة نميري على تحسس الإرادة الشعبية وراء القوانين الاسلامية .. والمصالحة ولدت تياراً اسلامياً كبيراً " .. (٣)

" أما تأييد الرئيس نميري في التطبيقات الشرعية فقد كان هذا موقفاً مبدئياً ظلت حركة الأخوان تدعو له منذ ثلاثين عاماً ، وفي المرحلة الاولى من تطبيق الشريعة تجاوزنا عن بعض العيوب في صياغة القوانين وتطبيقها ، ولكن بعد ان استقر المبدأ أخذنا ننتقد هذه الممارسات ... كما أردنا تطوير التطبيق المحدود الي تطبيق يشمل نظام الدولة لتكون طاهرة العناصر ، مقدرة للمسئولية ...) (٤) ..

" حركة الصحوة الاسلامية في السودان تتقدم بالضرورة ، ولم يكن تطبيق الشريعة الاسلامية نكسة لها ، وانما كان دليلاً على أن دفعها قد أضطر نظاماً عسكرياً ينبغي أن لا تكون له بالشعب صلة ان يتعامل معها استجابة لهذه الضغوط الشعبية واذا كان التعامل شائهاً فذلك لأنه تعامل هذا التعامل لدرجة ما وهو كاره ودرجة ما وهو مضغوط عليه من الغرب ، لذلك لم يات التغيير منهجياً مطمئناً ، ولكن واضح الآن اتساع الصحوة الاسلامية في أوساط الشباب ، وفي أوساط النساء ، هذه ثورة اجتماعية واضحة للبيان " ... (٥)

" ولما تعاظم المد الإسلامي قدر نميري ان خير وسيلة لإستلاب هذه الشعبية ان يتبنى أطروحات إسلامية .. " ..

(١) الحركة الاسلامية د. ترابي ص ٢٢٢/٢٢١ .

(٢) التضامن ١٩٨٥/٨/٦ م. د. الترابي

(٣) الاتحاد ١٤٠٥/٨/٢٤ هـ. د. الترابي .

(٤) د. الترابي جريدة الأمة ١٩٨٧/١٢/٢٧ م .

(٥) د. الترابي المصالحة والمعارضة ..

بيعة الإمام ...

(كلام كالعسل وفعل كالأسل ...^(١) وكلام الليل يمحوه النهار)

وضعت قيادة الحركة الاسلامية صيغة البيعة

" أبايعك على كتاب الله ذى الجلال والاکرام ، وعلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأبايعك على الطاعة فى المنشط والمكره مالم أؤمر بمعصية ، أبايعك على النصيحة لك والجهاد ورائك فى سبيل الله ، أبايعك على ان تقيم الدين وتبسط الشورى والعدل ، وتجتهد فى مصالح الامة ... أبايعك وأشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين .. "

" طلب نميرى بيعة شرعية أرادها هو لتكون له السلطة المطلقة ، كنا نحن الذين صغنا عبارات البيعة وكانت تنص بالأمر بالمعروف ليس إلا وتشترط عليه ان يقيم الدين وان يأخذ بمبدأ الشورى وان يجتهد فى مصالح الامة ، وان يتيح المجال للنصيحة الحرة ، وإنها خلافاً للبيعات التى تقوم عليها الاحزاب السياسية السودانية التى كانت تبقيها مطلقة بغير شروط ، وان سخر هذا الولاء المطلق للولاءات السياسية ، ولذلك أصبح النميرى رهين بهذه البيعة واصبحت هي قياداً عليه فى الوقت الذى أرادها هو اضافة له ، وفي التعديلات الدستورية^(٢) زعم ان هذه البيعة اسلامية تتيح له ان يحدد ولاية للعهد وان يحيط نفسه بالمؤسسات النيابية ، وان يتحصن من كل مسئولية قانونية ، ولكننا رفضنا هذه التعديلات واضطر للتنازل عنها . " ^(٣)

" كذلك عارضناه فى الدستور ورددناه الي صيغة البيعة السياسية التى ليست كبيعة المريدين بل هي بيعة متوازنة تلقى تكاليف اكثر على القائد ، وتجعل الولاء له مشروط بالالتزام بالكتاب والسنة واطاحة المجال لتصحيحه وبسط الشورى وإذا لم يستقم على تلك الشروط كانت الرعية فى حلٍ منه . " ^(٤)

(١) إختلاف القول والعمل (٢) المواد الدستورية التى عدلت المادة ٨٤ (تحديد رئاسة

الجمهورية بست سنوات) ليمير رئيساً مدى الحياة . المادة ١١٢ (خلو منصب رئيس الجمهورية) يعهد لمن يخلفه بخطاب يفتح امام مجلس الشورى وعلى الجميع مبايعته .

(٣) الاتحاد ١٤٠٥/٨/٢٤ هـ . د . الترابى .

(٤) ثلاثون لقاءً صحفياً مع د . الترابى .

وأجاب د. الترابي على سؤال صحفي (ما هي شروط مبايعتكم لنميري؟) ...
" ان يبسط الشورى والعدل و ان يجتهد فى مصالح الامة ، أما الشروط
الواقعة على المواطنين فهي ان ينصحونه ويطيعونه إلا ان يأمر بمعصية ، وهي
البيعة الاسلامية الاصلية التى قامت عليها الخلافة الراشدة و التى اخذ عنها
الغربيون فكرة العقد الاجتماعى .. لذلك لم نتحرّج ، فعندما استبد وألغى الشورى
وضيّع مصالح الامة وانتهى بها الى المجاعة ، ولم يقبل النصيحة ، ولم يلتزم
بالكتاب والسنة تحررنا من البيعة .. " (١)

بايعت الحركة الاسلامية وهي تعلم جيداً ان الصحوة الاسلامية
في العالمين العربي والاسلامي قد اهلت بعد هزائم حربية وانهزام
ثقافى وحضارى ، مما يتطلب التيقن من تدين السلطان هل هو ودع وتقوى
وتشبع روحى بعد عقيدة وايمان وتطبيق سلوكى فى الذات والنفس ؟ !
أم مظهر ومخادعة ومداينة لتثبيت سلطة وطلب لطول بقاء فيها ..
وتعلم يقيناً ان طريقة تطبيق المبادئ والقيم الأساسية للحكم فى الاسلام بما
يحقق المصالح المرجوة منها اجتهاد متروك لكل زمان وحال ورجال ... علماً
بان الفجوة بين الاجتهاد الفقهى والتطبيق العلمى تزداد اتساعاً بقدر الزمن
بين الخلافة الراشدة والملك العضوض وهل كان النميرى يملك حس
حسن التعامل مع المستجدات ، ونحن نعيش كل يوم جديداً من سبل الحياة
يصير ضرورة من ضروريات الحياة الاسلامية مما يوجب طبعه بالاسلام ؟ ... و
اذا سلمنا بوجود غيره ممن يمكن ان يكلف للقيام بفقه الضرورة الحياتية
المستجدة من المستشارين والناصحين فهل كان الإمام المبايع يملك القناعة و
يجد الحكمة ليجمع بين تلك الآراء حتى يجد المصلحة العامة لصيغة الاجماع
فيها ... أم إنه كحادر وليس له بعير فى قافلة الشريعة ... أم إنها امامة
المستغلب (٢) حتى ولو كان ظالماً حيث ان حدود البيعة معه هو فيما لا
يظلم فيه . فأمّا إذا ظلم فالواجب ردة ونهيه ونصحه وعدم اتباعه
وبالرغم من مداراة الحركة الإسلامية للقيادة المايوية إلا ان بعض
قياداتها كانت قد غرّها تحوله وانخدعت له متأرجحة فى يقينها وشكها
بين صدق الامام وعزمه على الشريعة وبين ثقل خطواته وتوقعات نكوصه
وويلات مرجفيه

(١) الاهالى ١٩٨٥/٥/١ م ** (٢) من تاريخ الخلافة الإسلامية فى الدولة الاموية يزيد والمجاذ والوليد ..

" ولئن كان الأخ الرئيس مصمما تصميم العقيدة المؤمنة ان يمضى الى ما هو ماضٍ فيه متجاوزاً كل العقبات فإنه سيحمل معه كل الأمة السودانية مسلمها ومنافقها وغير مسلمها ، لأنه يريد لإسمه ان يمضى فى التاريخ بكونه الذى سَنَ هذه السنة الحضارية ذات المغزى العميق والتي هي أكبر بكثير جداً مما يتوهم البعض . " (١)

" اليوم فقط تنهض الخلافة الراشدة من ظلمات القرون وتقف على ربى (أبى قرون) وهي تبسط يدها بالبيعة ... وقفت جموع النساء الى جانب صف الرجال يرددون البيعة كما وقفت الصحابييات من قبل يبايعن الرسول (ص) .. يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ... الخ فقد انتهى الزمان الذى كان الدين فيه للرجال دون النساء ، وكان العهد السياسى للذكور دون الاناث ... ليعود المسجد كما كان مسجداً ...

واليوم تعود امامة الصلاة الى امام المسلمين كما كان الامام الذاكر المهدي يؤم الناس فى الصلاة " (٢) ..

" لم يكن لقاءً سياسياً بالمعنى المعهود حيث لم نر طمانينة تسرى فى تلك اللقاءات كالطمانينة التى سرت فى الناس فى اصيل ذلك اليوم بابى قرون ، وانهمرت الدموع وهى تستعيد ذكرى السيرة العطرة ، ومواقف الصحابة فى بيعة الرضوان ... وتحرك رئيس الجمهورية (نمرى) وسط الناس لا يحيطه الحراس ولا يستشعر احد حاجة اليهم وقد تداخلت الصفوف وتوحدت القلوب ، وانزل الله السكينة فى قلوب المؤمنين قيادة وقاعدة ، مشهد ما اشبهه بيوم عرفة وساحة ما اشبهها بجبل عرفات يوم الحج الأكبر .. "

(١) الايام ١٩٨٤/١/٩ د. الترابى (مساعد رئيس الجمهورية للسياسة الخارجية) ...

(٢) يس عمر الإمام الايام ١٩٨٤/٥/٢٢

القائد والأمة فى احياء سنة البيعة .

" وصلى الناس المغرب بإمامة الرئيس تقف الأمة خلفه كأنها بنيان مرصوص ، فقد استوى العهد بالبيعة وتوثق الرباط بميثاق غليظ وكانت الامامة والصلاة مسك الختام ومنتهى الكمال . " (١)

" واغرب من ذلك مشهد قائد المسيرة يتجرد عن الحراس ورجال الأمن ويجتاحه السيل البشرى فيفصله عنهم فاذا هو فى عمق الجماهير ، يرتفع عنها قليلاً فيشاهده القاصى والدانى ، ولقد رأينا الاشفاق على عيون الاخوة ضيوف المؤتمر الاسلامى العالمى ، كيف يترك رئيس الجمهورية فى هذه اللحظة التى يتربص له فيها ألف عدو وعدو هكذا فى عراء الله لايحجبه عن المكر حاجب ، لقد سمعنا الكثيرين يصرخون بذلك فى وجل وخوف ، إلا ان السودانيين كانوا مطمئنين لأصالة هذا الشعب التى لاتفرغ اذا كان من بينها خائن ذلك ان الله لايهدى كيد الخائنين . " (٢)

" وهكذا جاء اعلان الرئيس نميرى لحالة الطوارئ لتبارك هجماته بأسلحة العدل على القيادات الفاسدة لتقتل كل الافيال التى داست على حشائش الوطن ، ولقد سقط مروان ولن نسمح بتكرار عهد بنى أمية فى السودان .. فمن كان يصدق إنه وفي أقل من أسبوع سوف ينحاز رئيس الجمهورية الى حكم المؤسسات ويرفع من شأن قضاة الطوارئ ، ويعزل وزير الداخلية كمال حسن أحمد والذى تدخل للتأثير على الحكم .. لقد بكينا من الفرح وتذكرنا موقف رسول الله (ص) وهو يزجر أحب الناس اليه ويقول :-

(أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ، انما اهلك من كان قبلكم من الأمم انهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد)

لقد حوكم الفاتح محمد الطيب ، وحفيد المهدي وسادة من الحتمية وأخذت سطوة العدل لا تبالى ان كان المائل شقيقاً كبيراً أو منتسباً الى مجد تاريخى أو يجرى فى عروقه دماء الأنبياء ، فلو سرق فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها . والدين لله يا هؤلاء . (٣)

(١) القائد والأمة فى احياء سنة البيعة يس عمر الإمام .

(٢) يس عمر الإمام - الايام ٢١/١٠/٨٤م يصف افتتاح مسجد النيلين (ايام الاعياد البيضاء)

(٣) محمد طه محمد أحمد (تهافت الاصنام وانتهى عهد الكبار) مجلة الجامعة العدد ٢٧ ، يوليو ١٩٨٤م

. وجاء فى كتاب السودان والنفق المظلم .. (١) قول د. الترابى عندما أعلن
نميرى حالة الطوارئ .

" حالة الطوارئ فكرة معروفة فى الإسلام وهى تماثل حالة الوضوء
بالنسبة للصلاة .. فالوضوء بالماء هو الأصل ولكن عندما يتعذر الحصول على
الماء يجوز للمسلم أن يتيمم بالتراب والحجارة .. ووصف محاكم الطوارئ
بأنها أقرب شئ فى الدولة الإسلامية (٢) ... فكيف حالنا بمجدد المائة
الخامسة عشر كما وصفه د. الترابى وهو يردد فى وادى الحديث المتواتر
بأن علي رأس كل مائة سنة يجرى من يجدد لامة الاسلام دينها ، ومجدد
هذه المائة حسب قول الدكتور العالم ، هو الإمام النميرى . " (٣) .

الاختلاف و المفارقة .. و غياهب السجون

(لو كان فى البومة خير ما تركها الصياد)

كانت المعارضة الدولية ، من رافضى توجه السودان الإسلامى وأعلانه
الشريعة وإعادة بناء هويته الحضارية ، تشكل عاملاً خارجياً مهماً لمباعدة
نظام مايو عن الحركة الإسلامية ... وتجمع على رفض التعاون
معه وتجميع قوتها وتعمل إعلامياً واقتصادياً وسياسياً لإبادة
الاطروحات الدولية الإسلامية الجديدة (الاقتصادية والقانونية) والتى بدأت
تتلأ الدنيا فى سماء السودان

" الأخوان المسلمين ، الذين يدعون بأنهم يتطلعون أبداً الى الثورة
الائرائية ، قد نسوا إنهم ليسوا بآيات الله السودان .. فإن جاز لنا
أن نقارن السودان بإيران فإن نظائر آيات الله فيه هم رؤساء
الطرق الصوفية وأئمة الطوائف التقليدية ...

فلن يفلح الترابى والحال هذه فى أن يصبح خمينى السودان ، وإن
كان فى مقدوره أن يصبح بنى صدره (وعله قد يلقي نفس مصيره) وعلى
أى فان كان الترابى نظيراً للخمينى أم لا فقد يفيد كثيراً أن يعى بأن
المعارضة لحكم الأخوان المسلمين فى السودان لن تأتى من جانب الطوائف
الدينية التقليدية والنخبة المدنية والجنوبيين فحسب ، بلان هنالك عوامل وقوى خارجية

(١) د. منصور خالد .. النفق المظلم (٢) ص ٤٤٩ (٣) ص ١٦٠ .

سوف تلعب دورها في هذا الشأن ، فمصر مثلاً والتي ظلت وستظل تلعب دوراً هاماً في التأثير على مجريات الأمور لن تقف مكتوفة الأيدي أمام انقلاب أخواني ، لا لسبب ، إلا لانعكاس هذا علي الأوضاع الداخلية في مصر نفسها ، ومن ناحية أخرى فإن المملكة العربية السعودية لن يستهويها قيام هوس ديني علي جناحها الغربي فكفاها هوس الجناح الشرقي .. وبصرف النظر عن يحسبهم الأخوان نصراء لهم في الجانب الآخر من البحر الأحمر، فإن مركزى القوى السياسى والاقتصادى الحقيقى فى المملكة ليس هو المتطرفين الدينيين وإنما هو مؤسسات تحسب السياسة بمعيار دقيق^(١) و اكملت عوامل الخلاف الداخلية بين الحركة الاسلامية ومايو دائرة الطلاق الشرعى ، وبينونته الكبرى ليبدأ الخصام ...

" بعض الناس يعترض علي الشريعة من منطلق تعصبه لولاءات طائفية وسياسية ولا يرضى بالشريعة لأنها جاءت من نميرى ، ولكننا عندما أيدنا كنا ننظر أولاً الى الجانب المبدئ الذى أردنا تثبيته ، وبعد استقراره بدأنا نتحدث عن مراجعة صياغة القوانين وتنقيتها مما علق بها من قوانين أمن الدولة وغيرها^(٢) ... كما وقفت ضد نميرى في تعديل الدستور الذى يجعله حاكماً مطلقاً ذو سلطة روحية ليحكمنا حياً وميتاً^(٣) .

" والذى وقع أن تبنيه لشعار الاسلام زادنا قوة وتجلت هذه القوى في مؤتمر اسلامى عالمى هو الاول من نوعه ، ومسيرة لم يشهد السودان مثلاً ، وكانت مستقلة عن النظام والتنظيم السياسى القائم بشعاراتها وهتافاتا .. وهنا ادرك النميرى خطورة موقفه ومن حينها بدأ هجومه يشدد وكان واضحاً ان الخصام واقع لا محالة .. " ^(٤)

(١) د. منصور خالد - السودان والنفق المظلم ص ٦١٨ / ٦١٩ (٣،٢) د. الترابى -

ثلاثون لقاءً صحفياً .

(٤) القبس الكويتية ١٩/٨/١٩٨٥م - الأخوان يعملون على مصالحه مايو ويعارضونها ويحاولون التميز عليها ... " ان حسن الترابى هو الذى تجرأ وانتقد الرئيس امامه علناً بأنه يحتكر سلطة التشريع بأسرافه فى اصدار الاوامر التشريعية المؤقتة "

" ان الرئيس المخلوع كان يريد ان يستأثر هو بالفضل في تطبيق هذه القوانين ، ولذلك احتكر الصياغة في دائرة محدودة ^(١) ، ولم يتيح لها فرصة الانتشار والدراسة الواسعة بل أدخل فيها بعض التشوهات غير الاسلامية مما اضر بجوهر هذه القوانين . " ^(٢) ^(٣)

" ومع ان قوانين الشريعة كان بها عيوب في الصياغة فقد قبلنا من حيث المبدأ حتى لا يظل السودان محكوماً بقوانين استعمارية ، ولذلك سكتنا عن العيوب فترة من الزمن ، أملاً في أن تعدل فيما بعد . وبعد ان استقرت الأمور بداننا ننتقد التطبيقات ، عندئذ توترت العلاقة بيننا وبين النميري ، وتوهم اننا نريد ان نقتله كما قتل السادات .. وادعى اننا نملك سلاحاً ، لقد هاجمنا بوجه يرضى الولايات المتحدة التي كان ابعاد الحركة الاسلامية أحد الشروط التي أملتھا ^(٤) ..

ولما سئل د. الترابي عن مدى صحة الطريقة التي طبق بها جعفر نميري الشريعة أجاب :

" الشريعة الاسلامية لكي تطبق تطبيقاً صحيحاً لابد ان تقوم عليها حكومة إسلامية ، وواحد من وجوه الخلاف بيننا وبين النميري اننا أردنا ان نطور تطبيق الشريعة الاسلامية من خلال قوانين جنائية ومدنية وتجارية لا تطبق على الشعب فقط ، بل على الدولة ذاتها لنضمن شورية الدولة .

(١) الاساتذة : النيل أبو قرون ، عروض الجيد ، وبدرية سليمان ، يقول الاستاذ عوض الجيد (بانهم عاهدوا نميري عندما كلفهم بصياغة القوانين الاسلامية ان يكون عملهم جاداً ومتصلاً وان يصدروا قانوناً في كل يوم خميس من كل اسبوع " .

(٢) اخذت الحركة الاسلامية على قوانين سبتمبر ١٩٨٣ م .

(٣) باقصاء رجال الحركة سعت السلطة للكسب السياسي ، فحرمت من الارث الفقهي الحركي مما أدى الى تجاوزات في التطبيق .

(ب) لم تلتزم بالمشروعات التي اعنتها لجنة مراجعة الوانين للتماشي مع الشريعة الاسلامية ١٩٧٧ م .

(ج) صمت مع الوانين الاسلامية .. قانون الطمأنينة وقانون أمن الدولة

(د) اخطاء في الصياغة والضبط .

(٢) د. الترابي الايام ٢ شوال ١٤٠٥ هـ .

(٤) الاهالي ١/مايو/ ١٩٨٥ م .

لقد أراد نميرى ان يجرى تعديلات دستورية تزيد من سلطته وتضيف اليه سلطة روحية مثل الأئمة فى التاريخ الاسلامى ، وقفنا فى وجه تلك التعديلات واضطر نميرى للتراجع عنها .. وأراد ان يطبق الشريعة على الشعب وينجو هو وحاشيته من مجال تطبيق الشريعة لذلك جاء التطبيق معيباً ومشوهاً لأن النظام كان شائهاً^(١) ... وبدأت التصريحات المضادة من قادة الحركة تصل الصحف والاذاعات العالمية^(٢) ...

" مستشارو الرئيس يتلقون النصح بدلاً من اسدائه .. إن الرئيس قد اضعف مؤسسات الدولة ، وان هناك مسافة طويلة تفصل بين الحكومة والشعب مما يجعل المرء لا يستبعد وقوع انقلاب عسكرى من نوع انقلابات جبرى رولنقرو سيرجنيت دو . " ^(٣)

" ان النميرى قد طبق بعض احكام الشريعة على مستوى القضاء ولكن الدولة نفسها ليست دولة مسلمة ، لأنها لم تقم على الاسس الشرعية ولم تطبق احكام الإسلام كاملة فى الاقتصاد والاعلام ومجالات أخرى عديدة . " ^(٤) وتبينت الحركة الاسلامية بحسها نذراً توحى بان شيئاً خفياً يراد بها ومن الواجب الإحتياط له ...

" ان حرصنا على ما أنجز لا يرتبط بقائد او زعيم ... ولا يتبين بمكاسب او أغراض ، ولا يقيده ولاء لمؤسسات ، ولن يُدنّسه هتاف لأشخاص .. حرصاً يدفعنا الى المزيد من النقد الهادف الى الاتجاه بالتجربة نحو الكمال وحمائتها من شوائب النفاق وعثرات التطبيق . " ^(٥)

" إن الحاكم الذى يعلن الشريعة ليس بالضرورة ان يكون عادلاً ، وان على السودانين بعد تأمين أصل التحاكم للشريعة الاسلامية إن يسعوا لتتصيب الحاكم العالم العادل . " ^(٦)

(١) جريدة الاهالى المصرية ١/٥/١٩٨٥ م . د. الترابى .

(٢) (٤٠٢،٢) تصريح د. الترابى للاذاعة البريطانية . النطق المظلم ص ٢٢٨ / لومند ١٤/١٠/١٩٨٤ م ..

(٥) افتتاحية مجلة الجامعة ، العدد ٢٧ ، يوليو ١٩٨٤ م .

(٦) من محاضرة القيادة للكوادر الاسلامية فى الجامعات والمعاهد العليا . د. الترابى ...

الحركة الإسلامية و انتفاضة أبريل

لم تدرك مايو المعنى الخفى لمخاضاتها للإسلاميين واعتقالهم ، فقد كانوا لباساً وارى سوءاتها في اواخر عهدها ، مما جعل ذهابهم يعنى سبباً غير مباشر لسهولة سقوطها .. فقد تركوا موقع المدافع وانضافت قاعدتهم لمعارضة الشارع العريض وانتفاضة العفوية ...

" نحن ضد كل حركة تخل بالاستقرار أو تؤدي الى الفوضى وهدم السلطة ، ولهذا السبب قررنا الاسهام فى الدفاع عن النظام كلما تهدد كيانه ... ان الرئيس يعرف انه لا يمكن لاي مخطط ضد النظام ان ينجح طالما كنا بجانبه .. فلا شئ يجرى في هذه البلاد دون الأخوان المسلمين " (١)

" الاخوان المسلمون كانوا يشكلون هبة النظام ، وانهيار النميرى بدا عندما تنكر لهم .. ولما وقعت القطيعة بين النظام والأخوان ، وكانوا بالرغم من آرائهم الناقدة ، وبالرغم من النقد المنصب عليهم ، يشكلون هبة واقعية للنظام .. ولما أبعدت تعرى النظام تماماً " (٢)

وبعد أسابيع فقط من ظلام السجن (٣) ، تفرغ سامر مايو وتاهت قيادتها متحيرة بمصر (أتية من قوم موسى) ... فقد انهارت كعبة نجران (٤) ... وانفجرت حلقات محكمة لشدة وضيق وازمة ومحنة كانت الاطول زمناً فى حكم السودان ...

وخرجت الحركة الإسلامية من تجربتها المايوية بانتصارات كبيرة معنى ، وكثيرة عدداً وعدة ...

فقد برأت تعبئة مايو الاعلامية ضدها ، ثم إعتقال قادتها ، ساحتها من جريرة الاتفاق الكلى مع سياسات مايو وأهدافها مما أكد للمراقب السياسى اختلافهم الداخلى مع السلطة .. وباعتقالهم جاءت ابريل وهم بعيدين عن النظام مما اخرج اعداءهم وصعب مهمتهم فى تحميلهم الوزر الكامل

(١) النفق المظلم د. منصور خالد ص ٦٦٦ ، لوموند ١٤/١٠/١٩٨٤ م

(٢) الشرق الاوسط ١٩ شعبان ١٤٠٥ هـ (٣) إعفاءات وإعتقالات ١١/٣/١٩٨٤ م

(٤) المثل فى الخراب وزوال الدولة ..

للنظام وسدائنه ... وسيقف الدارسون لفلسفة التاريخ وتقلب حضاراته ومدنياته ملياً - تأملاً وبحثاً وتفكيراً، فيما لم تقصده مايو وجاء بقضاء وقدر وصار كسباً للحركة الاسلامية بالسودان ، وشكل صعوبة امام المؤتمرات السياسية والنقابية والمهنية ، ومداولاتها وقراراتها بعد الانتفاضة في كيفية ازالة آثار مايو، وبصمات جعفر نميري المطبوعة في إقرار الشريعة والتحدى الحضارى وتحديد هوية الأمة ، وكيفية مواجهة الجماهير السودانية المسلمة عند إلغاء أو تجميد قوانين الشريعة ، ومنظور اختزال الزمن في ارساء المبدأ في سفر الفكر السياسى السودانى ...

كما أن وجود النميري بمصر لاجئاً سياسياً، وقَرَّ على الحركة الاسلامية مسئولية سياسية كبرى واجتهاداً فقهياً مَرَجَواً، واعفاها من اجابة سؤال متوقع من خصومها عن كيفية مواجهة الإمام بحكم الردة والنكوص عن قوانين الشريعة وتطبيقها ... ١٩...

واستطاعت الحركة الاسلامية من تحقيق قفزة وطفرة تنظيمية سياسية اتبعت فيها ، تدرج التغيير والإعداد ، والتقية والمداراة واغتنام الفرصة في استغلال ما نالته مايو من وقار المكانة الأدبية للقيادات السياسية التقليدية والقبلية والبيوتات الدينية والطائفية والطرق الصوفية ، ورموا جمعهم بالحركة الاسلامية تنظيماً وأدباً وحركة وتداخلاً سياسياً، وخدمة وعوناً اقتصادياً واستطاعوا ان يكسبوا من مؤيديهم يأخذوا بعضاً من آبائهم وأبنائهم ومؤيديهم ويجعلوا منهم اضافة وقوة جديدة للوعى الحركى الإسلامى ، باختلاف مواضعهم ... بين صفوف الحركة أو بين طوائفهم وأحزابهم ...

ومهدت مايو للحركة الاسلامية كل سَبُلٍ تَغْيِيرِ الخارطة السياسية الجغرافية وولاءاتها القديمة مما يتطلب مجهوداً كبيراً وتركيزاً شديداً وعملاً متواصلًا لمن يريد اعادةتها لسالف أمرها ، دعك عن بناء قواعد جديدة فيها .. فقد انصرفت الحركة بعد المصالحة الى العمل الدعوى والتوجيهى والاجتماعى والاقتصادى فى داخل اطر النظم السياسية .. واقامت مؤسسات اقتصادية

اسلامية هيمنت عليها بالكفاءات البشرية والتخطيط ، والادارة ومواقع القرار والامكانيات المادية بتكوين رؤوس أموالها الخارجية والداخلية (١) وبنيت الجمعيات الإجتماعية الخدمية كشباب البناء ورائدات النهضة ... وأقيم المركز الإسلامى الأفريقى والوكالة الإسلامية للإغاثة ... ونمى الصرح العملاق منظمة الدعوة الإسلامية موازياً ومتفوقاً علي أسلوب التبشير المسيحى فى مناطق التخلف والحاجة والظلم الاجتماعى فى كل بقاع السودان واران افريقيا وخفيا العالم لتكون المأوى والكساء والغذاء ووعاء الماكل والمشرب وجرعة الدواء ، وفصل التعليم والتربية ، ومشغل التدريب والتدبير ، وبناء الانسان والمواطن العامل المؤمن القوى الأمين ...

وسيطرت الحركة الاسلامية على الحركة الطلابية المختلفة ، لتكون سندا مرحليا وإضافة مستقبلية وموضع قدم لها جديد وقوة فى الأوساط الثقافية ... واكتسبت مقدرة تنظيمية عالية على تحريك الشارع والجماهير ، شعاراً ومكاباً ومسيرات ، وتدريب كوادر عديدة مؤهلة ومقتدرة فى المجالات المهنية والنقابية والخدمية ، وبذرت إحتياطياتها الشبابى الطلابى الكامن ... وازدادت للصحة الاسلامية العالمية شباباً مسلماً ، يحمل لواءها داخليا ، مُشبعاً ، بمعنى أن استمرار الصحة وتوقع ثمارها يتطلب الصبر والاحتساب والتضحية ، والولاء لله وحده ... وجربت قيادتها مسئولية الاستوزار والادارات المختلفة ، وتدريب كوادرها علي نظم الادارة العملية لمرافق الدولة ودواوينها ، واحتكت بميادين السياسة والمعرفة والدبلوماسية العالمية ...

(١) مرحلة انبساط الشورى فى التنظيم ، وتنفيذ الانتقال من مرحلة التركيز للاتساع وارتباط ذلك بالممارسة السياسية ، ادخل لصفوف الحركة الاسلامية بعضاً من ناشدى الدنيا وعبد الدرهم والدينار ، والنفاق السياسى للكسب والمظهر ، مما أثقل خطاها وأخرج دعائها ، وأتاح الفرصة لأعدائها لوصف صفوفها بالرياء وهوى الفنى واتباع الدنيا ولباس مظهر التدين وإخفاء جوهر الفساد .. وترد الحركة بانها فى مسيرتها تتعبد وترك أمر أولئك لله (وكل أتية يوم القيامة فرداً) وبأن تلك ظاهرة بشرية اجتماعية تلازم كل حركات التغيير والإصلاح السياسية والايديولوجية والدينية ولم يخل منها حتى مجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة (من هاجر لدنيا يحسبها أو امرأة ينكحها) ، وبأن القرآن روى نفاق مرجفى المدينة من اليهود . ولم يشغل النبى (ص) يومئذ نفسه بهم كانشغاله بالتربية وبناء الأمة وتحقيق دولة المدينة وارساء قواعد حكومتها

(عند الصباح يحمد القومُ السُّرى) . . .

" أن الديمقراطية إذا طرحت بشكل صحيح ، فإن غالبية الشعب سنضج نحو الاسلام ، لأن الشعوب مسلمة بفطرتها ، لذلك فإن المؤامرات لاقامة أنظمة عسكرية أو قهرية ، القصد منها سد الطريق أمام الشعوب المسلمة بشريحة مغترية عنها ... " (١)

" ولئن برزت فى هذه المرحلة قضية منهج الإصلاح بالسياسة أم بالثورة ، فذلك أن ممارسة اسلوب البناء والعمل الحزبى دعت الى التساؤل عما إذا كانت الحركة تعول عليه فى اصلاح المجتمع مسايسة وتدرجاً ولا يعنى ذلك ان قيادة الحركة قد تميزت الى ذلك المذهب السياسى ... ولكن عناصرها اصبحت مشغولة بتلك القضية ، ومن ثم تقديرات جدوى العمل السياسى التافسى فى بسط قاعدة الاسلام أو تمكين نظامه . " (٢)

إن التوجه الإسلامى للانتقاذ الوطنى ووقوف الحركة الاسلامية ومساندتها لذلك شئ متوقع ومراد ومخطط له .. وهو نتيجة لما بذلته الحركة الاسلامية ومجاهداتها وصبرها اثناء سنوات مايو .. وللتوجه الوطنى للحركة بعد ابريل وعدم إرتهان قراراتها لجهات خارجية فى مقابل إزالة الحوجة ايام المعارضة وبعد المصالحة مما مكنها من مازرة القوات المسلحة اثناء وبعد مرحلة الانتقال ، فتمكن الطرفان من التعرف عن قرب والتفاهم القريب المشترك ، قوة وفكرة ... وكقناعة باتت لدى قاعدة الحركة وقيادتها (٣) والتي كانت تدعو وتبشر صحفياً ومعارضة ، ولاشهر سبقت ٣٠ يونيو ١٩٨٩م وبعد اتفاقية الميرغنى - قرنى - ، (٤)

(١) د. الترابى - فقة المرحلة والانتقال من المبادئ الى البرامج (الحركة الاسلامية فى السودان ، التطور ، الكسب والمنهج) .
(٢) د. الترابى . البناء الحزبى السياسى (الحركة الاسلامية فى السودان ، التطور ، الكسب والمنهج) .

(٣) ترى الحركة فى الحوار محاولة لاصلاح القطاع الحديث والمتبقين على الثقافات الاجنبية .. يقول د. الترابى فى ورقته " اولويات الحركة الاسلامية " لندوة الجزائر حول قضايا المستقبل الاسلامى - مايو ١٩٩٠م عن اولوية الحوار

" كنا ندعو الى المفاصلة والمقاطعة ولكننا الان مطمئنون والجميع يتحدثون عن التوبة ويحثون عما يحفظون به ماء وجوههم " المسلمون العدد ٢٧٦ .

(٤) أديس أبابا - فندق قيون ١٦ نوفمبر/ ١٩٨٨م

بضرورة التغيير السياسى وتأكيد حتميته وقرب أوانه ... ولمس ذلك واضحاً فى تعبير صحفيهم ، وتعبير ندواتهم الداخلية وسجلات وتسجيلات محاضراتهم العامة ولياليهم السياسية .. رغم احتفاظهم بكيفية التغيير ، مما دعم قناعة الكثيرين من القاعدة بضرورة دمج المجاهدات السياسية بمفهوم الثورة والإستفاد لاستخدام الحديد وبأسه الشديد فى اعداد القوة المطلوبة لبسط القسط والعدل .. واستمرار الدعوة الجماهيرية والقيام بمهمة الاصلاح .. وتقاضى عمليات الجرح وخرج الاجتهاد التى يحفل بها تاريخ الدعوة والدعاة والتى كان للحركة الاسلامية منها نصيب وأن موعد الرمى لحركة راشته سهامها و ملأت كئانها باعدادات السنين ، وغالبت وعد من لا يفى ويذهن من قارورة فارغة....

(أوسعتهم سباً و أودوا بالابل .)

وضعت " مصالحة مايو " الحركة الاسلامية فى صميم المواجهات والعداوات السياسية ، والصراعات على قمة السلطة

بوضعها " قوانين الشريعة " أمام الضغوط العالمية ومواجهة اسلحة الحصار الإقتصادى وحرب الغذاء ، وصراع الأفكار والايديولوجيات ، ومواجهة القوى الكنسية واليهودية والصهيونية العالمية قتالاً وفكراً ...

... " وبالانقاذ " تشارك الحركة الاسلامية وتعتلى موقع السلطان ، لتواجه مسئولية الحكم وأمانة الإصلاح من موقع القرار والتشريع والتنفيذ .. والتصدى لتحقيق الاستقرار والتنمية القومية ... وبناء المواطن ووحدته ونتاج الغذاء بجهد العلم والتقنية وبذور الإيمان ...

و (من إتكل على زاد غيره طال جوعه .) ...

وتواجه التحدى السياسى الداخلى فى التوازن بين الاستقطاب اللازم لجمع عناصر القوى فى الأمة وقومية توجه الحكم وبين عصبية المذهب ' ونظام التنظيم " الأمر الذى يجب على السؤال ... هل الانقاذ الوطنى هى خلاص تنظيم وجد نفسه فى منعطف سياسى خطير .. فتذكر الفكر الإنقلابى وديمقراطية الانقلابات العسكرية فإستخدم القوة للوصول للسلطة ١٩ أم أنها القوة العسكرية التى استشعرت مسئولية الوطن وهو يعيش الشتات والفساد

والدمار ، فهبت تنشد الاصلاح وعدالة التوزيع وحرية التنافس ١٩ ...
 الامر الذى ظل يراود عقول ومشاعر الكثيرين داخليا وخارجيا منذ ٣٠
 يونيو ١٩٨٩م ... وظلت تبني عليه معارضة الانقاذ كل قناعاتها واسلوب
 صوارها مع الآخرين فى تحرير معارضتها وجذب المعارضين لصفوفها
 وتواجه التحدى الاجتماعى فى مهمة وأهمية توفير القوات وانفاذ
 التقنين وكيفية التوفيق المرحلى بينهما^(١) .. كما تواجه تحدى كسب التنافس
 المشروع بينها وبين دعوات الاصلاح الاسلامية المعاصرة فى تحديد المثال
 وقدوة الدعوة فى مسار التطبيق^(٢) .. أيهما أجدى التربية فالإنتخاب
 أم دمجها معاً التربية والإنقلاب^(٣)

(١) بدأ العمل بالقانون الجنائى لسنة ١٩٩١م فى ٢٢/مارس/١٩٩١م بعد مرور شهر من
 اعلانه بالغازيته الرسمية ، وبعد مراعاة توصيات مؤتمر العدل والإصلاح القانونى الذى عقد
 بقاعة الصداقة فى الفترة ١٠ - ١٨ مارس ؛ والذى كانت أهم توصياته قيام مجلس أعلى للعدل
 وفصل منصبى وزير العدل والنائب العام واعداد الدستور الاتحادى لتطبيق الفيدرالية والشرعية

(٢) العالم العدد ٢٣٦ ، ١٦ يونيو ١٩٩٠م (عن صحيفة فرانس - - صحيفة محلية فرنسية)
 كسبت الجبهة الاسلامية للانقاذ بالجزائر نتيجة الانتخابات البلدية بأغلبية ساحقة فى أول انتخابات
 للمجالس البلدية فى ١٢/٦/٩٠ ، وفق التعددية الحزبية ... وقد صرح رئيسها الشيخ عباس المدنى
 " إن التعددية أفضل نظام للجزائر وان البلاد ستطبق (اقتصاد السوق) ، ولن تكون البداية
 بتطبيق الشريعة الاسلامية لو فازت الجبهة واستلمت الحكم من جبهة التحرير الوطنى .. وان
 الشريعة لن تطبق على المدى القريب لأن الحصاد غير ممكن قبل البذر ، وان تنوع الانكار هو
 مصدر اثراء وان المعارضة ضرورية دائماً وقد كان هذا صحيحاً فى عهد الرسول (ص) وسيكون
 صحيحاً فى عهد جمهورية اسلامية "

كما كسبت الحركة الإسلامية فى الأردن الإنتخابات البرلمانية من قبل ... وتم أخيراً
 انتخاب أحد قادتها من الإخوان رئيساً للمجلس النيابى الأردنى ..

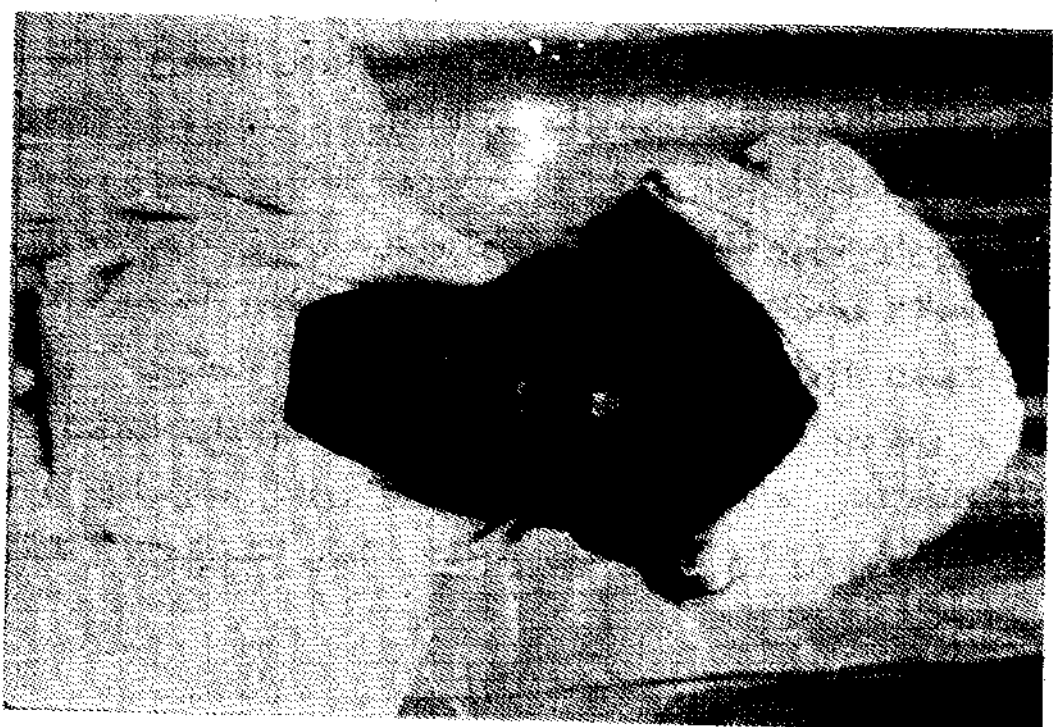
(٣) كون المؤتمر الشعبى العربى والاسلامى (الخرطوم ٢٨/٤/١٩٩١م) مؤتمر الشعب
 العربى والاسلامى كهيئة عربية واسلامية جامعة لمعالجة قضايا الامة وبسط قيم الشورى والمشاركة
 السياسية والعدالة . أقرت أمانته الدائمة بالخرطوم واسندت امانته العامة لدكتور الترابى . وبذلك
 ضاقت الفجوة والفجوة بين الفكرين القومى والعربى والاسلامى ، وقد سبق لهما التقارب فى حرب
 الخليج . وجمع الحار الحركات . الدعوة الاسلامية بتعدد مدارسها أمام باب الوحدة العربية
 والتكامل الاسلامى داعياً لانشاء هيئة اقتصادية ووحدة وهو أول مؤشر عربى موحد يعضد
 الدعوة لنظام عالمى جديد تنفرد فيه امريكا بحالية الهيمنة والسيطرة بعيد انتصار الحلفاء فى حرب
 الخليج م



الاستان صادق عبد الله عبد الماجد



الاستاذ علي عثمان محمد طه



الدكتور حسن عبدالله الترابي

(د) صفوة جنوب السودان

مشكلة جنوب الوطن . . .

وصفها الوجدويون بأنها أطول حرب اقليمية مطلبية لا تفتأ تهدأ
بالسياسة حتى تتفجر ثائرة بالسلاح . . .

ووصفها الانفصاليون بأنها أطول كفاح وثورة تحرير مسلح في
القارة .. ومع الاختلاف حول كنهها تبقى هي الأطول بحكم السنين سلماً
وحرباً . . .

وعرفها العنصريون بأنها مشكلة بين الشمال العربى والجنوب الزنجى
الافريقى . . .

وعرفها الكنسيون بأنها مشكلة بين الشمال المسلم والجنوب المسيحى
الوثنى ، مبعدين الجنوب المسلم .. وعددية القبائل الزنجية - العربية المختلطة . . .
هكذا شغلت مشكلة جنوب السودان فكر وعقل مواطنيه .. وبذرت مشكل
الاختلاف والفرقة بينهم ، واضاعت اموالهم وارواحهم ... وألهمت عذاب النفس
والضمير فيهم .. فهم بين مؤمن بالانفصال لا يستطيع الافصاح عنه حتى لا
يوصف بالنعرة العنصرية ... وآخر يتفنى بالوحدة ولا يعرف الطريق اليها بين
الاعاصير والضباب ، وصراع العقلانية وأهواء العاطفة .. وغيرهم يغالب
الحيرة والمحاولة بين الحوار والحل العسكرى ، هل يعقل ان يخيم شبح الحرب
، خيالاً وحقيقة ، فى وطن نال استقلاله بعيداً عن التنازع والثورة المسلحة
سالكاً سبيل التطور الدستورى وقنوات القانون . . . ١٩٠٠ . . .

وتبقى الحقيقة إنها بذرة طالحة بذرها غاصب دسيس بارض طيبة ،
وبات يرغب ان تؤتى أكلها بين كل حين وآخر ، وطفق من أجل ذلك ، يرعاها
سقياً بالسلاح وخبرة الرجال ومشكل اختلاف العقائد والعناصر والأصول . . .

انتهجت الإدارة البريطانية سياسة " عزل الجنوب " فى ٢٥ كانون
١٩٢٠ م وتتادى هذه السياسة بخلق سلسلة من الوحدات العنصرية والقبلية
الذاتية بناء على عادات السكان الاصلية ، ووفقاً لممارساتهم ومعتقداتهم
التقليدية .. علي أن يتم تطبيق ذلك بمراقبة التجار الشماليين ، وتقديم موظفين

حكوميين لا يتكلمون اللغة العربية ، على أن تدار هذه الوحدات بواسطة مسئولين بريطانيين تكون مهمتهم دراسة معتقادات تلك القبائل .. وبتطبيق تلك السياسة بذرت الكراهية للشماليين وللفتهم العربية ولعقيدتهم الإسلامية في نفوس اخوتهم الجنوبيين ...

ولما قدم التجار الاوربيون فى زمن الحكم التركى -المصرى بهدف تجارة الرقيق عمل بعض التجار الشماليين العرب وسطاء بينهم لإكمال صفقاتهم .. كما مورست تجارة الرق فى السودان قديماً بواسطة القبائل المختلفة ، عربية وزنجية ، عند غاراتها الحربية ... يمارسها الهازم ويتحملها المهزوم من دون تمييز للونه ونوعه .. ويمارسها عالم اليوم بيعاً للأطفال من مختلف الاجناس البشرية ، ليكون امتنانهم واستخدامهم فى تجارة المخدرات والجنس والدعارة وقيل ، بلا رحمة فى "المساحيق والأدوية ، وكريمات ومراهم التجميل" ...

وجاء المبشرون بارسالياتهم ليجعلوا من جنوب السودان نقطة انطلاق لدخول ادغال افريقيا وتغيير وثنييتها بأعتناق الديانة المسيحية .. وتحت هذه المظلة استقبلوا افواج المواطنين الجنوبيين وعمقوا فكرة الرق والاستعباد فيهم بتذكيرهم ان هؤلاء الشماليين هم ابناء تجار الرقيق الذين باعوا واشتروا اجدادهم وتنعموا باثمانهم ، مما عمق الكراهية وغذى فكرة الانفصال ، ومما أدى لانفجار الحرب الاهلية وتكرار القتال ...

وفى طريق الاستقلال

بدأت صفوة الجنوب مشوار وحدة السودان ، متعثرة فى خطواتها ، متدثرة بثياب الدونية والإنكسار السياسى التى اهداها لها مقدار البعد السياسى ومدى حكمة وتدبير الاحزاب الشمالية يومئذ بذهابها الى مصر بغير صحبة سياسيين جنوبيين معتقدة بأن من هو فى صفوفها من شخصيات جنوبية تكفى لتمثيل الجنوب .. كان ذلك بتوقيعها اتفاقية الحكم الذاتى و تقرير المصير مع الحكومة المصرية فى فبراير ١٩٥٣م ، الأمر الذى اثار غضب صفوة الجنوب مجسدة فى بيان لجنة جوبا السياسية الذى شجب توقيع الاتفاقية دون علم الجنوب ، ورفض الفترة الزمنية المحددة بثلاث سنوات لتقرير المصير، ونادى ببقاء الخدمة المدنية البريطانية بالجنوب وانذر بأن الوحدة بين الشمال والجنوب لن تتم إلا إذا بلغ الجنوب المقدار السياسى للشمال وكان هذا انذاراً اعقبه الشر المستطير ...

جاء فى كتاب الديمقراطية فى الميزان (١)
" وخلال الاستعدادات للانتخابات التى سبقت الاستقلال توجهت الأحزاب
السياسية الشمالية نحو الجنوب لتوسيع قواعد مؤيديها لأنه لم تكن هناك
أحزاب سياسية بالجنوب آنذاك . . .
ولعبت الحملة المصرية دوراً كبيراً فى إفساد الحياة السياسية فى جنوب
السودان .. فعند الانتخابات تردد أن مصر انفقت أكثر من ثلاثة ملايين جنيه
فى الجنوب لجذب الأصوات لفكرة وحدة وادى النيل ، وإقامة رأس حربة
خاص بها فى تلك المحافظة .. وجاءت النتيجة محيرة جداً فالدعاية المصرية
مرفقة بالأفكار غير المحكمة الإعداد والمناورات السياسية التى قامت بها
الأحزاب الشمالية أثارت الإلتباس فى المجموعات القبلية غير المتطورة فى
الجنوب وعمقت الشكوك والريبة فى كل شئ شمالى . . .
ومن ناحية أخرى أعرب المثقفون من الجنوبيين بحرية كاملة عن شكوكهم
فى التطور السياسى التدريجى نحو الاستقلال .. وكانوا يتوقون الى تحقيق
المستوى الذى حققه الشمال فى عملية التطور . والمخطط الذى تم تنفيذه عام
١٩٥٤م لإدماجهم فى السودان خيب آمالهم كثيراً .. إذ ذهبت الوظائف فى
معظمها الى الشماليين بفضل الأقدمية والثقافة والخبرة والتدريب .. فأصيب
المثقفون الجنوبيون بخيبة أمل .. واعتبر بعضهم مخطط الاندماج مع السودان
مجرد تبديل للأسياد واعتبروا النشاط الذى قامت به اللجنة السودانية إخلالاً
بالوعود التى قطعها السياسيون السودانيون
ومع اقتراب موعد الاستقلال دأب البعض فى الحكومة فى الخرطوم
على الإسراع فى ترتيبات جعل الإدارة السودانية ، ولم يعطوا القدر الكافى من
الإعتبار لمذى الشكوك والاضطراب فى الجنوب ..
وبلغ العداء والاضطراب السياسى فى الجنوب درجة الغليان فى ١٨ آب
١٩٥٥م عندما تمرد جيش الإستوائية فى توريث قبيل موعد جلاء القوات
البريطانية المصرية عن السودان ، فقتل ٢٦٠ شمالياً بينهم بعض أفضل
إداريينا ومربيينا فى ذلك الوقت ..
وقد أقدم المتمردون الجنوبيون على نهب منازلهم واغتصاب نساءهم قبل
اللجوء الى الإدغال "

(١) الأستاذ محمد أحمد محجوب . . . رئيس وزراء سابق (أمة) . . .

وجهل السياسيون الشماليون واقع قضية الجنوب عند بدايتها ، ولم يقيموا سياسة عزل الجنوب وصعوبة مواصلاته ، واثّر كل ذلك علي المواطن فيه ، مما يلزم النظر يومئذ في ترك فجوة وظيفية له لآثر العوامل السابقة علي تدريبه وخبرته مما يقلل فرص منافسته لرصيفه الموظف لشمالى .. كما إنهم كانوا ينظرون للجنوب سياسياً كمصدر احتياطي للدعم السياسى لإكمال القوة ، وكثيراً ما تذر الجنوبيون فى الحكومات لأن نصيبهم دائماً هو غير وزارات السيادة والفعالية ... وهكذا بعدت الفجوة بين المثقف الجنوبى والشمالى وخاصة فى ميدان التطور السياسى للبلاد ، مما اضعف عرى التفكير الوطنى المشترك بينهما ، ويكون ذلك أقرب للذهن فهماً بخلو كل من مجالس القيادة العسكرية فى انقلابات نوفمبر ٥٨ ، ومايو ٦٩ من العناصر الجنوبية (١) ...

" عندما أطاح الجيش بالحكومة فى تشرين ١٩٥٨ لم يلغ المجلس التأسيسى فقط بل أوقف الحوار السياسى بين الشمال والجنوب ، إذ لم يكن لدى المجلس العسكرى الحاكم أى برنامج سياسى معين ، وبالطريقة نفسها التى قمع بها المعارضة السياسية

وفى الشمال ، كم أفواه المثقفين وذوى الرأى الجنوبيين ، وفرض نظام الحكم العسكرى برنامجاً اجبارياً لتعليم العربية والدين الاسلامى على أمل تحقيق نوع من الوحدة فى المستقبل .. واقامت معاهد اسلامية متوسطة فى ست مدن جنوبية ومعهد اسلامى ثانوى فى جوبا لتعليم الاسلام للبالغين .. فى البداية تم تقييد نشاط المبشرين ومعظمهم كاثوليك ومن ثم طردوا من البلاد بعد ان اعتبرت الحكومة العسكرية انهم (قد جاوزوا حدود مهمتهم المقدسة) وعملوا من خارج السودان وداخله ضد الاستقرار والامن الداخلى للبلاد .

وأرغم جو القمع والتهويل العديد من المثقفين الجنوبيين والبرلمانيين السابقين على الفرار لبلدان مجاورة مثل الحبشة ، أوغندا ، كينيا ، وافريقيا

(١) يضم مجلس قيادة الانقاذ الوطنى ٢٠ يونيو ٨٩ م ثلاث ضباط جنوبيين .. ويتحدث بعض الجنوبيين أيضاً أنهم قد عينوا فقط ولم يشاركوا فى تنفيذ وتخطيط الانقلاب لتبقى هناك ظلال شك فى نفوس ابناء الجنوب عن مدى فاعلية الجنوبي المدنى والعسكرى فى احداث التغيير السياسى والإجتماعى والتفاته على المفهوم للدور الوطنى الواحد المشترك مع شريكه الشمالى ..

الوسطى حيث شكلوا منظمات سياسية فى المنفى من أجل الدعاية لقضيتهم " (٧) .
وقد مهد لكل ذلك منهج القادة والمتقنين الجنوبيين الخلافى فى قضيتهم
وعرضها فى المحافل الوطنية والعالية . ولعل مرد ذلك كله التدنى الشديد فى
الوعى العام للمواطن الجنوبى الذى يبدد طاقاته فى الخلافات القبلية حتى مستوى
قياداته ..

" اعتقد ان هذا امر عادى فى كل افريقيا حيث التركيبة القبلية وحيث
محاباة القبيلة ومنحها الولاء الاول ، وذلك ليس جديداً على جنوب السودان
كجزء لا يتجزأ من افريقيا الام " (٨)

وفى مؤتمر المائدة المستديرة المنعقد بالخرطوم فى ١٩٦٥ والذى دعت له
حكومة اكتوبر طارحة شعار السلام بالتفاوض لا بالعنف بحضور
مراقبين افريقيين (يوغندا ، كينيا ، تنزانيا ، غانا ، نيجيريا ، الجزائر ومصر)
اجمع السياسيون الشماليون على رأيهم ، (اعطاء قدر معقول من الحكم
الذاتى فى نطاق السودان الموحد) ، بينما تفرق الجنوبيون بين مطالب
بدولة مستقلة ، ومناد بالحكم الذاتى ضمن دولة فيدرالية ومنهم من رأى نزاع
المركزية عن الحكومة ... مما قاد للفشل فى نهاية المؤتمر .. ومن المتوقع ان
يحدث ذلك فى أى مؤتمر قادم لمشكلة الجنوب ان لم يسبقه مؤتمر خاص
بالقوى الجنوبية المختلفة لبلورة آرائهم ومحاولة تجميعها ليسهل التداول
فى المؤتمر الأكبر ، بعد تأطير أسباب الفرقة والإختلاف ، وتقييم مبدأ
الاحتراب مع الحكومة المنظمة ، والذى بدأ أولاً بتدبير القبائل الصغيرة
بالاستوائية من دون قبائل الدينكا والشلك والنوير التى تمثل أغلبية سكان
الجنوب . واليوم تقوده قبيلة الدينكا ، التى كانت قبل الحرب أكبر القبائل
الافريقية عدداً ، منفردة به دون غيرها ...

اتفاقية أديس أبابا (٣ مارس ١٩٧٢) ...

كانت اتفاقية أديس أبابا اقراراً لمجموعة وثائق تشمل

- وقف القتال .

(١) محمد أحمد محبوب - الديمقراطية فى الميزان

(٢) المدينة ١٤٠٥/٣/٣ هـ جوزيف لافر

- الحكم الذاتى الاقليمى للمديريات الجنوبية فى إطار السودان الموحد .
 - إلحاق المحاربين الجنوبيين حسب لياقتهم أما بقوات الشعب المسلحة
 أو بقوات الشرطة أو قوات حرس السجون أو الخدمة المدنية .
 - عودة المهاجرين الجنوبيين من الهجرة الى داخل السودان .
 - اعادة تعمير ما دمره القتال من منشآت كمنطلق لحملة تطوير وتنمية الجنوب
 واعترفت الاتفاقية بالشخصية الثقافية المستقلة لجنوب السودان
 والخصائص المميزة له ، وفصلت الحكم الذاتى بان يكون الجنوب اقليماً يحكمه
 الجنوبيون انفسهم بينما تظل مسائل الدفاع والشئون الخارجية والتجارة
 القومية والجمارك والمواصلات وتخطيط الاقتصاد الوطنى ، والهجرة والجوازات
 والجنسية ومسائل السيادة عموماً بيد الحكومة المركزية على أن يُضْمَنَ ذلك
 فى دستور البلاد .. ولا تعدل الاتفاقية إلا بموجب بنود الاتفاق حول التعديل
 (إنه لا يجوز تعديل قانون الحكم الذاتى للمديريات الجنوبية ١٩٧٢ إلا
 طبقاً لنصوصه) والتي تحددها اجراءات التعديل ... (طلب تعديل
 الاتفاقية بأغلبية ثلاثة أرباع مجلس الشعب القومى ، ومن ثم الموافقة
 عليها عن طريق اجراء استفتاء بأغلبية ثلثين الأصوات فى الجنوب) .
 وتم وضع دستور السودان ^(١) مزيناً بالجمهورية الرئاسية بعد أن كرس
 واضعوه ^(٢) كافة السلطات التشريعية والتنفيذية فى يد رئيس الجمهورية متعللين
 بأن ذلك من شأنه تحقيق الاستقرار للبلاد بتفادى التناقضات التى تفرزها
 الخلافات فى القيادة ، كما يُحْجَمُ الطموحات التى يمكن أن تؤدى الى الصراع
 الدائم حول السلطة .
 وبالرغم من توقيع الاتفاقية وتضمينها فى الدستور وتطبيق بنودها
 إلا ان قناعة اطرافها المختلفة كانت فى مستوى تسكين الألم وهى تتشدد
 الاستقرار لزيادة عمر الحاكم ... مما زاد من زعزعة الثقة بين الشمال
 والجنوب ^(٣) ...

(١) برئاسة بروفيسر النذير دفع الله ١٩٧٣/٥/٨ .

(٢) منهم د. منصور خالد ، ود. جعفر بخيت .

(٣) صدرت ممارسات سلوكية اجتماعية واقتصادية لا أخلاقية من بعض التجار والجنود فى الجنوب أيام
 السلم والحرب معاً مما زاد من زعزعة الثقة بين الشمال والجنوب

" ان اتفاقية اديس أبابا بها مادة تحرم الحكومة سيادتها ،
واصدار قوانين لبقية المواطنين " (١)

ان اتفاقية اديس أبابا هي انا وجوزيف لاقو، ونحن نريدها هكذا " (٢)
وقد تعمق هذه الفهم للاتفاقية عند النشئ منهاجاً ودراسة .. ففى كتاب
للتربية الوطنية للصف الثالث المتوسط (عهد مايو) بوزارة التربية والتوجيه ،
تقول عنه ادارة المناهج شعبة التربية الوطنية (إنه أعد للفهم السليم
للمؤسسات العامة وأهدافها الأساسية فى المجتمع) ، جاء الحديث عن
الاتفاقية ..

" بهذا. كله يعنى أن الحديث عن اتفاقية مبرمة لها صفة الدوام
، كما يحدث فى ابرام الاتفاقيات بين الدول المختلفة ، انما هو حديث
لا ينطبق على ما تولد عن لقاء اديس أبابا الذى صيغت فيه هذه
الوثائق "

وبعد أن صدر الحكم الاقليمى للأقاليم الشمالية فى ١٩٨٠ وفى المؤتمر
الثالث للاتحاد الاشتراكي (١٩٨١) ، نادى جوزيف لاقو بنقل السلطة لجماهير
الجنوب لادارة شئونها وذلك لتعسر إدارة الجنوب الشاسع مركزياً من جوبا
مخفياً بذلك معاناته وخوفه من سيطرة قبيلة الدينكا ... وعندئذ طفت الخلافات
والصراعات على سطح تنظيمات الاتحاد الاشتراكي مما اثر كثيراً فى تنفيذ
مشاريع التنمية فى الجنوب . ورأت القيادة ان اتفاقية الجنوب تغيرت
من دفعة تنموية لمسكلة أمنية .. وان الأمر ليس باختلاف موضوعي
حول شكل الحكم والادارة فى الجنوب ، وانما هو طموحات شخصية ،
ومظهر من مظاهر انعدام الثقة بين الجنوبيين كأفراد وقبائل (٣) ...
قرار جمهوري رقم (١) ١٩٨٣ ...

هكذا حسم النميري الأمر بتقسيم الاقليم الجنوبي لأقاليم ثلاث ...
" لا شك فى ان العدول عن القرار كالقرار نفسه كان نزوياً " (٤) ...
وجاءت آراء القادة الجنوبيين متباينة عن التقسيم . (٥) ...

(١) جعفر نميري (سونا - باريس) ١٩٨٣/١١/١٧ .

(٢) النفق المظلم - نميري فى إجابته لمراسل إذاعة جوبا عن الاتفاقية .

(٣) جوزيف لاقو (القبائل الاستوائية \) ، ابييل ألير (قبيلة الدينكا)

(٤) منصور خالد - النفق المظلم ..

(٥) جريدة المدينة ١٤٠٥/٣/٣ هـ .

" ان قانون الحكم الذاتى الإقليمى مستتب من اتفاقية أديس أبابا ، وهي اتفاقية دولية لا يمكن تجاهلها أو إسقاطها في أى مرحلة من المراحل بل يجب الحفاظ عليها ، وفى نفس الوقت لا نريد أن يكون الجنوب شيئاً مختلفاً عن الشمال في نظام الحكم ، وهذا ما يحققه القرار رقم (١) إذاً للتوفيق بين القانون والقرار لابد من وضع تصور يجمع بين الاثنين " جوزيف لاقو . . . ان تقسيم الجنوب لثلاث اقاليم قد فرض فرضاً بارادة اقليم الاستوائية وان ذلك باطل قانوناً ودستوراً بنص اتفاقية أديس أبابا التى تضمنت في دستور ١٩٧٣ ومن الضروري اعادة النظر فى هذا القرار " الدو أجو

" إن قانون الحكم الذاتى كان هو حل ثورة مايو لمشكلة الجنوب ، لذا لا يمكن التخلي عنه بسهولة .. ومن المثير للبلبة ان يقال إنه لا خلاف بين قانون الحكم الذاتى وقانون الحكم الإقليمى " وليم أجال دينق " ان التقسيم كان مفاجئاً للجميع وإننا لا نستطيع مهاجمة أو انتقاد رئيس الجمهورية لأنه له السلطات والصلاات التى تكفل له الحصانة الدستورية وإذا أردنا وحدة وطنية فلا بد ان نقبل بحل وسط يوفق بين قانون الحكم الذاتى ١٩٧٢ م وقانون الحكم الإقليمى ١٩٨٠ " اندرو ويو .

" لماذا فشلت الحكومات القديمة (أبل أليز + جوزيف لاقو) ... (١) فى البداية عندما اعطى الإقليم الجنوبى الحكم الذاتى جاءت حكومة برئاسة ابيل الير لكنها فشلت السبب انه قبل اتفاقية أديس أبابا كان الجميع في حرب ويعيشون فى الغابة، لكن بعد الاستقرار عادوا فأراد كل واحد منصباً لنفسه وصار كل واحد يفكر بنفسه ولنفسه وليس لمصلحة البلد .. ولم يستفد بقية الشعب . . .

بعد مجيئنا للسلطة رأينا ان الجنوب كإقليم واحد إدارته صعبة جداً فطالبنا بالمزيد من اللامركزية وخاصة الاستوائية ، لأننا أردنا ان تكون منطقتنا منفصلة تهتم بشئوننا وقد خضنا صراعاً شديداً ضد الدينكا الذين كانت كل السلطة بيدهم .. واستمر الصراع الى ان وافقت الحكومة المركزية في الخرطوم على جعل الجنوب مثل بقية السودان (اقاليم ولا مركزية) ، ثم قررت

(١) حاكم الاقليم الجنوبى و اقليم الاستوائية - الحوادث ١٩٨٣/١١/٤ م

أن تضاعف المديریات وتجعل الاقليم ثلاث اقاليم ، ولقد قبلنا بهذا الامر لانه فيه تحسيناً وتطويراً لأديس أبابا ، فهذا التقسيم سيخلق لنا محافظين جدد مع نوابهم بشرطه ، سيصبح عندنا وظائف كثيرة ، وسيصبح عددنا في الاتحاد الاشتراكي اكثر ، أى تضاعف عددنا ثلاث مرات .. وهذا لمصلحة الجنوب .. لم نجر استفتاء مع أنه كان من المفروض اجراء استفتاء حول زيادة المديریات أولاً .. ولكن لان هذا التوزيع لصالحنا فضلنا السكوت " جوزيف طمبرة

هذه هى كيفية تفكير القيادات الجنوبية ، فى عهد مايو تفضل المصلحة الذاتية والقبلية وتمجد السلطان ... وترجع اليه فضل مجهوده ومجهودها نفاقاً " الفضل الأكبر فى نجاح الحكم الاقليمى يعود أساساً لصالح الوحدة الوطنية وحادى ركبها السيد الرئيس القائد جعفر نميرى ، الذى كان وما زال وسيظل بنفسه مع الحكومة الاقليمية يوجهها يعمل معها على حل المشاكل واليه يرجع الفضل فى كل النجاحات التى حققها الاقليم الجنوبى حتى الان " (١)

" هذه بادرة خير من قائد عظيم ، وحسن استهلال لعام جديد ، جديرة بالاشادة والتقدير ، وهو دليل حكمة القائد ، ورجل الدولة الكبير " (٢) ... " أعلن السيد بونا ملوال لرئيس الجمهورية عن عميق تقديره وتأثره وإمتهانه لرعايه السيد الرئيس الشخصيه للجهد الاعلامي الذي بذل خلال توليه مسئوليه وزاره الثقافه والاعلام وهي الرعايه التي اثمرت كل الانجازات التي شهدها العمل الاعلامي والثقافي في البلاد بحيث يكون من الحق والصدق ان ينسب اي نجاح تحقق في مجالات عمل الوزاره الي جهد الرئيس الشخصي" ..

ولما بعد الرئيس عن موقع الرئاسة.....ولايام بعيد الانتفاضه تغيرت نبرات الحديث ..

"أعلن السيد بونا ملوال انه قد اختلف كثيرا مع نظام مايو المباد من حيث المبدأ والسلوك، مشيراً الي ان اختلافه المبدئي مع نظام نميري بدأ عندما

(١) جوزيف لاقورئيس المجلس التنفيذي العالى للجنوب (الصحافة ٣/٢/٧٨ و سونا ٣/٣/٧٨) .

(٢) برقيه لاقو لنميري بمناسبة العفو عن الابغوش وجماعته (الصحافه ١٧/٤/١٤٠٥هـ)

أخذ النظام خرق بنود اتفاقية اديس ابابا ١٩٧٢ وذلك بتخليه عن مشاريع التنمية بجنوب السودان ، وحل البرلمانات الإقليمية ، وعندما مارس النظام الدكتاتورية الفردية والتسلط والظلم للمواطنين ...
وقال : " ان إختلافه مع نظام مايو تمّ عملياً عندما ترك الوزارة ١٩٧٨ عندما تأكد من ان نظام الفرد بدأ يتخذ القرارات غير المؤسسة ولا المدروسة ويفاجئ بها الناس ، كما تسلط النظام على سلطات وزرائه الاقليميين والمركزيين وفرض قوانين تعسفية على الجماهير منها القوانين التي سميت ظلماً باسم الشريعة الاسلامية " (١)

ومن الأمور ذات الأثر غير المباشر على الجنوب مشاريع التكامل والوحدة العربية الجزئية والشاملة .. فالوحدة العربية الشاملة (٢) ... هاجس بعيد المنال اليوم وذلك لفقد الكثير من الدول العربية لاستقلال قرارها الوطني ، وان نظم الحكم فيها تتعدد وتتبدل ما بين الانقلابات العسكرية والملكية والسلطنة والامارة والجمهورية والجماهيرية .. والديمقراطيات المبتورة ... وكلهم مسلمون ويؤمنون بالله رباً ...
إلا ان أغلبهم لم يحسم الأمر في قضايا اللغة والاسلام وهي قوام وجودهم اهي نطقاً وعقيدة ١١٩ أم منهجاً وحركة وسلوكاً وتنزيلاً للدين لمستوى الفرد . والمجتمع والدولة .. كما يرى البعض ان الدول الاسلامية غير العربية أقرب اليه فكرياً وأولى بالوحدة الاسلامية .. وإنهم يؤثرون قضاياهم الخلافية عن الاصول وقضايا المصير (٣)

ثم رجعت المحنة الطامة حية تلتف حول عنق الوحدة العربية بالغزو العراقي لدولة الكويت وهول الحرب والدمار والفرقة ... ومهما تنوعت وتعددت أبعاد

(١) الايام ١٧/٦/١٩٨٥ م . (٢) بدأت حرب الخليج بين الحلفاء (٢٨ حليفاً على رأسهم امريكا وبريطانيا) و العراق في ١٧/١/١٩٩١ ، بمبادرة طيران الحلفاء بمهاجمة العراق في ما عرف بعمليات عاصفة الصحراء .. وقد قاد الظلم والقهر من جانب والعجز وسوء تدبير المال والمصلحة من الجانب الآخر العالم العربي لحرب ستؤدي لتغيير الخارطة الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدبلوماسية في المنطقة العربية

(٣) بعد إجتياح القوات العراقية لدولة الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠م ثم إعلان ضم الكويت كمحافظة عراقية ودعوة السعودية (وبعدها الامارات العربية ، وقطر والبحرين وسلطنة عمان) للقوات الامريكية و البريطانية للدفاع عن أراضيها .. ازدادت الفجوة الخلافية بين الدول العربية وظهرت في مؤتمر القمة العربي غير العادي بالقاهرة أغسطس ١٩٩٠م ... وأظهر العرب انفسهم بقتهم لا زالوا في حوجة لغيرهم ليحل لهم مشاكلهم وينظم لهم علاقاتهم ... فكيف بمستقبل من ينهزم أمام خاضره ١٩ ؟
" واحياناً على بكر اخينا إذا مالم نجد إلا اخانا "

وأسباب الحرب الخليجية بين بُعد ثقافى يتمثل فى امتداد الصراع التاريخى
 والحضارى بين الاسلام والنصرانية واليهودية ، وبُعد اقتصادى بالمحافظة
 على المصالح الاقتصادية الغربية فى منطقة الخليج والظرف الطارئ بين ثراء
 الكويت وفقر العراق النسبى، وبُعد سياسى ينتج عن ذلك ، يظل السبب الرئيسى
 للحرب هو بحث الولايات المتحدة الامركية وحلفائها الغربيين عن ذريعة يمتطونها
 لتحطيم النهضة العلمية والتقنية والصناعية الحربية فى العراق لتحجيم
 قدراته العسكرية القتالية من اجل ابقاء التفوق الاسرائيلى بالمنطقة العربية
 ومن ثم احكام السيطرة والنفوذ على مصادر النفط ودوله
 وعبد الطريق امام كل ذلك حقيقة ان العاطفة عند العربى غالبية على
 عقله مما يمكن من بذر روح الكراهية والاختلاف والتشردم والإنقسام بين الأمة
 قيادة وشعوباً ، وقد وضع ذلك جلياً فى تعبير الشارع العربى ، وفى كثير
 من الأحيان والأقطار ، بغيرما تريده القيادة ... غير أن هنالك تبصرة
 واستزادة تأتى بعد تبصر قوله تعالى (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله)
 (المائدة الآية ٦٤) يمكن ان توحد وتجمع .. فقد اثبتت الحرب أن الفجوة
 بين العالمين الغربى والاسلامى هى فجوة علم طبيعى وتقنية لصالح الغرب وفجوة
 تدين وروح لصالح الشرق ... كما أن مسألة الغزو العراقى للكويت ومحاربة
 الأمة المسلمة للفئة التى تبغى والإستعانة والاستغاثة بالمشرك لمحاربة المسلم
 هى فرصة لحكام وعلماء ومفكرى الأمة الاسلامية والعربية و جماهيرها وحركاتها
 الدعوية للوقوف مع الذات فى مسألة الربط بين السياسة الشرعية والمسألة الفقهيّة
 أى بين حقوقهم فى الرأى والمشاركة فى الحكم بإنزال حكم الشرع على كل
 سياسات الحكام حتى لا يجد الفقهاء واصحاب الرأى أنفسهم بأنهم فقهاء
 حكام يطلب إليهم ، عندما يريد الحاكم ، الإجتهد لأنزال حكم الشرع على قضية
 لم يستشاروا فيها ولم يشاركوا فى صنع القرار السياسى الذى أوجدها ...
 كما انها فرصة لإظهار خلق التسامح والإخاء الاسلامى ونضوح الفكرة فى
 كون أن التنمية الشاملة فى كل البلدان العربية والاسلامية هى طريق الوحدة ...

وتتوقف ثمرة كل ذلك على اجابة الأسئلة الهامة والملحة ... كيف سينظر للأقطار العربية داخل معسكر الحلفاء والتي شاركت ، مهما كانت نيتها ، في تدمير القدرات العسكرية العربية الاسلامية ؟ وما هي حقيقة النظرة الاقتصادية للأقطار التي ساندت العراق مهما كانت نيتها ، من جانب الأقطار العربية الغنية ومشكل توزيع الثروات ، هل ستدعمها كما كان الحال قبل الغزو ... ؟ أم تتركها لواقع منوحات الصناديق وبنوك اعادة التعمير ؟ أم تصمت سلباً وتجعلها تعتمد على مواردها الذاتية وترغبها فرحة وهي تتعثر امام معاناة الإعتماد على الذات ؟ !

وفكرة التكامل والوحدة العربية هذه في السودان تضادها فكرة الوحدة الافريقية الجزئية والشاملة ، والتي لا نجدها فقط بين الجنوبيين وحدهم وانما بين القبائل الزنجية والمختلطة الأخرى بالشمال ، يتداولونها في مجالسهم الخاصة ، ويواجهون بها الصحافة والمؤتمرات ...

سألت الحوادث جوزيف لاقو (١) ..

- دعوت و في أكثر من مرة الى انضمام كل من اثيوبيا ، كينيا ، يوغندا ، رواندا ، وتنزانيا الى وحدة وادي النيل (٢) التي تمثل التكامل المصري السوداني إحدى حلقاتها الأقرب الى التحقيق ..

ما هي حيثيات هذه الدعوة .. هل نابع من إحساسك بأن السودان اقرب بإنتمائه الى الدائرة الافريقية من الدائرة العربية .. ؟ ! ...

" عندما نتحدث عن وحدة وادي النيل علينا ان لانقف فقط عند حدود مصر والسودان ، علينا ان نجارى النيل الخالد في تدفقه .. نحن قارة سوداء تسكنها اقوام يربطها خيط مائى رقراق اسمه النيل مانح الحياة للأرض ، وواهب الخصب للتراب ...

السودانيون في الشمال ينظرون الى المصريين كإخوة واخوات ، أنا أنظر الى أبناء يوغندا ، زائير وكينيا بنفس المنظار .. هم أعمامى واخواتى .. لماذا التكامل مع مصر فقط .. لنكمل هذا التكامل وحتى

(١) الحوادث ١٨/٥/١٩٨٤م

(٢) دول حوض النيل (دول الأندرجو) ... السودان ، يوغندا ، مصر ، افريقيا الوسطى ، بوروندى .

رواندا وتنزانيا ... طلبت اثيوبيا الإنضمام إليها في يونيو ١٩٩٠م ...

اثيوبيا .. لايهم اى نوع من الانظمة السياسية ، هناك فى اثيوبيا امتدادات لنا
ووشائج و ارحام وصلات دم وأخوة .. نحن نتحدث علي مستوى الناس
العاديين المواطنين البسطاء ممن نستورد لهم انظمة جاهزة ومعلبة ... ان الحديث
عن الوحدة لا يعنى ان نتحدث عما لديك انت فقط .. عليك ان ترى وتحترم
ما يقدمه الآخرون .. الوحدة فى التعدد والتنوع .. لكى تقوم هذه الوحدة
الصحيحة عليك ان تتنازل عما يعيق هذه الوحدة ، وبالمقدار الذى تطلبه منى
... وإلا كيف سنصل الي منتصف الطريق ؟ .

وانفجرت حرب الجنوب للمرة الثالثة بعد ان دخلت شرايخ من القوات
المسلحة ، بعد تمردھا ، للغابة فى ١٦ مايو ١٩٨٣ (٨) . .
الأمر الجمهورى رقم (١) ١٩٨٣ م
قوانين الشريعة سبتمبر ١٩٨٣ م

وثيقة الحاق المحاربين الجنوبيين بالقوات المسلحة (اتفاقية أديس أبابا) . . .
أى هذه القرارات كان السبب فى التمرد الثالث ، وتكوين الجيش الشعبى
لتحرير السودان (الجناح العسكرى) ، والحركة الشعبية لتحرير السودان
(الجناح السياسى) ، .. والتي يقول قادتها عنها .. " إنها حركة (٩)
قومية ووحدية تتجاوز الانقسامات الدينية والعرقية والثقافية فى منظورها " . .
بالرغم من سيطرة قبيلة الدينكا عليها وتصريحات قائدها إيام
الحزبية الثالثة بأنه (يفاوض القوى القومية فقط وليس الرجعيين) ؟ ! .
قاوم بعض الجنوبيين تنفيذ وثيقة دمج المحاربين الجنوبيين بعد مضى
الخمس سنوات المتفق عليها بقوات الشعب المسلحة وقد كان ذلك هو الدافع
الرئيسى لدخول قرنق وجماعته الأدغال للمرة الثانية فى تاريخ التمرد بجنوب
السودان ، وقد تأكد ذلك من حديث قرنق لأروب مادوت (١٠) "
أروب مادوت : فيما نعلم انك غير مقتنع بالشروط الواردة فى اتفاقية
أديس أبابا ١٩٧٢ م عن الجنوب ، ولكن بالرغم من ذلك قبلت الاستيعاب فى
الجيش السودانى .

(٣٩) قامت حركة قرنق المتمردة فى ١٣ مايو ١٩٨٣ م ، وأعلنت دستور عملها العسكرى والشعبى

(المانيفستو) فى يوليو ١٩٨٣

(٢) التضامن ١٧/٨/١٩٨٥ م

قرنق : صحيح اننى لم اكن مقتنع بشروط اتفاقية اديس ابابا ١٩٧٢ وصحيح إنه تم استيعابى فى الجيش القومى السودانى عند تنفيذ الاتفاقية ، ولم يكن عدم اقتناعى منحصراً فى اتفاقية اديس ابابا بل كنت غير مقتنع أيضاً باهداف حركة انيانيا (٢) وذلك لان حركة الانيانيا فى ذلك الوقت كانت تهدف للإنفصال وقيام دولة ذات سيادة فى الجنوب .

أروب مادوت : لقد انساق الكثيرون وراء الاعتقاد بأن الأسباب التى ادت الى قيام الحركة والجيش الشعبى لتحرير السودان هى تقسيم الاقليم الجنوبى الى عدة اقاليم وتطبيق الشريعة الاسلامية فى ١٩٨٣ ، هل توافق على هذا الاعتقاد ؟ !^(١)

قرنق : اننى لا اوافق على هذا الاعتقاد وبالطبع توافقتى الرأى بأن ال (كوكورا) أو تقسيم الاقليم الجنوبى الى عدة اقاليم صغيرة وتطبيق الشريعة الاسلامية لم تكن هى السبب فى قيام الحركة والجيش الشعبى لتحرير السودان ، ولكن كانت لها انعكاسات على ذلك الامر .. الشئ الذى أدى الى اشعال فتيل التمرد ليس تلك القضايا .. لقد ذهبنا للغابة قبل ان يتم تقسيم الاقليم الجنوبى ، وبالرغم من ان الحوار حول التقسيم صار مستمراً لفترة طويلة فإن عملية التقسيم قد تمت فى مايو وتم تطبيق الشريعة فى سبتمبر ، وانصافاً للحق فإن الذى اشعل فتيل التمرد هو التخطيط لنقل قوات الانيانيا المستوعبة فى الجيش إلى الشمال وتوزيعهم على كل وحدات القوات المسلحة بحيث يكونوا افراد مشتتين هنا وهناك ومعرضين للشيخوخة والإحالة للتقاعد قبل الأوان والموت والفصل من الخدمة ، (الشئ) الذى سيؤدى الى انتهاء ظاهرة انيانيا داخل الجيش السودانى ، وهذا فى الحقيقة كان الهدف الاساسى من الاتفاقية ، ولهذا السبب بالذات عارضنا اتفاقية ، اديس ابابا ، ولقد تنبأت أنا بذلك وحدث النبوءة .. وهكذا أشبعت رغبة التوظيف لدى حركة الانيانيا كما تحققت اهداف الاستيعاب والدمج والتحطيم لدى الزمرة فى الخرطوم ، ومن هنا كانت معارضتنا لاتفاقية اديس ابابا ... كل البنود الاخرى فى الاتفاقية والخاصة بالحكم الإقليمى والوظائف الوزارية وباستقلال الحكم المحلى هى أشياء هامشية .. ان الهدف الاساسى

(١) صحيفة هيرتيج - اكتوبر ١٩٨٧ م (السودان الحديث ١٩٨٩/٩/٦ م) .

من كل ذلك هو نزع السلاح من حركة انيانيا ثم تجميعها واخيراً
تخطيطها ... " واليوم وقد زاد عدد المحاربين في قوات قرنق ، ولما كان الدمج
هو السبب في الخروج للغابة أولاً فهل ترضى الحركة الآن بغير الجيش الموازى
للقوات المسلحة^(١) ... ١٩ ...

إخراج إلكتروني : ابوبكر خيرى

(١) فى أواخر عهد الديمقراطية الثالثة وبعدها فشلت مذكرة القوات المسلحة لرأس الدولة
بخصوص الحكم فى إحداث تصدع وتصادم فى القوات المسلحة ، وتقييماً للدور المحدود الذي
تؤديه المعارضة الأفريقية والمنظمات الاغاثية الأجنبية كجناح داخلى للحركة ، اقترح د. منصور
خالد عليها تغيير تكتيكها جرحاً فى الاستراتيجية بتمديد المعارضة وضم الشارع بفتح التعاون مع
الطائفية وحكم العائلات باستثمار التناقض السياسى بين احزاب حكومة الديمقراطية الثالثة مما نتج عنه
اتفاقية ١٦ نوفمبر ١٩٨٨ (الميرغنى / قرنق) . واقترحت الادارة الامريكية فيما بعد علي حكومة الانقاذ
الوطنى سحب القوات المسلحة للشمال ووضع قوات دولية مكانها .. أى فاصل عسكرى دولى بين جيشين ...
مما يمكن قوات التمرد من السيطرة وتأمين مواقعها ويتيح لها امكانية التوسع التدريجى تحت مظلة تكتيكية
حيادية

صفوة الجنوب و بقرة السياسة الحلوب

لعب الجنوبيون دوراً بارزاً في الحركة الوطنية السودانية ، منها منازلة المستعمر بقيادة على عبد اللطيف (١) ، وعبد الفضيل الماظ (٢) ثم الفترة الاستقلالية تحت إرادة وقيادة الاحزاب الشمالية ، ومؤتمر المائدة المستديرة في الستينيات ودور وليم دينج فيه مما أدى لإغتياله في غابات الجنوب ... ويلاحظ أن الاحزاب الجنوبية بالرغم من انها تفتح الانتماء إليها لكل السودانيين إلا أن عضويتها تتكون فقط من القبائل الجنوبية ، مما يؤكد عدم امكانية تحقيق الانصهار القومي والوطني في السودان عن طريق الحزبية بمفهومها السائد بين سكانه ... وحتى قيادة هذه الاحزاب ظلت تفقد اتصالها بقواعدها في الجنوب خدمة أو توضيحاً لبرامج وسياسيات أو مشاورة ، مما جعل تلك القيادات تتسبب همومهم ، وتتجاهل حاجتهم وتتاجر بقوتهم وموادهم التموينية ... كل ذلك من جراء ولع الاحزاب الشمالية بالسلطة وكيفية الوصول اليها ، والمحافظة عليها وتثبيت اقدامها ، مما برر لها النظرة الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) فتستخدمها ليس في الجنوب فحسب وانما في كل مناطق السودان ، غير ان ذلك يظهر بوضوح بين سياسى الجنوب ، مما يظهر الامر كماتجربة بالقضية الوطنية والجنوبية ، في اسواق تحويل الولاءات السياسية ، والدلالات لمن يدفع اكثر أو يقدم المنصب الأرفع والاكثر اغراء ووجاهة ... ويندر أن تجسد بينهم من يغيرون موقفهم السياسى تأييداً ، إبتغاء تنازل حزب شمالى عن مساندة مبدأ أو قضية .. مما أبعد امر السياسى الجنوبي عن المبدأ والفكر السياسى أو إبتغاء انتصار القضية الوطنية أو المحلية ووضعه داخل اطار الاغراض الشخصية والقبلية .. بان يكون العائد منفعة ذاتية ضيقه أو فوز قبيلة بمنصب يكون الولاء القبلى فيه وبه طامعياً عن الولاء للوطن ... ولم يعبأ عارض المنصب أو دافع المال ، والمرحب بالمنصب وقابض السند كلاهما بنظرة المواطن السودانى وسبة التاريخ ولعنته .. واغرتهم غفلة المواطن الجنوبي وغياب وعيه ، وفقدانه لوسائل التعبير عن استيائه و استهجانه لمواقف قادة تتكرر اسماؤهم مع كل تغيير حكومى ، سواء كان ذلك

(١) جنوبى دينكا قويريال ولد بالشمال (٢) جنوبى ، نوير بانتيو ولد بالشمال

بالقناعات أو الاغراءات أو التعويضات أو مساومات المراكز السياسية والمناصب ،
أو تكتيك سياسى ممن يقومون على أمر تلك الحكومات فى محاولة لاستغلال
الاسماء للكسب والتأييد السياسى المرحلى أو أرضاء واشباع الطموح القبلى
الجنوبى والحصول على تاييده لزوم السلطة واستمراريتها ...
وتظل بين ذلك قضية الجنوب هاجساً كما بدأت تقلق استقرار
الوطن

تريدها الكنيسة حرباً دينية عنصرية ...
وتراودها مصر واسرائيل حرب مياة ^(١) .. وشرطاً لاكتمال أمن اسرائيل
القومى وعمقاً لجنوب الوادى ... وهى عند الأمريكان والسوفيت معبراً لفرض
النفوذ فى القارة وخلق مراكز للنفوذ ... وفى كل الاحوال يملأ الرعب جوف
تقارير مجلس الكنائس العالمى بأن نتج عن حرب الجنوب
" الهوية الجنوبية التى أوجدتها سياسة المناطق المقفولة سيؤثر عليها
النزوح للشمال لحدوث الانصهار الثقافى والجذب والإستقطاب التلقائى فى
العادات والتقاليد فى المظهر والافراح والاتراح (لبس الجلابية والثوب)
.. وإن التداخل الإجتماعى سيزيل عقدة الضيم لممارسة تجارة الرق ... وكذلك
التعريب التلقائى للنازحين بالتخاطب ، واللغة العربية هى المعبر الأساسى
للإسلام ... وكذلك الأسلمة وسط النازحين بواسطة المنظمات الاسلامية .
والخوف من بروز قيادات جنوبية اسلامية من كبرى البيوتات القبلية ... وتؤثر
الحرب بالموت (جوع ، مرض ، حرب) على قبيلة الدينكا مما يؤدى لانقراضها
إذا استمرت الحرب ، لأن معظم قيادات ومقاتلى التمرد من الدينكا " ^(٢)

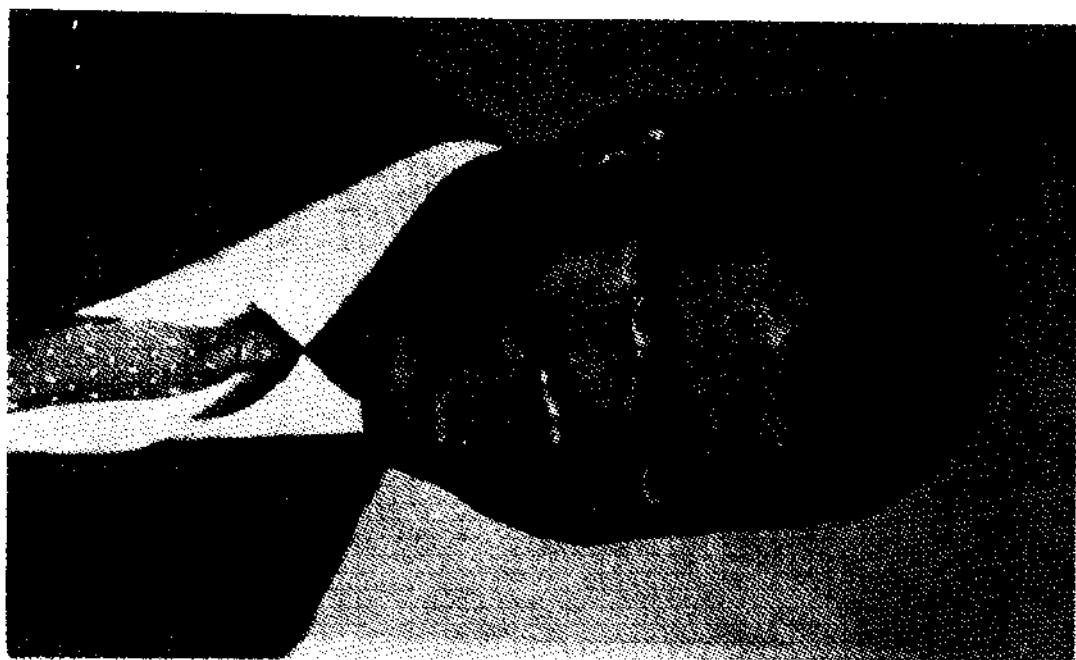
(١) تشرف اسرائيل فنياً وتقوم بتنفيذ أربعة خزانات فى الهضبة الاثيوبية على مجرى النيل
الأزرق (كادوى ، ماييل ، مندايا وخزان الحدود) وترفع منسوب تخزين بحيرة تانا مما يؤثر على
حجم مياة الفيضان فى مصر والسودان ونوعية المياه ونسبة الطمى والإطماء وخاصة اذا
استخدمتها فى رى الاراضى الزراعية ، أما فى حالة توليد الطاقة الكهربائية فان انسياب المياه
سيكون طبيعياً ، كل ذلك مقابل ترحيل اليهود الفلاشا ومد اثيوبيا بالسلاح والخبرة الفنية والعسكرية
... وتؤخر حرب الجنوب اكمال حفر قناة جنقولى ، والاستفادة من مياة المستنقعات الضائعة فى
الجنوب

(٢) مستقبل الحرب بجنوب السودان - مكتب الدراسات الاقليمية بمجلس الكنائس الأفرستيا
السوفيتية - عن الصحف الكينية

ويقول وزير الاشغال العامة والموارد المائية المصرى المهندس عصام راضى ... " بان جون قرنق اخبره بانه عند التسوية النهائية لمشكلة الجنوب يمكن ان يستأنف العمل فى قناة جونقلي ، وانه يحافظ حتى الآن على الكراكة التى تعمل على القناة سليمة ولم يتم تدميرها ، لأن فى مصلحته اتمام هذا المشروع " ... بينما تساوم اسرائيل اثيوبيا فى منابع النيل الأزرق باقامة السدود عليها ، وتمد قرنق بالسلاح حتى يقاقل ليزداد موقف مصر حرجاً فى مسألة توفير المياه وتأمينها ، فتخضع للمساواة التى طرحتها عليها اسرائيل من قبل حين وعد السادات بإيصال مياه النيل لاسرائيل عن طريق سيناء ثم أوقفت القيادة المصرية اللاحقة تلك المسامى ورفضت الفكرة .. ولم يبق لاسرائيل إلا استخدام المكر والمكيده ومحاولة المنبع بعد ان فشلت فى فائض المصب ...

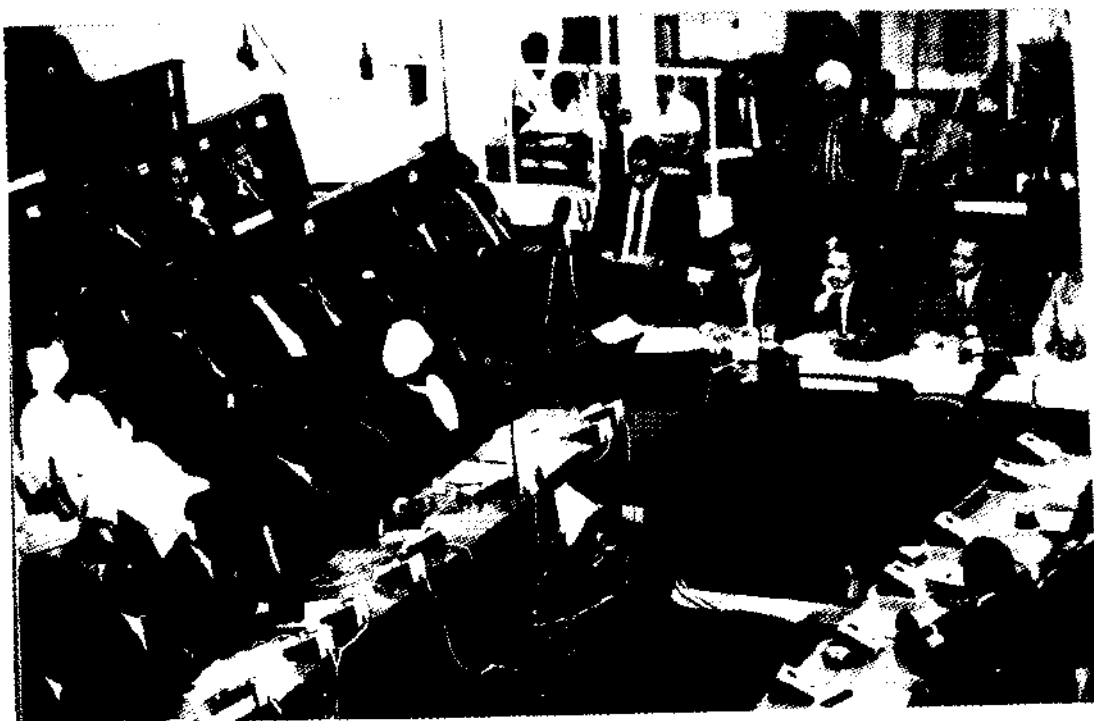
وهكذا تتعقد مشكلة جنوب السودان مع الزمن ، ويتروح الوطن تحت معارك التكتيك والإستراتيجيات المحلية والعالمية ويستمر نزيف الدم والثروة ... وليس من طريق للحل غير الوحدة الوطنية داخل اطار تعدد الانتماءات الثقافية ، وتطبيق الفيدرالية المبرمجة ، مع العمل على خلق الدولة السودانية ، بداية بالتربية الوطنية فكراً ، وقدوة ، وتربية وتعليماً ، تطوعاً وتجنيداً ، حتى يعرف المواطن الطريق لتصريف مسئولياته ، والصرف الأمل للمواد البشرية والطبيعية مع عدالة التوزيع فى الثروة وتوجيه العائد خدمة وتنمية .. بدءاً بالبنيات الأساسية وخاصة ربط الجنوب بالشمال بالطرق والمواصلات ...حتى يتحصن المواطن ضد الاختراق الفكرى والإستلاب الحضارى ، وليبنى وطنه الواحد من اجل الجميع

السيد ايفل البر



السيد وليام ديفج

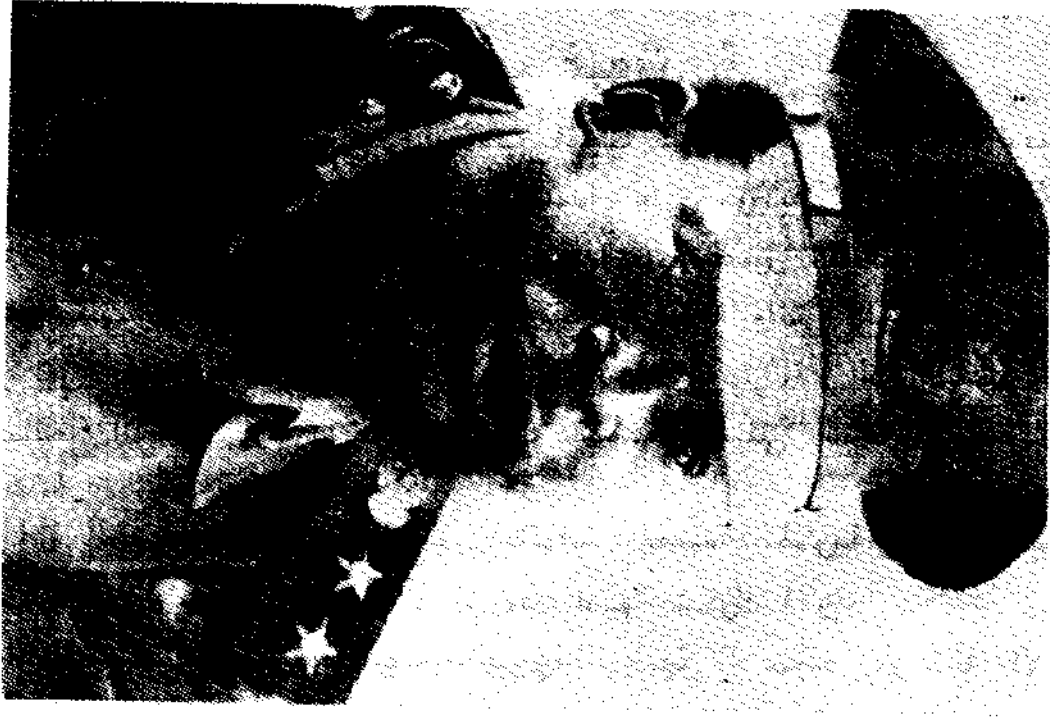




مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٦٥)

اتفاقية أديس أبابا (١٩٧٢)





العقيد جون فرنق



الفریق جوزیف لاقو

(هـ) جبهة التحرير السودانية الوطنية

" جماعة الأب غبوش "

بعد ما جاءت مايو خرج (١) الأب فيليب غبوش من السودان ليعيش ويعارض من اقطار كينيا ويوغنده ، مستقداً على مؤيديه من جبال النوبة مستخدماً صلاته مع الكنيسة العالمية ومنظمات التنصير التبشيرية ، وكون هنالك جبهة التحرير السودانية (٢) الوطنية تحت زعامته والتي تقوم على اعتقاد "عنصرى بأن المواطنين السودانيين افارقة وليس عرب ، والتي أعلن حلها بعد المصالحة الوطنية فى مؤتمر صحفى عقده فى مبنى السفارة السودانية بنairobi . . .

" إن الجبهة كانت تتشكك فى النوايا الحسنة لحكومة نميرى عندما جاءت للسلطة فى عام ١٩٦٩م ولكنه لم تعد لديها شكوك الآن . " (٣)
وارسل رسالة صوتية لجعفر نميرى أوردتها " سونا " وكالة الأنباء السودانية (٤)

(اعترافات الأب)

باسم الله العلى القدير
الى القائد المفدى وابن السودان - المحترم
تحية الزمالة فى الكفاح الوطنى . . .
وبعد :-

أنا الأب فيليب عباس غبوش أدم ، ابن السودان ... أريد ان اكتب لك صراحة ما اظن فيك والشعب السودانى ، وهذا ان دل على شىء ما هو إلا الصدق وكل الصدق فيما أقوله ...
قال المسيح عليه (السلام) ...
" من ضربك على خدك الأيمن فقدم له الايسر أيضاً " .

(١) ١٦ يونيو ١٩٦٩م

(٢) هنالك اتحاد جبال النوبة والذي يقوم على فكرة الشعور بظلم واستضعاف عنصر النوبة التتموى والإجتماعى وسبقته دعوات عنصرية بدارفور خلقت منظمات انتهت كلها الى زوال . . .

(٣) روبيتر / سونا نيروبي . .

(٤) سونا ١٩٨٧/٥/٥م .

وقال الحديث الشريف ...

" جادلوا بالتي هي أحسن " ...

واستشهداً بهذين الحديثين الكريمين أقول فعلت خيراً بالشعب السوداني
بودك له وأيضاً مبادرتك فى المصالحة الوطنية ، للذين يختلفون معك فى
الرأى وربما السياسة ، ولكن صلة الدم والاخلاق السودانى هى النبراس
والعامل المشترك فى هذا ...

فيا سيادة الرئيس أرجو ان يسامحنى الله الكريم فيما سلف وإننا فى
المرتبة الأولى سودانيين وفى المرتبة الثانية اخوان فى الوطن الحبيب ...
ان بعد هذه الكلمة الصغيرة اطلب منك قبول الاعتذار منى وأننا كما
تعلم نحب ارض السودان والسودانيين بدون فرز ، ومع هذا كله لا يعنى
اننى أعترف أمام انسان مثلى ، ولكن هذا هو من واجب الوطنية الاصيله فى
السودانيين بأن يبادر الاخ الى اخيه بالسماح مع التقدير ... "

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص فيليب عباس غبوش آدم

من يوغنده

وعاد الأب فيليب للسودان ليتحدث

" كنا نخطط للقيام بانقلاب يوم ٢٤/٥/١٩٦٩م ، وسعدنا بها .. ولكن
لاحظنا ان الثورة كانت تعبر عن وجهة نظر حزب من خلال شخصيات نعرف
مواقفها فى ذلك الحزب جيداً ... "

لقد أستمعت بكل سرور الى خطاب السيد الرئيس القائد أمام مجلس
الشعب القومى والاقليمى يوم الاربعاء الماضى ولقد كان حديثه علمياً ومدرسياً
... وسرنى كثيراً أن اسمع منه ان ارض السودان مليئة بالخيرات وخاصة
البتترول الذي يغير حياة اهل السودان الى واقع جديد ... ومن واقع
مشاهدتى للمسيرة فقد خرجت بانطباعات خاصة واستطيع أن أقول إنه لا
يوجد رئيس أفريقى يطمئن لشعبه كالرئيس القائد نميرى وهكذا
يعكس ان الشعب كله إنخرط وراء ثورة مايو ، لأنهم شاهدوا العمل
الجاد المنقطع النظير الذى قام به الرئيس القائد واصحابه ... أيضاً

ما اعجبنى فى المسيرة وجود كل الكيانات التى تشكل القومية السودانية ، وهذا ما كنت أنادى به .. ولقد اكدت المسيرة بصدق روح القومية السودانية .. وصورة أنطبعت فى ذهنى تلك التى شاهدت فيها طفلاً صغيراً بالمسيرة عند وصوله لمنصة الرئيس حياه تحية عسكرية .. ولا شك أن هذه تربية وطنية عميقة ، وتنشأة صادقة لأطفالنا .. ولقد تلمست أيضاً من التحام الشعب بالقائد عند المسيرة صدق الشعب وجديته دون تملق ... " (١)

ولما سئل : ما وهو رأيك فى التنظيم السياسى كقائد لمسيرة العمل الوطنى ؟ (٢)

" غبوش : الإتحاد الاشتراكى كمبادئ وبشكله التنظيمى الذى يستوعب الجنود والعمال والرأسمالية الوطنية والمثقفين والزراع وروافده التى تضم التنظيمات الفتوية لا اعتراض عليه على الإطلاق بل نرحب به ونرتضيه كقائد لمسيرة العمل الوطنى ... وهو النظام الأمثل لقيادة شعب السودان ... ولكننى لا استطيع فى هذا الأمر بنوع من التحليل لأننى لم اطلع على موافقه وأسس .. وسأتحدث عن هذا بعد انخراطى فيه .. " (٣)

وقام بمقابلة النائب الاول لرئيس الجمهورية أبو القاسم محمد ابراهيم وأوضح الأب " بأن المقابلة كانت من أجل المبايعة الصلبة والصادقة لثورة مايو وأهدافها وقائدها " (٤)

واحتفلت به قيادة جنوب كردفان بهيلتون (٥) الخرطوم ، فخاطب جمعها ... " ان الأخ الرئيس جعفر محمد نميرى ما سلك إلا درب هؤلاء من النفر الأجلاء وحزم رفاقه الأبرار بحزام الصراحة ، لأجل القيادة السياسية والاجتماعية والإقتصادية .. وهذا يعد لهم شجاعة وبراعة لافتة يجب ان يلتف حوله كل ابناء السودان لأجل التقدم والبناء لهذا الوطن الحبيب دون خوف أو تملق نفسى أو فكرى .. وأن شعورنا نحن ابناء الجبهة القومية المتحدة نشعر من أعماق قلوبنا بأن الثورة العملاقة قد سلكت الدرب ، ويجب

(١) الايام ١٩٨٧/٥/٢٨ - الأب غبوش (مقابلة)

(٢) الايام ١٩٨٧/٥/٢٨ (أجراها أحمد البلال الطيب)

(٣) الايام ١٩٨٧/٦/٣

(٤) الايام ١٩٨٧/٦/٣

(٥) محمود حسيب / محافظ مديرية جنوب كردفان الايام ١٩٧٨/٦/٧

ان نكون لها الحزام والرباط لكي نسند ظهرها من الخلف ونترك لها المجال
لأجل بناء الوطن الحبيب . . .

أيها السادة بعد غربة طويلة دامت ستين كثيرة نلتقى .. والآن نحن
على أرض الوطن .. الأم والأب .. وكم نحن مسرورون بهذا .. أود أن
أقول أيضاً أن التحقيق الذي حققه لنا ابن السودان البار البطل القائد بطل
السلام والإسلام جعفر نميرى ورفاقه الأبطال ، وخاصة الوحدة الوطنية . . .

وولج الأب باب منظمات الثورة

تم تعيين الأب غبوش عضواً في اللجنة المركزية للإتحاد الاشتراكي في
١٨ أكتوبر ١٩٧٨ م . . .

" ان قرار السيد الرئيس بتعييني عضواً في مركزية الإتحاد الاشتراكي
سيضيف مؤشرات جديدة الى بعد النظر الذي يتمتع به الرئيس القائد
وحكمته في جمع الشمل وتحقيق المصالحة الوطنية والتكامل بين الأخوة
الاشقاء في داخل وخارج السودان .. وان اهداف ثورة مايو العملاقة
اصبحت محورا أساسياً للعمل الوطني الجاد " (١) . . .

وتبع ذلك تعيينه عضواً في مجلس الشعب القومي بقرار جمهوري رقم
١٩٧٨/٦٣٣ م تحت رئاسة أبو القاسم هاشم ليخاطب مجلس الشعب قائلاً . . .
" دعني أولاً ان اشكر الرئيس القائد جعفر محمد نميرى لاختلاصه
الوطني ومواطنيه .. ولقد قبلت المصالحة الوطنية لأن في حياة السيد الرئيس
ورفاقه الخلاص ، ولو كانوا من المتذبذبين لما رجعت ، ولكن عرفت في حياته
إنه رجل مخلص ، وليتنا جميعاً نصبح يده اليمنى ونساعده ونشد من ازره ،
ونترك كما قال الرقيب الخلفيات . . .

وأؤكد انه سوف لن نسمح بعد ذلك لأى أحد ان يضرينا من الخلف ،
وسوف نطحنه طحناً ، ونقف مع السيد الرئيس سوف نذهب معك حيث ما
سرت واذا رجع الناس للتذبذب فلن نرجع لها ، لأن السيد الرئيس هو الذي
أتى بنا لهذا المكان . " (٢)

(١) سونا ٨٧/١٠/١٩ - فيليب يعبر لسونا عن بالغ سروره وارتياحه لسماع نبا التعيين

(٢) سجلات جلسات مجلس الشعب القومي ١٩٧٨ م .

(كلام الليل يحوه النهار)

وكفيره من سياسى الاحزاب صالح لغرض لا يبعد عن وظيفته الدينية كقسيس مسيحى .. فما ان اعلنت مايو نهجها الإسلامى وبدأت تطبق القوانين الشرعية ، حتى دبر الأب غبوش ومجموعته معارضتها بليل ، ولما أطالته يد القانون يومها وقدم للمحاكمة قضت باعدامه ، فاستخدم سياسة معاوية برفع المصحف متقدماً برسالة طلب العفو للرئيس (١)

إبتدراها " باسم الله العلى القدير "

وختمها بإمضائه " من العبد لله عباس غبوش أدم "

" لأنك زعيم مسلم واسلام في جميع الدوائر الخارجية والمحلية ، وانك

معروف لدى جميع الدول بالمسامحة والغفران ..

يا سيادة الرئيس اننا جميعاً نوحسب ما جاء فى اقوالى امام اللجنة الموقرة واعترافاتى القضائية كنا لم نسع لضرب الدولة والحكومة ، وانما كنا نود ضرب الفئة المناهضة والمندسة تحت مؤسساتكم .. انهم أرادوا ضرب الدولة والمواطنين ، وهم فئة الإلحاد . " (٢)

وعندما استجاب نميرى واعلنت المحكمة قرار العفو عنه وعن زملائه وقف فى المحكمة هاتفاً بحياة نميرى ، وطفق يهز رأسه ويبتسم ويصفق وتقاطرت الدموع من عينيه ، وأشاد بسماحة الرئيس المستمدة من سماحة الإسلام ، وأنه وزملاءه سيقفون مع القائد لضرب أى عدو (٣)

جاءت رجب ، الحزب القومى السودانى (٤) ، لينتقد الأب مايو وقائدها ويبرر أفعاله بالتقية والمعارضة السرية الداخلية ، وليبين فى مقابلة تلفزيونية (٥) كيف إنه كذب على نميرى لإنقاذ " رأس قائد هام مثله ولو ان محمود محمد طه سمع كلامه لنجا برأسه "

(١) رسالة طلب عفو من الأب فيليب ١٩٨٤/١٢/٣٠م

(٢) من رسالة طلب العفو (سونا)

(٣) سونا للأبناء ١٤٠٥/٤/١٦هـ

(٤) لم يعد يحمل المفهوم الدينى . العنصرى الجهوى كجبهة التحرير السودانية الوطنية فى انتخابات ١٩٨٦م ، وبالرغم من تركيز ترشيحه على دوائر الخرطوم اعتماداً على تحويل التركيبة البشرية فى السكان حول الخرطوم إلا إنه لم يئل إلا دائرة الأب غبوش (الحاج يوسف) وفاز جميع مرشحوه فى دوائر كردفان (٧ دوائر) ... ثم أنشقت عنه القيادة الجماعية

(٥) تلفزيون السودان ١٩٨٥/٧/١٦م

وانتهى به المطاف الديمقراطي منزوياً عن الأنظار السياسية والجمعية
التأسيسية وعضويتها ، تحت ضغط فضيحة استغلال الإغاثة والاستيراد
المشبوّه بخلط منفعة الذات ومظلة الأعمال الخيرية



الاب فيليب عباس غبوش

(و) الشيوعيون و قوس اليسار

جدل
تبنى النظرية الشيوعية على حتمية الصراع الطبقي ، حيث تقوم الدولة بعد سيطرة طبقة من المجتمع على طبقات أخر ، وتتادى بأن العلاقات البشرية قاعدتها المادة دون الروح ، وتجزم بحتمية الوصول لمرحلة الاشتراكية بوصول طبقة البروليتاريا للحكم (دكتاتورية البروليتاريا) حيث تتحقق المساواة المطلقة بين البشر فتلقى الطبقات ... وتؤمن بأن الشعب سينسى السلطة اذا ما أقتسمت معه الثروة ، وانه سيهزم دوافعه الفطرية الإنسانية اذا ما اشبعت حاجته المادية .. وعندئذ تكون مرحلة الشيوعية وعندها تنتفى الحاجة وتزول تلقائياً ، وتفقد الدولة أساسيات وجودها

تلك هي الفكرة الشيوعية التي رضعها من أدخلوها للسودان ، فى مدرجات الدراسة بمصر .. وحضر من تشبع منهم وهو يحملها بجانب تخصصه ويحمل معها طموح الشباب وغروره وفتوته ، وبه ثورة وأحلام ... وبالرغم من علمهم ومعرفتهم تخصصاً إلا انهم قد تاهوا عن المدخل الأنسب لتفجير ثورية مجتمعهم ، وأثر الفكرة والأصالة فيه - فقد جاعوا يتفننون بالماركسية اللينينية وأذان مجتمعهم يطربها تجويد القرآن ، ويعطرها صبحاً ومساءً ، صوت الأذان ...

ان نصوص وشعارات الماركسية لا تناسب المجتمع السودانى ، وتجافى عقيدته وأصالته وارثه الحضارى وتقاليده المتوارثة ، لذا فقد كان مقضياً عليهم بأن يمدفون رؤوسهم فى الرمال متقاضين عن ما يدور حولهم ، بإصرارهم على الفكر الماركسى ، أو أن يضربوها بصخر الواقع (١) ...
[وكما كتبت من قبل فإن آفة الماركسية ومرد محنتها الى إنها تدعى العصمة والشمول والمقدرة على تفسير كافة الظواهر وتقديم الحلول .. وإنها ترشد وتهدى الى سبل التغيير ، ومن هنا كان خطرها على الناشئة وعلى القصر ومن هنا كان انجذاب الطلبة والشباب الذين لم تكتمل لهم الحصانة التى يحققها الحظ الوافر من التعليم .. ولا المناعة التى توفرها تجارب العمر والحياة والسنين] (٢)

(١) يصرون على إلغاء قوانين الشريعة والتوجه الإسلامى بعد ان ظهرت نتائج انتخابات ما بعد ابريل (١٩٨٦) (٢) الاستاذ أحمد سليمان المحامى - صيحة حق جريدة الانقاذ الوطنى ١٩٩٠/٢/١م

بدأ الحزب الشيوعي مدخله للسودان فى منتصف الاربعينات عندما تكونت الحركة السودانية للتحرير القومى ذات النشاط والعمل السرى .. ثم تكونت الجبهة المعادية للإستعمار والتي تبدو للناظر قومية المظهر ولكنها شيوعية الاشراف والتوجيه ، وكان الشيوعيون فيها يدعون للإستقلال التام جهراً ويؤيدون وحدة وادنى النيل سراً ... وكذلك فعلوا نفس الموقف المزدوج مع شريكهما فى الجبهة المتحدة (الامة والإتحادى) المعارضة لحكومة نوفمبر العسكرية ، فبالرغم من ان قرار الجبهة المتحدة كان عدم الاشتراك فى انتخابات المجلس المركزى إلا ان الشيوعيين ، وتحت مظلة التكتيك المرحلى ، اشتركوا فى الانتخابات بمرشحيهم فى كل دوائر العاصمة والاقاليم ، ولم يفز منهم أحد ، وكان نصيب المقاطعين ١٢ عضواً للامة و ٢٩ عضواً للإتحادى والختمية ...

وجاءت مايو وجاعوا بها (هما زندان فى وعاء) ... فقد سافر وفد الجيش للإتحاد السوفيتى برئاسة نائب وزير الدفاع وكبار الضباط للتفاوض على الأجهزة المتطورة ، جهاز الدفاع ضد الطائرات فى العاشرة والنصف من مساء ٦٩/٥/٢٤ ووقع الانقلاب فى الثانية صباح ٦٩/٥/٢٥ . ولا تجد من يظن ان تلك احدى ضربات الحظ ، ولكنه أمر مدبر ... فقد افاد المقدم (م) محجوب برير بان الرائد (م) فاروق حمد الله وعبد الخالق محجوب قد حضرا للمعسكر بخور عمر قبيل الإنقلاب ، كما ذكر محجوب عثمان وزير الارشاد القومى (مايو) بأنه شارك فى الوزارة بناء على قرار الحزب .. وأمام محكمة مدبرى إنقلاب مايو ذكر الاستاذ محمد ابراهيم نقد سكرتير الحزب الشيوعى قائلاً : - " ان انقلاب مايو هو الموضوع الذى طرح على المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى اجتماع عقد يوم ٦٩/٥/٩ م ، وكان النقاش يدور حول تفكير بعض الضباط داخل الجيش فى القيام بانقلاب عسكرى " ...

كما ان اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى مساء ٦٩/٥/٢٥ م خرج بالرأى الغالب وهو "التأييد لتطابق الشعارات" ... ومن ضمن ما ذكره الاستاذ عبد الخالق محجوب ^(١) (ان البلاد دخلت

(١) آفاق المستقبل السياسى للسودان ... ندوة بيانات أمدرمان ١٩٦٩/٥/١٩

الآن بما لا يقبل الجدل فى نفق مظلم للغاية .. وليس هناك مخرجاً منطقياً لها سوى قيادة وطنية جديدة تترجم إرادة التغيير وتعبّر عن تطلعات الجماهير .. ولعله من الواجب ان أؤكد هنا ان حزينا الصامد يرفض فى الوقت الحالى أية مغامرة عسكرية طائشة للتغيير تستغل فيها البرجوازية الصغيرة معاناة شعبنا للتسلق الى الحكم تحت عناوين نعرف سلفاً إنها زائلة قبل أن تستوعبها جماهيرنا]

وقد دارت الندوة المشار إليها فى نفس الأسبوع الساخن لإجتماعات الجمعية التأسيسية حول الدستور الاسلامي ورئاسة الجمهورية حيث أصدرت الاحزاب بيانها باتفاقها على اسلامية الدستور ورئاسة الجمهورية فى ٢٢/٥/٦٩. على ان يكون الدستور جاهزاً فى غضون ستة أشهر وتجرى انتخابات الرئاسة فى مطلع ١٩٧٠م ... كان هذا هو الدافع الاول لتفكير الشيوعيين فى انقلاب مايو بالرغم من ان مرشح اليسار لرئاسة الجمهورية كان هو الاستاذ بابكر عوض الله ، والذي أصبح رئيساً للوزراء ووزيراً الخارجية فى أول حكومة مايوية . ولم يبعد إلا بعد أن صرح فى المانيا الشرقية بان " ثورة السودان لم تنجح إلا فى ظل تعاونها مع الشيوعيين " . وعندها ابدى الصريح عن الرغبة

ذكر الاستاذ عبد الخالق محجوب فى مؤتمر الاحزاب الشيوعية فى موسكو وتحت عنوان (التطور الثورى فى دول العالم الثالث) (١)
[وفى الحديث عن حركة التحرير الوطنى نريد ان نقدم تجربة السودان المتواضعة على ضوء الاحداث الأخيرة فى مجرى تطور الثورة الوطنية الديمقراطية .. تؤكد الخطوة التى تمت فى بلادنا فى ٢٥ مايو انه على الرغم من وجود ثورة مضادة والهجوم المتواصل من جانب الاستعمار الحديث فى منتصف الستينات فإن ميزان القوى لم يتبدل ... ظلت الحركة الشعبية تناضل بثبات طيلة السنوات الخمس الماضية حتى الخامس والعشرين من مايو حينما قامت مجموعة من الضباط الوطنيين والقوميين معبرة عن الامانى الشعبية بانتزاع السلطة من يد الثورة المضادة ونقلها الى طبقة من قوى الجبهة الديمقراطية ... بفضل هذه السلطة الجديدة فتح الطريق لنهوض

(١) اخبار الأسبوع العدد ١٢٤ - ١٩٦٩/٦/٢٦م

الحركة الثورية التي كانت تجمع صفوفها لتصوغ البديل للطريق القديم في معالجة المشاكل المزمنة التي تواجه البلاد ، أى لتضع البلاد في طريق التطور غير الرأسمالى الذى اتضحت معالمه خلال مجموع نضالات الحركة الثورية لبرنامج التنمية ، وتجديد دور جهاز الدولة وحل مشاكل القوميات في جنوب السودان ولتحقيق الثورة في التعليم ... وعلى الرغم من الامكانيات والموارد الداخلية إلا ان الدعم المادى والأدبى من جانب المعسكر الاشتراكى يلعب الدور الحاسم في بداية الامر لخلق الجو الملائم لبقاء السلطة الجديدة ، وتطور الثورة في وجه الثورة المضادة [وقد إعتبر المؤتمر خطاب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى وثيقة تاريخية اعتمدت عليها الأحزاب الشيوعية والتقدمية فى دعمها لمايو ... وتحدث أيضاً ^(١)] ان الصيغة التى عبرت عن هذه القضية صباح الخامس والعشرين من مايو صيغة سليمة من ناحية المبدأ واعنى الاعتراف بالعمل الشعبى متمثلاً فى تحالف العناصر المدنية مع الثورة فى القوات المسلحة فى مستوى السلطة .. ان هذه الصيغة نابعة من تجربة إكتوبر نفسها فالثورة الشعبية وقتها وجدت فى عناصر الضباط الوطنيين الذين رفضوا إطلاق النار على الجماهير الثائرة عنصراً مساعداً لإنهاء الدكتاتورية العسكرية ولكن ثورة اكتوبر لم تصل الى نتائجها المنطقية لان القوى والسلاح ، على الصعيدين الشعبى والرسمى ، كانا بيد الطبقات الرجعية ولهذا فالتحالف بين حركة الجماهير الشعبية والقوى الوطنية والثورية فى القوات المسلحة امر منطقى ظل يفكر فيه كل حادب على مستقبل وطننا .. فتورة الجماهير الشعبية بدون سلاح يحمىها معرضة للانتكاسة ، كما ان العمل المسلح بلا جماهير شعبية لا يخرج من اطار تبديل فوقى فى السلطة الى اطار انقلاب السلطة] .

(كمن يرتجى هطراً بغير سحاب) ...

جاءت مايو وفى مجلس قيادتها ثلاثة ضباط شيوعيون ملتزمون ، وعلى رأسهم وزملائهم نميرى ، والذى هو فى رأى بعضهم انه الاضعف واللامنتمى سياسياً ، مما يساعد على ازاحته ، ولكن كائن به قد استوعب تجربة النحاس

(١) عبد الخالق محبوب - اخبار الاسبوع ١٤١ - ٢٣ - ١٠ - ١٩٦٩م

باشا والذي اختارته الأغلبية الوفدية كخلف لسعد زغلول فى رئاسة حزب الوفد زعماء بأنه الأضعف فإذا به صقر القعة بعد ان أبعد عنها الجميع تدريجياً .. كون الشيوعيون والبعثيون والناصريون الرصيد الشعبى لمايو وكان مهرجانهم السياسى الاول موكباً بميدان الشهداء بالخرطوم فى الثانى من يونيو ١٩٦٩م ، حيث خاطب جمعهم رئيس مجلس قيادة الثورة والشفيع احمد الشيخ أمين عام اتحاد العمال السودانى ومساعدته الحاج عبد الرحمن .. ونادوا بأن مايو ليست ثورة للجميع وإنه لا مكان لأعدائها بين صفوفها ، فى ثورة تقدمية ، وأعلنوا بداية هيمنة القوى التقدمية على الجهاز النقابى والاتحادات المختلفة .. وعقد إجتماع مجلس السلام العالمى ، ودعيت نقابات عمال العالم للعاصمة الثورية الخرطوم وخاطبهم سكرتير اتحاد نقابات عمال السودان ونائب سكرتير الاتحاد العالمى للنقابات (١) " الحركة العمالية تعيش احسن ظروف اتاحت لها بفضل الانتصار العظيم الذى حققه الشعب صبيحة الخامس والعشرين من مايو " ونادوا بالردع والتصفية باستخدام العنف الثورى مع اعداء الثورة والشعب ومعارضى مسيرتها من الرجعيين .

" ثورتنا .. ثورة مايو .. ثورة وليدة جديدة .. لكنها على النقيض من أكتوبر قد ولدت باسنانها

نريد لثورتنا أن تبقى ولسوف تبقى لآلف سنة مقبلة حيث يستطيع احفادنا ان يقولوا .. ان هذا الجيل جيل ثورة مايو .. وجيل أكتوبر ... جيل نميرى ورفاقه فى جيشنا الباسل وفى قوى شعبنا الثورية خلق لبلادنا الحياة وصنع لها المستقبل .. " (٢)

واوصى التنظيم الاشتراكى للأستاذة السودانين بجامعة الخرطوم فى منشور له فى ١٩/١٢/٦٩ . بابعاد سبعة عشر استاذاً جامعياً بحجة انتمائهم للأخوان المسلمين أو معاداتهم للقوى الثورية التقدمية ... ونادوا بتأميم الصحف ومصادرتها ..

" ان عيب تلك الصحف (٣) لا ينصب على حقيقة إنها ملك الافراد بل

(١) الاحرار ٢٥/٢/١٩٧٠م - الشفيع احمد الشيخ ،

(٢) دروس فى الثورة (الهادى والصادق وشركاهم ليمتد) الرشيد نايل .

(٣) بيان الحزب الشيوعى السودانى ١/٩/١٩٧٠م .

لأنها تتجه بصورة أو بأخرى وبمستويات مختلفة خلال عمليات الصراع الإجتماعى وجهة تخدم مصالح متعارضة مع الثورة الديمقراطية فى بلادنا ... إن انتقال أمتياز هذه الصحف الى يد الدولة يجد الترحيب من هذه الزاوية ونعتبرها خطوة انتقالية لوضعها فى يد قوى الجبهة الوطنية الديمقراطية بوصفها التحالف السياسى الحتمى فى هذه الظروف

ولكن هذا لا ينفى إنه من الممكن فى هذه المرحلة الثورية ان نقدم صحف ومجلات تمتلكها شخصيات وطنية تقدمية .. فيمثل هذه الشخصيات التى لا تنتمى الى تنظيمات سياسية يمكن ان تظهر فى هذه المرحلة ويمكن أن تنضم للجبهة الوطنية الديمقراطية وهى ليست مستقلة عن مجموع الصراع الاجتماعى والطبقى بل منازاة الى جانب الثورة الوطنية الديمقراطية " وشارك الشيوعيون والبعثيون والناصريون فى وضع الميثاق الوطنى (١)

والذى يمثل فكر ثورة مايو قبل ميثاق العمل الوطنى ... " إن عدداً من الأعضاء اقنعوا انفسهم مسبقاً أننى منطلق من مبادئ ايدولوجية معينة وتصحيحاً لما قاله حسن عبد الماجد أقول أنا اشتراكى عربى وليس من حزب البعث ! " (٢)

" وهكذا أقدم الضباط الأحرار والجنود على الدخول بالنضال الشعبى فى مرحلة الإنجاز الوطنى التقدّمى فى الخامس والعشرين من مايو ، ولذلك لم يكن ٢٥ مايو انقلاباً عسكرياً كثلك الانقلابات التى قطعت الطريق على الحركة الجماهيرية فى عدد من بلدان العالم الثالث ولكنه على العكس من ذلك تحرك ثورى فتح ثغرة واسعة فى جدار الازمة الشاملة ان ثورة مايو تضعنا فى طريق جديد ومرحلة تاريخية متقدمة تتطلب المزيد من اليقظة والوعى والحس الثورى ... وتطلب تعميق وحدة كل القوى التقدمية بقطاعاتها الاجتماعية وفصائلها العقائدية المختلفة .. " (٣) ولما كانت الجامعات والمعاهد العليا هى مركز انطلاق المعارضة لمايو فى بدايتها فقد ادخل اليساريون التطهير فى مجتمعها ، اساتذة وطلاباً ، حتى توطد اقدامهم بابعاد غيرهم ...

(١) يلزم قادة الثورة بتخليص البلاد من التجمعات السياسية الدينية والتقليدية ، ويرفض الديمقراطية البرلمانية ، وينادى بالاشتراكية العلمية ، ويحمل قرار التحرر من الرأسمالية ...

(٢) بدر الدين مدثر - مضابط مناقشات الميثاق الوطنى ١٩٧٠م

(٣) بدر الدين مدثر - مجلة الحياة العدد ١٠٦ - ١٠/٣/١٩٦٩م

والغى تكوين اتحاد طلاب جامعة الخرطوم فى نوفمبر ١٩٦٩م واستبدل الاتحاد بسكرتارية الجبهات التقدمية والتي تتكون من الشيوعيين (الجبهة الديمقراطية) ، جبهة كفاح الطلبة ، البعثيين والاشتراكيين العرب .. وأصدر مشرف (١) الطلاب قرار تنظيم الصحف الحائطية والملصقات والندوات فى جامعة الخرطوم ، منع بموجبه النشاط السياسى الحزبى غير الاشتراكى التقدمى

و (اتخذت قيادة الثورة قراراً لاعادة النظر فى الجامعات يهدف لان تمارس جامعة الخرطوم دورها الطليعى والطبيعى كاداة من ادوات الفكر الاشتراكى التقدمى) (٢)
واسقطت توصية اتحاد الطلاب الشهيرة " بالإضراب ضد السلطة "

فساروا ليلاً حفاة ليخاطبهم مدير اليوليس من مبنى وزارة الداخلية ... (٣)
(أمس وفى ظل ثورة مايو الاشتراكية التى صححت مهام أجهزة الأمن بان جعلته فى خدمة الشعب واهدافه وتقدمه ، وصححت معها نظرة الشعب الى رجل الأمن بان جعلته فى خدمة الشعب .. أمس توجه الطلاب فى المواكب الهادرة إلى وزارة الداخلية للتعبير عن مساندتهم ودعمهم لثورتهم الاشتراكية وتحديث إليهم ولأول مرة فى تاريخ هذا البلد السيد مدير البوليس وحياتهم تحية الثورة والنضال ... وأهاب بهم أداء رسالتهم الوطنية من داخل دور العلم وستكفل أجهزة الأمن بأعداء الشعب خارج هذه الدور لسد كل الثغرات التى قد يتسرب منها الانتهازيون والرجعيون ... ان القوى الثورية التقدمية أعلنت أمس تأكيد وقوفها الى جانب ثورة مايو الاشتراكية ومساندة الخطوات التى اتخذتها السلطة الثورية لإرساء قواعد التعليم الجامعى على أسس تكفل تلاحم الجامعة والقيادة ووضع مكتسباتها فى خدمة الوطن والمواطن .. وقد تم هذا فى دحر الفلول الرجعية داخل جامعة الخرطوم وانزال الهزيمة بخططها المعادية للثورة بأغلبية ساحقة أكدت سيطرة القوى الثورية فى الجامعة " ...
وبدأ الشيوعيون فى تزيين وجه قائد الثورة ووضع المساحيق عليه لتلميعه وأرضاء غروره وادخال العجب والبطر فى نفسه

(١) د. جعفر بخيت ١٩٧٠م

(٢) بيان قيادة الثورة ١٩٧٠م

(٣) جريدة الاحرار ١١/١/١٩٧٠م

"تقديرًا لدورهما التاريخي في تفجير ثورة الشعب التي تمثل إرادة الأمة وتطلعاتها الى احداث التغيير والتزام العدالة والاشتراكية وافساح المجال بلا حدود لقدرات الشعب لتحقيق آماله ومطامحه في التقدم والتطور ... والجامعة اذا تفعل ذلك - منح اللواء جعفر نميري رئيس مجلس الثورة ونائبه بابتكر عوض الله الدكتوراة الفخرية في القانون - فإنما تكرم الثورة في شخصيهما وتؤكد إلتحامها معهما " (١)

وذهبوا اكثر لهدم الفكرة فيه بتعظيم مفكرى الشيوعية ومنظريها عندما اقنعوا النميري بإلغاء الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، واحتفلوا ببلينين ... وقد ظهر أثر محاولاتهم فى المعاناة الشديدة التى واجهها النميري منهم فى تحديد مسار فكر الثورة بمقاومة محاولات الجذب والإستقطاب المركزة " فى الاشتراكية لسنا مذهبين ولا عقائدين فى ذيل أحد لاننا نحترم بفكرنا كمشعب عريق واسع التراث هذا فى المكان الأول ... ونريد ان نأخذ من كل المذاهب الاشتراكية ما يفيد سوداننا ويوضح اسلوب شعبنا الخاص فى ذلك ليصبح مع الآخرين تراثاً للعاملين فى دنيا الإشتراكية " (٢)

وتغنوا لمايو أنبأ وشعراً وأنشيد وأغانى ..
وصنعوا من الكلمات عقوداً وأساوراً والبسوها حلة بطولة لمايو وقائدها .
قدموا " دفاتر حب لمايو " (٣)

(اهتف يا خرطومى

(اهتف حتى اشرخ حلقومى ...

(مايو .. مايو ... مايو)

(وذهبوا لاكثر من ذلك منشدين :-

انت يا مايو الخلاص

يا جداراً من رصاص

يا حبالاً للقصاص

من عدو الشعب فى كل مكان .. (٤)

(١) قرار مجلس جامعة الخرطوم فى ديسمبر ١٩٦٩م ١٢/٥/١٩٦٩م - الأحرار العدد ١٦٦

(٢) بيان رئيس مجلس الثورة ١٦/٧/١٩٧٠م (٣) كمال الجنولى

(٤) شعر محبوب شريف وإنشاد محمد وردى

وغيرها كثير في دهاليز الغناء وادب الثورة والمقاومة ، تبشيراً وذنماً ،
في كل مراحل الزواج والطلاق لمايو ، حتى وجدنا من يصف أهل الفن والأدب
بأنهم كالسكارى غير مؤاذنين فهم يتفنون لكل عابر ، ويكتبون ديباجات
الأدب وبرّيه في كل ناعق حتى إذا ما جاء آخر صحبوه إنهم

(كمن يرتجى مطراً بغير سحب) ...

هكذا عمل الشيوعيون واليساريون كطابور خامس لمايو وهي في مهدها
تحدثوا باسم المثقفين ، تقدميين ووطنيين وآخرين غيرهم ومن دونهم ...
تحدثوا باسم الضباط والجنود الأحرار ... وهتفوا لمايو باسم جماهير العمال
والمزارعين والرعاة

ثم جاءت الطامة ..

يومها دبّروا مكيدة للقائد مسرحها ندوة البرارى ، لم يخطئها تقدير أعوان
النميرى غيرهم ، عندما قدم عبد الخالق محجوب ليتحدث بعد رئيس مجلس
الثورة كمفكر اشتراكي ومناضل ... وفي ذلك خرق للبروتوكول غير مقبول ..
فعلم النميرى واعوانه أن في الأمر مكر تدبير ، وجمعوا أمرهم ...
ثم قويت مخالب مايو وأنيابها ، وبدأت الطريق للأفراد بالسلطة ...
فقد سبق أن تم اعتقال سكرتير الحزب عبد الخالق محجوب بعد أحداث
الجزيرة أبا ونفى لمصر ولم يعد للسودان إلا بتدخل من جمال عبد الناصر
وإقراره بعدم التدخل في الشئون السياسية للثورة
وتم ابعاد الضباط الشيوعيين الثلاث ، هاشم العطاء ، وفاروق حمد الله
وبابكر النور ، من مجلس قيادة الثورة في فبراير ١٩٧١م فأحس الشيوعيون
بأن ذلك نذير عهد جديد

" إن الجماهير تدرك في كل المواقع انه لولا مساندة الحزب الشيوعى
لهذه السلطة لما بقيت يوماً واحداً .. وها هي تدعو الجماهير لضربه وتحطيمه
.. ولكنه الجحود والتكر لا بسط قواعد العمل الأخلاقى للسياسة " (١)
وفي العيد الثانى لمايو أعلن النميرى حل كل واجهات الحزب الشيوعى
السياسية ... اتحاد الشباب السودانى الإتحاد النسائى السودانى ، ... اتحاد
العمال السودانى وجماعات الصداقة مع الدول الاشتراكية .. واتبع ذلك
تعطيل الصحف اليسارية ... أخبار الأسبوع ، الطليعة ، وصوت المرأة ...

(١) بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السودانى - ١٢/٢/١٩٧١م .

بالإضافة الى أن تورط السوفيت .. فى افغانستان كلفهم الكثير من الموارد المادية والبشرية مما اضطرهم للإنسحاب منها مؤخراً بعد أن ركز ذلك الموقف فى القوميات الداخلية معنى خضوع الدولة عند مواجهتها بالمقاومة والصمود ...

عندئذ نادى ميشكا غورباشوف بسياسة البرسترويكا . "سياسة الإصلاحات واعادة البناء الإقتصادية " والغلاسنوست " المكاشفة وحرية التعبير" وركز عليها كل جهوده لكى تتمهد أمامه الطريق لتغيير الفكرة الاساسية لدولة قومية ذات مصالح حيوية تود تحقيقها ضمن سياستها الخارجية . . .

تبنى البروسترويكا على السماح بتوجيه وتشجيع الإستثمار والتقنية الغربية للجمهوريات السوفيتية ، وتحويل العلاقات مع أوربا الشرقية من الهيمنة والتحكم اللامحدود الى علاقات متوازية مما ادى لإضعاف القبضة الحديدية للسوفيت على دول شرق أوربا فهبت تلك الدول لتكمل النقص فى سيادتها ، وتقرير مستقبل الحكم فيها . . .

وزار غورباتشوف الفاتيكان ^(١) لىتم أول لقاء بين رأس الكرملين ورأس الكنيسة الكاثوليكية منذ قيام الدولة الشيوعية، بعد أن رفع الحظر عن نشاطات الكنيسة الروسية . وقد اعترف بعد ذلك بأن أمه قد عمدته، وأنها زاولت الطقوس المسيحية الارثوذكسية ، وإنها تخفى الإيقونات المسيحية خلف صورة لينين فى منزل العائلة فى (بريفولين) ... وذهب مباشرة من شواطى ايطاليا ^(٢) لشواطىء مالطه حيث عقدت القمة الامريكية والسوفيتية فى مياه المتوسط بالتناوب على ظهر الطرادتين الامريكية " بلنكات " والسوفيتية " سلافاف "

... وعاد غورباشوف ليواجه نتائج البروسترويكا الداخلية مع انتفاضات القوميات السوفيتية بدءاً بدول البلطيق الثلاث ... ^(٣) ولم يستطع تطبيق مفهوم التجديد

(١) ١ ديسمبر ١٩٨٩م

(٢) ٣.٢ ديسمبر ١٩٨٩م

(٣) ليتوانيا، استونيا، لاتفيا... دخلت الصراع باعلان الاستقلال وومعركة الغاء الاستقلال

قرارات غورباتشوف ..

ما حدث فى مايو ١٩٦٩م انقلاب عسكرى وليس ثورة وان
الفئة التى تسلمت السلطة فى مايو عاجزة بحكم تكوينها الطبقي
والفكرى ان تحقق الشعارات التقدمية التى رفعتها كواجهة لدعم

الانقلاب...^(١) علما بان القاتل هو أحد واضعى الميثاق الوطنى ...
ولم يكن من المستغرب أن يعامل كل من مايو والشيوعيين رفيق دربه
بقسوة وغلظة ولؤم فقد كان الشيوعيون يشفقون على مايو عطفاً وبيطنون
لها شراً... وبالمثل كان النميرى يعلن لهم ما لا يضرر إذا
ما حيلة الرامى اذا انقطع الوتر

لم تعد الشيوعية هاجساً فكرياً لمن يتسلح ضدّها ثقافياً فقد تراجعت
عنها الصين كثيراً، ولم يعد الخبز بالأبر الصينية يعانى من منافسة تعاليم
الرئيس ماو الشيوعية فى اجراء العمليات الجراحية ... وفى شرق أوروبا
وبوصول الاحزاب الشيوعية للسلطة بواسطة الجيش الأحمر الروسى متعقباً
الجيش النازى المنهزم ، سيطرت الشيوعية على اقطار أوروبا الشرقية ...
وتكونت أحزاب الديمقراطية الشعبية بمساعدة الإتحاد السوفيتى ... والتى
حولت شعوبها بالرغم من معاناتها ومقاساتها لآلات تعمل لصالح الدولة بينما
تعيش القيادات بين الرفاهية وناعم الملبس والمأكّل والمشرب .. ونظر الشعب
للعالم الغربى مقارناً وضعه الإقتصادى فانقلب بصرهم مقتنعين بأن
اشتراكيّتهم لن تحقق المساواة المرجوة ولا الرخاء الإقتصادى الموعود ... فهبت
رياح التغيير العملية لبروستركيا غورباشوف وانهارت دكتاتوريات المجر وبلغاريا
وتشييكوسلوفاكيا ورومانيا ، وعاد الاسكندر دويشك لبراغ بطلاً ... وفى عيد
الميلاد فتحت بوابة براندنبج التاريخية الواقعة فى سور برلين كبداية لعهد
ألمانى جديد ... وفى عاصمة الشيوعية موسكو وبعد تجربة سبعين عاماً اثبتت
الشيوعية انها فكرة بعيدة عن الكمال المطلق ، لأنها تحمل ضعف وقصور
العقل البشرى وجهل الإنسان ... فقد كان من نتائجها ضعف الإنتاج ،
لتدخل الدولة المباشر فيه مما اضطر السوفيت لاستيراد الغذاء والقمح^(٢)
من أمريكا الرأسمالية . وصحب ضعف الإنتاج الصرف المستمر على النظرية
ومساعدات الاحزاب الشيوعية فى العالم مما أنهك الإقتصاد كثيراً...

(١) محمد ابراهيم نقد - جريدة الاسبوع ١٩٨٧/٦/٢٥ م .

(٢) فى شتاء ١٩٩٠ قدمت أمريكا وأوروبا الغذاء اغاثة وعونا للسوفيت وخاصة القمح واللحوم ...

الحرف والكلم ولكن بمعنى آخر

" أنما هو الاشفاق كل الإشفاق .. ان يعيش أبناؤنا وبناتنا مستقبلهم تحت سيطرة واحكام الطغاة والدجالين أمثال القيصر الروسى وقديسه راسبوتين .. أمثال جعفر نميرى وأمثاله من الأخوان المسلمين . " (١)

" إن الذين مارسوا العزل السياسى وصادروا الديمقراطية يجب ان لا تتاح لهم " حرية " والمقصود بهذا ليس تقييد الحرية .. وانما حمايتها من أولئك الذين أيدوا حكم الفرد المطلق .. وهذا بالضرورة واجب لحماية الديمقراطية والذين وأدوا الديمقراطية " (٢)

" ان تجربة ٢٢ عاماً من الحكم العسكرى فيها عظة وعبرة للمدنيين والعسكريين على حد سواء لان السودان هو مقبرة للانقلابات والإنقلابيين (٣) .. " تعاون الحزب الشيوعى وعدد من قوى اليسار مع النظام الجديد (مايو) وساندوه ولكن كان لكل هذا ظروفه ، فقد حدث الانقلاب فى وقت كان فيه الصراع قد إشتد بين اليمين واليسار ، وكان من العبط فى تلك الظروف ان يعادى اليسار الانقلاب ويرفضه .. لهذا فقد تعاون الحزب الشيوعى مع الانقلاب لكنه كان تعاوناً مشروطاً بأن يحافظ الحزب على استقلاله وعلى تنظيمه وان ينتقد ما يراه خاطئاً " (٤) ثم إن . . .

" موقفنا يتميز عن موقف السدنة وبقايا مايو .. ومن جانب آخر يركز تمايز موقفنا على نقدنا الذاتى للتساهل تجاه الأوامر الجمهورية التى أصدرتها سلطة مايو الانقلابية فى أيامها الأولى بحجة حماية الثورة وتطبيق الاشتراكية .. فلم نكشف للجماهير زيف ورياء ذلك الإدعاء ، وان هدف تلك الأوامر مصادرة الحقوق الأساسية والحريات الديمقراطية وتهميش دور الحركة الشعبية (٥) ..

(١) الميدان العدد ٢ يوليو ١٩٨٥م - الرشيد نايل .

(٢) جريدة الأيام ١٤٠٥/٩/٩ هـ محمد ابراهيم نقد (ولنهى المناخ الديمقراطى) .

(٣) الميدان العدد ١٤٤٨ - ١٩٨٧/١٢/٢٣م .

(٤) التجانى الطيب - الصحافة ١٩٨٥/٥/٥م

(٥) الميدان ٨٧/٣/١٩ - مذكرة الحزب الشيوعى حول التعديلات الدستورية . . .

وعلموا جهرا أن تطويع العسكر لإرادتهم هدف أبعد من بيض الأنوق ... عندئذ أصدر الحزب الشيوعي صريح بيانه ضد سلطة مايو داعياً لأسقاطها واحلال سلطة الجبهة الوطنية الديمقراطية محلها ... وبدأوا يدبرون أمرهم بليل حتى بداية الإنقلاب الشيوعي الدموي في ١٩/٧/١٩٧١م ... وكانت مجازر بيت الضيافة ... وإعتقال النميري بالقصر ... وهو لا يدرى أن عبد الخالق محبوب مختبئ بالقصر منذ مدة ، بمساعدة وتمهيد قائد الحرس الجمهوري الرائد عثمان حاج حسين أبو شيبة ... ولكن سرعان ما أخدمت مايو^(١) هتافهم (كل السلطة فى يد الجبهة) وعلموا إنه

(ما كل بارقة تجود بمائها ...) ...
وجد أصحاب فكرة التأميم وتصفية الخصوم ، انه قد أبعدت فكرة التأميم وطبقت الثورة تصفية الخصوم فيهم .. باعدام قيادتهم المدنية والعسكرية بعد محاكم الشجرة الشهيرة ... وهكذا أستمر نزيف فقد القيادات طرداً وموتاً ... فقد بدأ الحزب طرد القيادات منذ الأربعينات بابعاد عوض عبد الرزاق عن القيادة ، ثم معاوية ابراهيم سورج وأحمد سليمان ورفاقهما فى السبعينات .. وهكذا فقد الحزب أوائل قياديه ، وصحب بعضهم موكب مايو حادياً ورائداً واحكمت السلطة المايوية قبضتها على كل الجبهة وسارت قوافل التأييد لمايو بدونهم وبغيرهم ، وبعدوا عن قيادة النقابات العمالية والمهنية ... وشاء القدر أن توصى نقابات العمال بعد أن ذهبوا وذهبت مايو...
" إن الشفيح خائن وعميل ، وقد أتخذ الحركة العمالية كأداة لضرب الديمقراطية فى ٢٥/١/١٩٦٩م (٢)

وينعقد المؤتمر القومى التأسيسى للإتحاد الاشتراكى السودانى فى ٢/١/١٩٧٢م ليحيز فلسفة الثورة وخططها بتقديم وإجازة ميثاق العمل الوطنى ... وتوج النميري رئيساً بنسبة ٩٩.٩٪ للولاية الأولى ، كيف لا وقد تغير الهاتفون وجاعوا بسحر جديد ...
وتدور الأيام وبالرغم من تبدل انغام الفكر المايوى وتبدل أماكن واتجاهات مؤيدية ، يظل الشيوعيون واليساريون فى عرف مايو بعض أعداء الشعب ومن أكبر المعوقين لعجلة التنمية فى سودان مايو ..
وتفرقوا ولم يخرجهم من مخابئهم إلا رجب ... وجاء نفس الأشخاص المناير

(١) دبر الاسلاميون مقاومة الانقلاب الشيوعى وتزامنت مع الإنقلاب المضاد لصالح مايو ...

(٢) الاجتماع الطارئ لنقابة العمال مايو ١٩٨٥م ..

داخل اطار دولة الحزب الواحد عندما اسقط مجلس نواب الشعب السوفيتى
البند السادس من الدستور (١) ... ويبقى أمامه العمل على منافسة الغرب
الإقتصادية وبلوغ مستوى ازدهاره التقنى ومعضلة توفير الغذاء والسلع
الاستهلاكية ...

(بئس العوض من جمل قيده)

أم تكتفى البروسترويكا بإدخال مفهوم "الإصلاح" للقاموس اللغوى
السياسى العالمى، وذلك أقرب، لأن سياسة الترميم لاتصلح انهيار بنى
اجتماعية سياسية غفلت السنين عن خطأ قاعدة التنظير ... ولابد من اتساع
ثقب الجدار الحديدى الشيوعى وسياتى تيار التغيير ليلحقه بجدار برلين رغماً
عن التركيز على تبديل سلطة الحزب برئاسة الدولة، كما اقترح اندريه
ساخاروف لمجلس السوفيت الأعلى بضرورة تفويض سلطات تنفيذية لرئيس
الدولة مما يجعل الرئاسة التنفيذية محوراً جديداً للتحول السياسى فى الاتحاد
السوفيتى ... ويبدأ منبع النظرية الماركسية البحث عن التغيير شاخصاً للغرب
الرأسمالى، تاركاً سُرَاب الأمل (٢) وعزة الإثم لشعوب أضلوها ولم تزل حائرة
متخلفة جاهلة تبحث عن ظل الاشتراكية الماركسية ونعيمها بين ظلال الأدغال
والاحراش

وتجرى محاولاتها الانقلابية العسكرية للوصول للسلطة... (٣) بينما أوى
الإتحاد السوفيتى الى فراشه متعباً بعد أن أرهقته سياسة تصدير الثورة،
وأكوام هموم الميزانية والأسعار... واستبان الاتباع حقيقة النظرية الشيوعية
عندما عوى الدب السوفيتى وهو يتضور ويتلوى جوعاً يترقب من يطعمه من
وراء الحدود

(١) يمنح الحزب الشيوعى حق احتكار العمل السياسى...

(٢) يحوى بيان محاولة انقلاب ٢٧ رمضان ١٤١٠ هـ (ثورة الخلاص) ...

(٣) الفاء قوانين الشريعة اعادة العمل بقوانين ١٩٧٤ م.

(ب) اشراك حركة التمرد فى الحكم واستيعاب قواتها فى القوات المسلحة ...

(ج) سلطة تنفيذية علمانية بتكوين مجلس وزراء برئاسة بروفسير محمد ابراهيم خليل ومن وزرائه

بشير محمد سعيد (صحفى) وعبد الوهاب بوب المامى (قانونى) ...

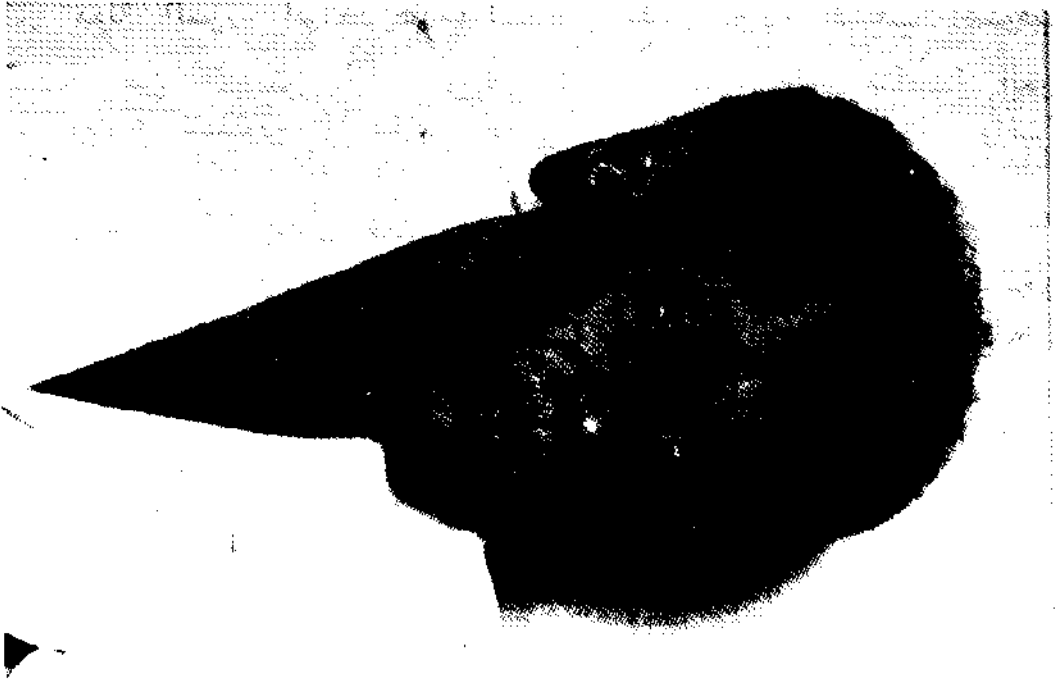
(٤) وقع الحزب الشيوعى وكتائب اليسار على ميثاق مارس ١٩٩٠ القاهرة (ميثاق التجمع

الديمقراطى المعارض لحكومة الانقاذ) ... وتورطوا فى المحاولة الانقلابية الاولى السابقة لتوقيع

الميثاق (أمه وحزب شيوعى)، وحملوا وذر المحاولة الثانية التى اعدم فيها ٢٨ ضابطاً (بالخدمة

والمعاش) رمياً بالرصاص بعد محاكمتهم ميدانياً فى أواخر رمضان ١٤١٠ هـ (الختمية والاتحاد

الديمقراطى، الشيوعيون، البعثيون والناصريون .. وحركة التمرد) ...



الاستاذ محمد ابراهيم نقد



الاستاذ عبد الخالق محبوب

(ز) الجمهوريون

حصان طروادة ، و مركب الإنقاذ

..... ظل الجمهوريون أن تحقيق حلمهم السياسى وفكرتهم المحمودية

الجمهورية يبدأ بمشوار مايو...

" واصبح الناس فى ٢٥ مايو وقد تسلم الجيش السلطة واسقط فى يد الطائفية المتآمرة ، وكان هذا بمثابة إنقاذ يشبه ما جرى فى صبيحة ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م كما سبق ان بيّنّا، ولقد جاء تقويم الجمهوريين لثورة مايو عندئذ " بأنها حالت بين الطائفية وبين الإستئثار بالسلطة وفرض استغلالها للشعب باسم الدستور الإسلامى المزيف"، ولايزال الخطر الطائفى مستتراً رغم ما اصاب تنظيم الطائفية من ضربات ..

ولقد اعتبر الجمهوريون ثورة مايو طرفاً منهم حيث التقت خطاها مع خطاهم ، فقد ناهض الجمهوريون الطائفية منذ نشوء فكرهم ، ودعوا الى اللامركزية والحكم الإقليمى منذ الخمسينات ، وكانوا يرون ضرورة التركيز على التنمية الإقتصادية وكل أولئك اسهمت فى انجازها ثورة مايو وبجهد مثمر ومن هنا جاء تأييد الجمهوريون لثورة مايو ، وقد دافعوا عنها فى ساعات الشدة بصدق واخلاص ووعى "..... (١)

وحل الجمهوريون حزبهم تأييداً واعترافاً بقرارت مايو...

" نحن ومايو على طريق الثورة المرتقبة .. ونحن الجمهوريون قد سعدنا

بمايو وقررنا تأييدها "..... (٢)

" بُعيد ٢٥/٥/٦٩ قرر الجمهوريون حل الحزب الجمهورى التزاماً بقرار السلطة الجديدة التى جاءت فى ساعة الصفر والبلاد على شفا الهاوية وقد بلغ الدّجل السياسى باسم الدين ذروته "..... (٣)

وكانوا يستأثرون بقرب مايو ، ويعملون على إبعاد اعدائهم السلفيين ويرون فى المصالحة خطورة على الثورة لأنها تمكن معارضى فكرتهم وسيفقدون

(١) موجز تاريخ الحركة الجمهورية ، اعداد عبداللطيف عمر، (رفيق محاكمة محمود وأعلن توبته)

(٢) الطائفية تتأمر على الشعب -الجمهوريون سبتمبر ١٩٧٥م** (٣) الطائفية تتأمر على الشعب- ص ١٠

الإنفراد بحرية الحركة والدعوة التي أتاحها مايو لهم ...
واصدروا كتاباً يعارض لجنة مراجعة القوانين لتتماشى مع الشريعة
الإسلامية ... " لجنة مراجعة القوانين لن تفلح إلا في خلق بلبلة " ...
وتحدثوا عن كتاب نميرى " النهج الاسلامى لماذا " ووجدوا فيه ضالتهم
الفكرية لاحتواء السلطة

" إن النهج الإسلامى عند نميرى إما يختلف اختلافاً أساسياً وجوهرياً
عن الفهم الدينى السلفى والذي يمثله الدعاة الاسلاميون كالصادق المهدي
وحسن الترابى والمؤسسات الدينية كالجامعة الاسلامية والشئون الدينية والقضاء
الشرعى ...

كتاب نميرى لم يجرى لتحول فجائى فى خط مايو أو كتطور معزول عن
مواثيق وانجازات مايو إنما هو فى الحقيقة اطار عام لفهم دينى متقدم
اتجهت مايو منذ قيامها فضمنته مواثيقها وانجزت على طريقه شتى
الانجازات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وكان نميرى يعبر عن هذا
الإطار العام للفهم الدينى المتقدم فى العديد من خطاباتة ... " (١)

" كتاب نميرى انما يقدم اطاراً عالياً للبحث الاسلامى يختلف أساسياً
وجوهرياً عن الفهم الدينى السلفى السائد ، فنميرى يصف حال المسلمين
المعاصر بأنه أقرب الى الجاهلية فيدعو الى التربية التى تبدأ قبل القانون
وتصحبه وتستعين به ، وإلى تجديد الدين بحيث يستوعب القانون المتغيرات
المتطورة ولا يتجمد عند النصوص ، ويرى ان تبدأ الدعوة الى الاسلام كما
بدأت أول مرة بالاقناع لا بالاكراه ، ويرتضى الأساليب الفقهية الوعظية فى
الدعوة الإسلامية ويدعو الى مواجهة الفكر بالفكر ، وإلى قيام مجتمع
اسلامى موحد لاتفرقة دينية أو جنسية فيه ويرفض النظام الرأسمالى ويتجه
لإستلهاهم كل ذلك من روح الإسلام ...

ويقابل هذا الإطار العام للنهج الاسلامى فى الجانب الآخر ، الفهم الدينى
السلفى كما يمثله الدعاة الاسلاميون كالصادق المهدي والترابى وكما تمثله

(١) نميرى والنهج الاسلامى والدعاة السلفيون ص ١٢ .

المؤسسات السلفية كالجامعة الاسلامية والقضاء الشرعى والشئون الدينية ، وهو فهم يتعجل تطبيق احكام الشريعة بغير أدنى اهتمام بمسألة البعث الإسلامى الذى يتوفر على التربية والتوعية ، ثم هو فهم يتجمد عند النصوص ويأخذ بصورة مشوهة شريعة الجهاد ويقوم على اساليب الارهاب الدينى وبالاساليب الفقهية ويعارض حقوق المرأة والاشتراكية ... (١)

وكان الجمهوريون لا يرون بديلاً لمايو بل ظلوا يصعدون كتبهم تأييداً لكل قانون تصدره

" انما يهدى هذا الكتاب مرتين !!! (٢)

هو أولاً يهدى للشعب السودانى الكريم ..

" وهو ثانياً يهدى لسلطة مايو الموقرة "

" كما نرى ان نظام مايو هو خير عهد الحكم الوطنى على الإطلاق بما انجز سياسياً واقتصادياً وبما ينتظر منه ان ينجز وبخاصة فى مجال التوعية الشعبية " (٣)

وفجأة يجد الجمهوريون انفسهم امام الشريعة ... وتبدأ بيانات الشك والتبرؤ ... " ان النظام يتحلل ويحاول الآن الابتعاد بنفسه عنا ونحن مانزال على قبولنا بمبادئ الثورة وأهدافها التى يحاول النظام الانحراف عنها . وجاءتهم الطامة الكبرى ببيانهم الذى قدموا به للمحاكمة " ... (٤)

لقد ظللنا نؤيد مايو منذ ٢٥/٥/٦٩م وإلى ٢٥/٥/١٩٨٣م مراعاة منا لمصلحة البلاد العليا حيث كانت مايو تحترم هذه المصلحة بانجازاتها فى ابعاد الطائفية عن السلطة وفى الوحدة الوطنية والتنمية واللامركزية ثم اخذت مايو تسير فى الظلام منذ إعلانها قوانين سبتمبر ١٩٨٣ " (٥)

(١) نميرى والنهج الاسلامى والدعاة السلفيون - الجمهوريون ص ٨٧ -

(٢) كتاب من قانون الطمانينة (١٩٨٣)

(٣) ... بديل عن مايو (١٩٨٠) ص ٦

(٤) ١/١/١٩٨٥م . (٥) بيان الجمهوريين ١١/٨/١٩٨٤م

مجير أم عامر

أجار الجمهوريون مايو ودافعوا عنها دفاعاً مستميتاً... ودعوا الشعب لتأييدها فى بياناتهم

" ان هذه السلطة فى جوهرها وفى ايجابياتها لا يعدلها اى نظام حكم سابق ولا نظام حكم لاحق يقوم على الطائفية أو يقوم على الشيوعية ... ولذلك فان على شعبنا وفى طبيعته العمال والمثقفون ان يعوا هذه الحقيقة .. فإنهم ان فرطوا فى هذا النظام فسيخلون الطريق لحكم الطائفية لا محال وسيفقدون كل مكتسباتهم فى الحرية وفى فرص الرخاء والتقدم .. وسيجدون انفسهم فى سجن كبير تحصى فيه انفسهم وتخلق افكارهم بل وتزهق ارواحهم باسم الدين الذى تدعيه الطائفية ويدعيه الاخوان المسلمون وهو منهم براء.."

وخاب أمل الجمهوريين فى مايو وقدمت قيادتهم للمحاكمة تحت المواد ..

٩٦(ط) عقوبات
(نشر واذاعة بيانات كاذبة ومغرضة بقصد تضليل الرأى العام أو

إثارته ضد السلطة) ٩٦ (ك) عقوبات
(حيازة أو اعداد أو الإسهام فى اعداد محرر أو مطبوع أو تسجيل يتضمن اخبارا أو بيانات كاذبة أو مغرضة أو مادة تتضمن هجوماً على السلطة أو تحرض على الثورة عليها أو تنظيم أى عمل عدائى ضدها)

١٠٥ (١) عقوبات

(إثارة المعارضة والمخالفة للقانون أو ضد أمن الدولة أو إنشاء أو تأسيس أو إدارة جمعية أو حزب أو هيئة أو منظمة أو تنظيم سياسى محظور بغرض تفتيت الوحدة الوطنية أو معارضة السلطة .)

٢٠ (١) من قانون أمن الدولة ١٩٧٣، حيازة منشورات ضد أمن الدولة ..

وتجىء حيثيات الحكم بشأن محمود محمد طه وآخرين (١)

" لكل ذلك تقرر المحكمة ادانة جميع المتهمين تحت المادة ٩٦ عقوبات بفقرتها (ط/ك) وادانتهم ايضا تحت المادة ١٠ عقوبات و٢٠ (١) من قانون

(١) تلاه القاض حسن ابراهيم المهلاوى ، قاض المحكمة الجنائية رقم (٤) أم درمان

أمن الدولة ذلك بناء على المستند المقدم امام المحكمة وبناءً على إعتراقاتهم ، وحتى يتعظ غيرهم من أصحاب الدعاوى الهدامة فإن ... المحكمة تحكم عليهم جميعاً بالاعدام شنقاً حتى الموت وان يكون لهم الحق فى التوبة والرجوع عن دعوتهم الى ما قبل تنفيذ الحكم ، وترفع الاوراق لمحكمة الإستئناف للفحص والتأييد ويبقى المتهمون بالسجن .

وقدمت معها الوثائق التى تحمل آراء مجموعة من المؤسسات الإسلامية والعلماء حكم محكمة الردة (محكمة الخرطوم الشرعية ١٩٦٨م)

وقرار مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر (١٩٧٢م)

والمجمع الفقهي الإسلامى - لرابطة العالم الإسلامى (١٩٧٣)

وتحدث نعيمى مؤيداً العقوبة ، ومحذراً من تدخل بالاتصال به شخصياً

لتخفيف عقوبة الإعدام ، ومن تدخل للتأثير على سير العدالة ..

" لقد عكفت على دراسة هذه القضية ومستنداتها على مدى ٢٧ ساعة

متصلة مستعيناً بالله وكتب الفقه والقانون ومستشيراً ومستخيراً ، فلم أجد

لمحمود محمد طه وحزبه مخرجاً ، ولا شبهة تدرأ هذا الحكم الجرى الذى

لايجوز لحاكم ان يعفو فيه أو يتنازل عنه ولا لشخص ان يشفع فيه

ومن تسول له نفسه ان يتدخل فى عمل العدالة فسيكون جزاؤه

العقاب المناسب أياً كان شأنه ... فالجميع سيواسية امام القانون وكل من

حاولوا التأثير فى احكام العدالة عليهم ان يعلموا انهم سيساءلون قانونياً ،

وهكذا سيحصدون ثمار جبنهم ونفاقهم " ... (١)

ورفض محمود الإستتابة والرجوع عن دعوته " رسالة الاسلام الثانية " (٢) وتم

اعدامه شنقاً بسجن كوبر بحضور جمهور المواطنين واصحاب محكمته ودعوته ،

(١) جعفر نعيمى ١٤٠٥/٤/٢٨هـ .

(٢) تقوم جدلية الفكرة الجمهورية على :-

(أ) ان آيات القرآن (أ) فرعية مدنية قامت عليها الرسالة الاولى ، وفيها عاش المعصوم وحده

الرسالة الثانية وبقيت أمته (أبو بكر فما دونه) فى مرتبة الايمان .. (٢) آيات أصول مكية وستقوم

عليها الرسالة الثانية ، وبالرغم من ان الرسول (ص) كان رسول الرسالتين الا انه فصل الأولى

←

والذين أعلنوا التوبة والرجوع عن الدعوة ، أطلق صراحهم فيما بعد ...
واستبان الاتباع ان الكل ملاق ربه مماتاً ... وأن وحدة المصير أقرب
فهماً للأذهان من الإحلال ووحدة الوجود ... ولزموا الصمت وغشيهم سكون
الدعوة شهوراً ، وربما فتورها المتوقع دهوراً

لكنهم يحاولون

ولما جاء رجب خرجوا عن صمتهم وتكلموا ببيان مطالبين حكومة
الانتقال .. " الغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م واعتقال ومحاكمة كل ممن كان مطية
لنميرى فى اذلال الشعب وقهر المعارضين وتشويه الإسلام وانتهاك حرمة
القضاء والقانون " . (١)

وأجمل الثانية والتي يقتضى أمر تفصيلها فهماً جديداً للقران من رسول الرسالة الثانية (هو
رجل اتاه الفهم منه فى القران ، وأذن له فى الكلام] والذي سيأتى فى أوانه ...
(ب) وفردية ارتقاء السلم السباعى المؤدى للرسالة الثانية (الاسلام الأول ، الايمان ، الاحسان ،
علم اليقين ، علم عين اليقين ، علم حق اليقين ثم الاسلام الأخير) وعلى المرتقى ان يقلد المعصوم
فى عباداته وماتيسر من اسلوب عاداته ، حتى اذا ما اتقن التقليد يصل مرحلة سقوط التقليد
ويقف عند (الأصالة) متأسياً بحال المعصوم وهنا يقف الفرد على الاعتبار ويخاطب بغير حجاب
لوصوله مقام الشرائع الفردية ، حيث " قل " تعنى " كن " فى الآية ... " قل الله ثم ذرهم فى
خوضهم يلعبون " .

(١) بيان الجمهوريين ١٤٠٥/٨/١هـ ...



الاستاذ محمود محمد طه

إخراج إلكتروني : ابوبكر خيرى

**" اقرا فى غير خضوع . . . وفكر فى غير غرور . . . واقتنع فى
غير تعصب وحين تكون لك كلمة واجه الدنيا بكلمتك "**

...

خالد محمد خالد

إخراج إلكتروني : ابوبكر خيرى

(الباب الرابع)

قوات الشعب المسلحة

شاركت القوات المسلحة الحركة الوطنية لثورة ١٩٢٤ - ثورة اللواء الأبيض - فى قيادة الكفاح والثورة ضد المستعمر ، وساهمت معها فى تقديم أول مذكرة تطالب باستقلال السودان ...

ثم تأسست قوة دفاع السودان من وحدات متطوعة بعد أن سحبت القوات المصرية من السودان

وبدأت تساهم فى القيادة الوطنية بتولى الفريق أحمد محمد قيادة الجيش .
(قوة دفاع السودان) بعد سودة الجيش وفق مانصت عليه اتفاقية تقرير المصير بين مصر وانجلترا عام ١٩٥٣ م . وشاركت فى الفترة الاستقلالية وحتى رفع العلم السودانى (رمز الاستقلال) ١٩٥٦ م بخلق الجو العام لتقديم مذكرات وبيانات هيئة النواب البرلمانين للوقوف مع استقلال السودان . .

وشاركت فى حكم البلاد التشريعى والتنفيذى فى نوفمبر ١٩٥٨ م " الحكم العسكرى بقيادة ابراهيم عبود " حتى اكتوبر ١٩٦٤ م .. وشاركت فى ثورة اكتوبر بمحاصرة الضباط الاحرار للقصر الجمهورى حتى تكوين حكومة اكتوبر الانتقالية . . .

وجاءت بـ مايو وجعفر نميرى للحكم فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ م ، وهى الفترة التى كثر فيها دخول رجالات الجيش الانظمة السياسية الحاكمة . . وبدأت قيادات الجيش تشارك على قمة الاتحاد الاشتراكى السودانى وتدلّى ببياناتها السياسية فى دفع النظام وتأييده ، بالرغم من محاولاته خلع الصفة العسكرية عن نفسه ، ولبسه مظهر الرئاسة الجمهورية والزعامة الدينية ودور الفكر والزعيم . . .

" اننا سوف نظل ابدًا الدافعين للمسيرة على الطريق القويم مع فصائل شعبنا ، لنصنع النصر لوطننا ، ونصون الوحدة الوطنية ونسعى الى ترسيخها ودعمها مؤكدين وقوفنا إلى جانب كل عمل وطنى يهدف الى رفعة

الوطن وتقدمه ورخائه تحت قيادة السيد الرئيس القائد جعفر نميري الأمنية . " (١)
" ثورة مايو تمثل التطلع الوطنى الأصيل نحو التقدم والاستقرار ودعم
الاستقلال والوحدة .. " (٢) ...

" ورغم إيماننا ان توصيتنا لاتعادل ، ما قدم من جهد ولا تساوى ما
أعطى لشعب ولا تتاسب ما بذل لجيش وماضى به لامة ، ولكنها قد تكون
دليلاً واعزازاً وتقديراً وعرفاناً لكل ما قدم وما سيقدم . " (٣) ... وبالرغم من
ان الامر يتعلق برتبة عسكرية يجب أن تكون أمر داخلى للجيش وقوانينه
واحكام الترقية فيه ، الا إن لمنظمات مايو يداً فيها ...

" وجدت التوصية استجابة فورية من الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى
ومجلس الشعب والتنظيمات السياسية وال جماهيرية والثورية . " (٤) ...

وكثيراً ما كانت قيادة الجيش هى نفس قيادة التنظيم السياسى مما
جعلها مدركة لأفعال رئيس النظام وشطحاته ، وكثيراً ما لزمّت الصمت ...
فقد ذكر نميري يوماً امام المكتب السياسى للإتحاد الاشتراكى (٥) انه لن
يتنازل عن البرنامج الاساسى الإقتصادى الذى طرحه فى ديسمبر ٨١ م وقال
" سيكون هنالك ارتفاع فى سعر السكر والدقيق والمواد البترولية خلال
الاشهر الثمانية عشر المقبلة .. وهناك زيادات ستأتى فى المواد البترولية وفى
كل شىء . وارجو ان يستمر الإجتماع برئاسة الفريق أول عبد الماجد حامد
خليل لمناقشة هذه المسائل بوضوح وصراحة واتخاذ مآثره من قرارات فيما
إذا كان البرنامج الذى طرحته صالحاً أم لا ... أو طلب تغيير الثورة
والمنظمات ، أو حتى مطالبتي بأن اقدم استقالتى ، وانه على العكس لو طلبتم
منى العودة للجيش برتبة أقل فانه يمكننى ان أعمل فى الجيش . " (٦) ...
ويستمر الاجتماع ويؤيد البرنامج ، ويقبل الرئيس ...

" ان تأييد الاجتماع لبرنامج الانعاش الإقتصادى والتزامه بتنفيذه إنما
هو اهم ضمانات نجاح هذا البرنامج وتحقيق اهدافه ، وسأظل فى موقعى

(١) بشير محمد على ، بمناسبة العيد السادس للجمهورية (سونا) .

(٢) الفريق محمد عثمان هاشم رئيس هيئة الأركان ٧٨/١/١ (سونا)

(٣) عبد الماجد حامد خليل رئيس هيئة الأركان ، ورئيس مؤتمر القادة والأركان المنعقد

١٩٧٩/٨ م ، والذي وصى بترقية نميري لرتبة المشير ...

(٤) الصحافة ١٩٧٩/٥/٢٤ م .

(٥) الشرق الأوسط ١٩٨٢/١/١٩ م

للتصدي للمؤامرات على السودان . . . (١)

وعندما أعفى أبو القاسم محمد إبراهيم من الاتحاد الاشتراكي اجتمع نميري بالعسكريين في القيادة العامة وطلب منهم ان يختاروا واحداً من (أبو القاسم محمد إبراهيم ، خالد حسن عباس عمر محمد الطيب) ليحكم السودان (٢) .. وهنا وقف عبد الماجد حامد خليل وزير الدفاع ، وأكد لنميري امام القيادة العسكرية قائلاً . . .

" ان الجيش سيظل خلف الرئيس جواً وبحراً وبراً ، وله مطلق الحرية لان يقوم بالتطهير الكامل في الجهاز السياسي والتنفيذي والعسكري . "

وعندما أعفى النائب الاول لرئيس الجمهورية (٣) والقائد العام والامين العام للإتحاد الاشتراكي وبعض ضباط الجيش سألته سونا (٤) . . .

في المؤتمر الصحفي المشترك بأسوان قلت ان التغيير جاء في اطار حركة طبيعية وعادية للتغيير ، المطلوب المزيد من التوضيح ؟

" نميري ... أولاً فيما يتعلق بالنائب الاول السابق والمناصب التي أعفى منها فالأمر بالفعل قد يحتاج الى بعض التوضيح . فأعفائه من منصبه كأمين عام للإتحاد الاشتراكي انما جاء في إطار ... تنفيذ توصيات مؤتمر القيادة السياسية والتنفيذية والذي تولى هو رئاسته وتبنى بالطبع توصياته ، ومنها إعادة النظر في رئاسة التنظيم السياسي والأمانه العامة بما في ذلك منصب الامين العام .. وفيما يتعلق بأعفائه من منصبه كوزير للدفاع والقائد العام فان ذلك جاء في إطار التصور العام للمرحلة الجديدة والتي تتطلب عطاءً جديداً من القوات النظامية وخصوصاً قوات الشعب المسلحة ، وذلك بالرغم مما أشهده للأخ الصديق عبد الماجد حامد خليل من كفاءة ومقدرة مكنته من ان يؤدي واجبه في المرحلة السابقة باقتدار واخلاص وتفانى مما استوجب تقديرى والذي عبرت له عنه في نفس اللحظة التي أعفيتها فيها من منصبه كنائب اول لرئيس الجمهورية " . . .

(١) الشرق الأوسط ١٩٨٢/١/٢٥ م (سونا)

(٢) الحوادث ١٩٧٩/٩/٧ م

(٣) عبد الماجد حامد خليل

(٤) سونا ١٩٨٢/١/٢٨ م

وفى أواخر العهد المايوى بالاضافة إلى اطاعة الأوامر ربط بين نميرى والقوات المسلحة يمين الولاء والبيعة التى أخذها عليها بعد إمامته ...
" ان قوات الشعب المسلحة والتى بايعت الرئيسى القائد على الشريعة الاسلامية وعلى الدفاع عن الوطن ستبقى على المدى حفيظة لتراب الوطن متماسكة الصفوف خلف السيد الرئيس القائد جعفر محمد نميرى ولن تسمح لاي فرد مهما كان بأن يخرق صفوفها " . (١) .

ولقى الجيش قرار مايو باستبدال معاشات الجيش برضى تام وارتياح كآمل ، كما ان المؤسسة العسكرية ومجمعاتها الاستهلاكية ، كانت توفر لهم الاحتياجات اليومية ، واعتبرهم الشعب بانهم موضع رعاية السلطة ، وان مايو تعمل لتقويتهم لحمايتهم ولم يدركوا حقيقة ذلك إلا بعد مواجهات الجيش وقوات التمرد فى الجنوب وظهور ضعف مقدرة الجيش القتالية لضعف استعداده وعدم تجهيزه بالعدة والعتاد والغذاء ...

" ان السودان يمر بظروف حرجة تتطلب تضافر جهد كل قطاعات المواطنين وخاصة ابناء قوات الشعب المسلحة ، وان مايعانى منه المواطنون من ضيق المعيشة فى الوقت الراهن يرجع فى الأساس الى ظروف خارجة عن إرادة الحكومة والمواطنين ، منها ظروف الطبيعة القاسية وما افرزته من جفاف وتصحر بالاضافة الى افرازات الازمة الإقتصادية العالمية وتدفق ملايين اللاجئين الى السودان ليقتسموا لقمة العيش مع ابنائه ... وإن هذه المظاهرات التى تشهدها بعض الأجزاء من العاصمة هذه الأيام ما هى إلا مظاهرات مضللة يقف خلفها بعض العقائديين والعملاء الماجورين الذين يستهدفون ثورة الشعب " . (٢) .

وكان نميرى لايعرف مستوى قيادة جيشه كما يزعم (٣) ...
" لم ينتقدونى .. كنا مرة فى احدى الاجتماعات ومن بين الضباط الاثنى عشرين كان اكثر من نصفهم اما غائباً او ملتزماً الصمت .. ومن تلك اللحظة اكتشفت مستوى قيادة الجيش "

(١) عبد الرحمن سوار الذهب ، وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة (امام ضباط ، صف وجنود الفرقة السابقه المدرعة) سونا ١٩٨٥/٤/٤ م

(٢) سوار الذهب ، وزير الدفاع والقائد العام ١٩٨٥/٤/٥ (سونا)

(٣) جعفر نميرى - ميدل ايست ١٩٨٢ / ٤ / ١٧ م .

ولما جاء صبح السادس من ابريل ١٩٨٥م كانت قيادة الجيش وهى المبايعة لنميرى قد خلعت بيعتها وتصدت لقيادة الانتقال . .
" لقد ظلت قوات الشعب المسلحة خلال الايام الماضية تراقب الموقف الامنى المتردى فى انحاء الوطن وماوصل إليه من ازمة سياسية بالغة التعقيد . .
ان قوات الشعب المسلحة حقناً للدماء وحفاظاً على استقلال الوطن ووحدته اراضيه قد قررت بالاجماع ان تقف الى جانب الشعب واختياره ، وان تستجيب الى رغبته فى الاستيلاء على السلطة ونقلها للشعب عبر فترة انتقالية محددة (١)

ولما عاثت الاحزاب فساداً فى السلطة ، وفرطت فى اطراف البلاد ، وساعت احوال جيشها بجنوب الوطن وضل بعضهم فى الغابات جائعاً حافياً عارياً ، واخلوا مواقعهم لضعف إمداد الغذاء والدواء والسلاح ، رفعت القوات المسلحة مذكرتها لرأس الدولة توضح حقيقة رأيها فى الحكم (٢) ، واتبعتها بمذكرة أخرى . . . (٣)

" إن القوات المسلحة تحت قيادة القائد الأعلى للقوات المسلحة لا تفوض مطلقاً مسئولياتها وصلاحياتها المنصوص عليها فى المادة ١٥ من الدستور لآى سلطة سياسية أو أمنية أخرى
ووجهت انذارها الاخير لرأس الدولة لتشكيل الوزارة وتجنب البلاد المخاطر وتكونت الوزارة

ولما جاء ٣٠ يونيو ١٩٨٩م ، جاءت الإنقاذ بانقلاب اعلن الفترة العسكرية الثالثة لحكم السودان ليكون للمؤسسة العسكرية النصيب الأوفر ، عدد سنين ، فى حكم السودان منذ استقلاله ، ولكنها بمايو الأسوأ مثلاً لحكم السودان . .
ويلاحظ ان حكومات الاحزاب كانت تعمل على تسييس الجيش ولعل القارئ يجد ذلك فعلاً وقولاً فى الأبواب المختلفة والخاصة بكل جماعة منهم فى هذا الكتاب ، ولعل ذلك يرجع الى انها اقرب السبل لتغيير الحكم .
واستلام السلطة فى السودان وفى غيره من الدول النامية ، لاستخدامها القوة فى عملية تبديل الانظمة . . ولكنها ليست بانجح السبل لاستمراريتها ونجاحها

(١) بيان القوات المسلحة صبيحة ١٩٨٥/٤/٦ م . الفريق سوار الذهب وزير الدفاع والقائد العام .

(٢) ٢٠ / فبراير ١٩٨٩م

(٣) ٢٧ / ٢ / ١٩٨٩م

فى تحقيق الاهداف الوطنية المرجوة ...

وبالرغم مما يتطلبه الانتماء للقوات المسلحة من قومية وانضباط وأمانة واستقامة ، إلا ان بعض افرادها قد مارس فى الجنوب تجارة الأخشاب ، وسن الفيل وشملت (تجارة الأطواف) نادر الطلى والمعادن وكراتين السجائر ووجد البعض فى الشمال ضالّتهم فى المال والاختلاسات ^(١) ... وذهب البعض لأكثر من استنشاق عائد المتاجرة مع دخان وأبخرة حريق الحرب لبيع عرق رفاقه وعدة جيشه ، حتى درجة الإغاثة والتموين ... كما اغدقت عليهم السلطة وإذاقتهم طعم عائد تخصيص العربات والمزارع والأراضي السكنية ... وبالرغم مما تهمله مذكرة القوات المسلحة لرأس الدولة ^(٢) فى الديمقراطية الثالثة من شوفينية ^(٣) سافرة إلا أن ما أظهرته الأحداث يدل على أن القوات المسلحة تعاني من قصور داخلى يتمثل فى افعال قيادتها السابقة للإنقاذ الوطنى كما لا يخلو الأمر من غفلة وعدم حيطة من القيادة التى خلفتها ... فإن كان فعل " من سبق " يدل على الفساد ويبلغ درجة الخيانة العظمى ، فكيف يسكت " من خلف " ويتساهل ويتسامح فى حقوق الشعب ويغدق عليهم الامتيازات حتى منحها الجوازات الدبلوماسية ... وكيف لا يحق للشعب ان يتساءل : هل أنعدم امثال هؤلاء فى قوات المسلحة ، ومن اين كانت ستاتيه معرفة افعال قادة جيشه المخزية لولا انضمامهم للمعارضة وقوات التمرد ؟ ! ...

يقول اللواء الزبير محمد صالح نائب رئيس مجلسى قيادة الثورة والوزراء فى لقائه بقيادات العمل الصحفى والإعلامى ^(٤) :
" إن الثورة قد رصدت كل تناقضات القيادة السابقة للقوات المسلحة ^(٥) ...

(١) القوات المسلحة ٩ ديسمبر ١٩٩٠م

" حوكم العقيد عبد الرحيم محمد صالح التابع لمعهد المشاة بجيبى بالإعدام و الطرد و التجريد مصادرة الممتلكات لإختلاسه مبلغ ٤١,١٦٨ مليون جنيه سودانى .

(٢) ٢٠ فبراير ١٩٨٩م

(٣) الغلو فى الوطنية (CHAUVINISM) المغالاة فى التعصب للوطن ...

(٤) الإنقاذ الوطنى الأول من أكتوبر ١٩٩٠م

(٥) فريق معاش فتحى أحمد على (القائد العام) وعبد الرحمن محمد سعيد (نائب رئيس هيئة الأركان للعمليات) والهادى بشرى (مسئول الأمن) اذاعوا بياناً اطلقوا فيه على انفسهم (القيادة الشرعية للقوات المسلحة) ...

بين ما كانوا يقولونه للضباط وما كانوا يقولونه للقيادة السياسية للأحزاب آنذاك ... واننا نملك وثائق ومستندات دامغة تفضح فساد تلك القيادة وضعفها ... وإن هذه القيادة قد فشلت عندما كانت فى السلطة فى تغيير النظام الحزبى المنهار ، وهى نفسها التى أجهضت مذكرة القوات المسلحة فى فبراير ١٩٨٩م ".....

كما جاء فى جريدة القوات المسلحة (١) القيادة السابقة للقوات المسلحة وراء الإنهيار فى مناطق العمليات المعلومات تؤكد أن العسكريين فى قيادة الجيش قاموا بتسريب التحركات العسكرية لحركة التمرد

" أعلن الفريق عمر حسن أحمد البشير رئيس مجلس قيادة الثورة إنهم فى قيادة الثورة لم يفاجأوا بموقف بعض العسكريين الذين كانوا ضمن قيادة الجيش ذلك إن معلوماتنا المؤكدة تشير الى ان هؤلاء وضمن مواقعهم فى الجيش فى ذلك الوقت كانوا على إتصال بحركة التمرد ويقومون بتعمير المعلومات الخاصة بالجيش لحركة التمرد ".....

ولئن اضطرت الظروف السياسية وواجب الإنقاذ القوات المسلحة للتصدى للتغيير ، فعلى القوات المسلحة ان توطد نفسها ، وتحارب شهوة الحكم ولذته ، وارضاء غرور النفس البشرية من حب للسلطة والإغترار بسحرها ، وأن ترضى بحسنة التغيير وادراك مركب السودان الفارق وانقاذه بوضع أسس الدولة ثم الإبتعاد عن السلطة والحكم ، والصراعات الانقلابية والولاءات السياسية ، وتتفرغ لأداء رسالتها فى حفظ الأمن القومى والدفاع عن سيادة الوطن وصون وحدته

يقول العميد عثمان أحمد حسن عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس مؤتمر الحوار الوطنى حول النظام السياسى عن دور القوات المسلحة فى التماسك السياسى فى المجتمع (٢)

" ان القوات المسلحة جزء من المجتمع تعيش همومه وتتأثر به . ومهمتها حماية حقوق المواطنين وتحقيق الاهداف والإنجازات التى أتت من أجلها ولكن الضرورة تقتضى ان تكون فى السلطة ... وعندما يتم

(١) القوات المسلحة ١٠/٧/١٩٩٠م .

(٢) السودان الحديث ٨/٢٦/١٩٩٠م .

وضع تنظيم سياسى محدد حينها تترك القوات المسلحة أمر الحكم لأبناء الشعب حسب ما يصل إليه من اتفاق لتتصرف لمهامها الأساسية
 وإنها مهمة صعبة وعسيرة أن تتلائم المشاركة فى الحكم والمحافظة على قومية الجيش بعيداً عن التعصب والتخريب^(١) . . . وفى تجربة مايو جاءت القوات المسلحة وساندت وشاركت من اتقن عملية الهدم والتحطيم لبنائها العسكرية والوطنية . . . وتقف على الجانب المضى تجربة مجلسها العسكرى الإنتقالى بقيادة المشير سوار الذهب برفضه تمديد فترته الإنتقالية ، وسلم مقاليد الحكم للأحزاب لتضيق رائحة الوفاء بالعهد الذكية وتحولها لفساد نتن وإنا لندعو الله أن يجعل ما أخفى من مصير لمستقبل الحكم فى السودان بعيداً عن الأحزاب التقليدية وقياداتها المنهكة المترهلة الخاسرة ، وأن يهيئ للمواطن السودانى الحر ديمقراطية شورية سودانية أصيلة^(٢) ، وأن يركز فى ذاكرة المؤسسة العسكرية جيداً أن شاه إيران قد فارق عرشه الطاووسى الناعم المذهب المحروس طريداً بهتاف وغضب الجماهير بالرغم من أن تقرير^(٣) لجنة الكونجرس الأمريكى للإشراف على نشاط المخابرات يقول . . .
 " إن الشاه لا يواجه أى مخاطر حقيقية لمدة عشر سنوات على الأقل ، لأنه ليس هنالك من يتحدى الجيش وهو أساس شرعيته " (٤)

(١) الفريق البشير (مؤتمر صحفى ٣٠/٤/١٩٩١م) عقب المؤتمر التأسيسى للنظام السياسى
 (دور مجلس قيادة الثورة ينتهى بعد قيام النظام السياسى فى يوليو ٩٢ . وأتمنى للمشاركة فيه ان لا اضطر للدخول فى انتخابات) القوات المسلحة ١/٥/١٩٩١م .

(٢) أجاز مؤتمر الحوار القومى حول النظام السياسى (٨/٦ - ٢١/١٠/١٩٩٠م) قاعة الصداقة . نظام المؤتمرات الشعبية خياراً لحكم السودان . . . يكون على قمة هرمه المجلس الوطنى (البرلمان الوطنى) والذى تصب فيه قمة المؤتمرات الأساسية (المؤتمر الوطنى) واللجان الشعبية (مجلس الولايات) والأمانات والمؤتمرات القطاعية على مستوى الولاية والمستوى الوطنى بالإضافة الى الدوائر القاعدية . . . ووضع ميثاق سياسى هادياً ومرشداً لهذا النظام السياسى ومؤسساً على النظام الفيدرالى والنظام الرئاسى وناصباً على أن الشريعة الإسلامية والعرف مصدران للتشريع ، ومتضمناً لب التومسيات والقرارات للمؤتمرات التخصصية المختلفة التى عقدتها الإنفاذ الوطنى منذ ٣٠ يونيو ٨٩م وحتى مؤتمر الحوار القومى حول النظام السياسى . . . وهو نظام شبيه بالنظام الجماهيرى الليبى . . . بالإضافة للدور الجغرافيا ذات الانتخاب المباشر

(٣) قدم للإدارة الأمريكية فى ٢٨/٩/١٩٧٨م . . .

(٤) هيك - مدافع آيات الله ص ١٩٩ . . .



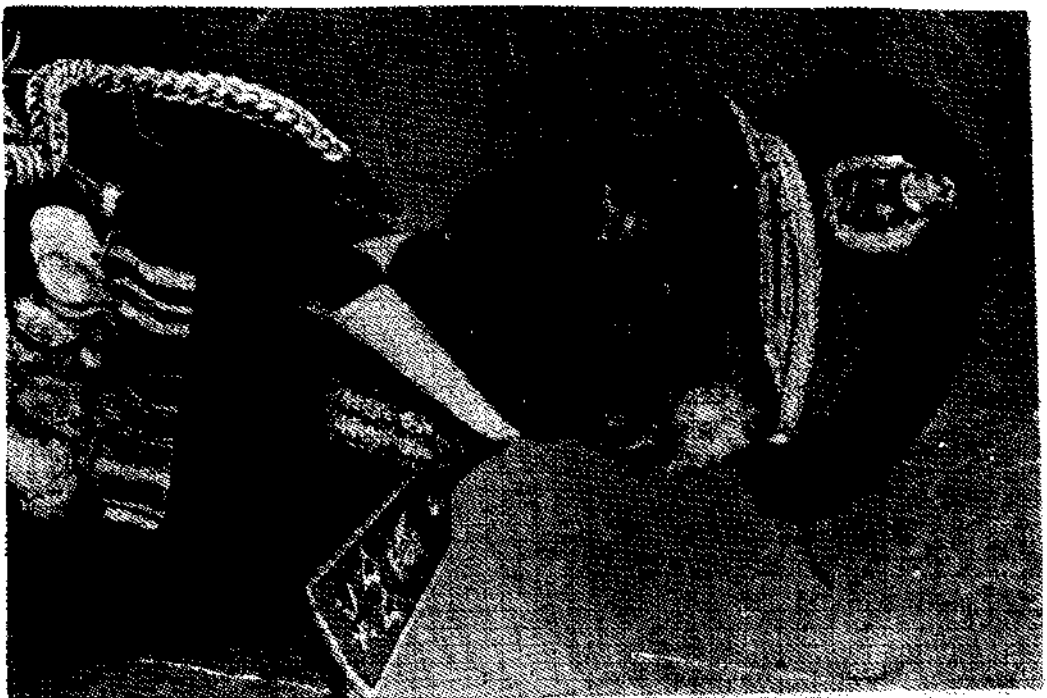
المشير جعفر محمد نميري



الفريق ابراهيم عبود



القريب عن حسن أحمد البشير



المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار

" ان الحاكم إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً
عن عورات الناس ، وتعديد ذنوبهم ، شملهم الخوف
والذل ، ولا ذوا منه بالكذب والمكر والخديعة ، فتخلقوا
بها ، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ، وربما خزلوه في
سواطن الحروب والمدافعات ، ففسدت الحماية بفساد
النيات . . . فتفسد الدولة ويخرب السياج "

مقدمة

عبد الرحمن بن خلدون

(الباب الخامس) عشواء مايو وحاطب الليل

الأمارة

يقول سيدنا عثمان رض الله عنه :
(إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقران)
ومن أقوال الفاروق رض الله عنه
" (تفقهوا قبل أن تسودوا)

وقيل :- " أول العلامات التي تدل على قوة تمييز السلطان وجودة عقله حسن اختياره للوزراء ، وجودة انتقائه للجساء وحرصه على محادثة العقلاء " . . .
وثبت إنه من أول مقومات الأمارة التكليف وإن لا يوسد الأمر لغير أهله ، لأن من الناس من يطلب الأمارة لنفسه ، ومنهم من يزاحم عليها ، ومنهم من يرشح غيره بغيره كفاءة . . مما يتطلب في القائد الأمانة والقوة والعلم ، وحكمة بها يستطيع وزن أمور الدولة ووضعها في موضعها وتمكنه من المتابعة لأن الاختيار الموفق وحده لا يكفي

قال سيدنا عمر رض الله عنه :-

" أرايت أن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل . . أقضيت ماعلى ؟ قالوا .. نعم ، قال لا حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا !! " .
ولا بد للرئيس من عقل يقيم به احتمالات الموقف ، أجودها وأحسنها ، وانفعها وأبقاها وإن كان مجتهداً فيزومه معرفة عصره والإلمام بمشاكله وتعقيداته . . كما اشترط على المجتهد الاحاطة بعلوم الشرع و " أن يكون المجتهد عدلاً مجتنباً للمعاصي القاذحة في العدالة " (١)

فقد قيل " الأمور تتشابه وهي مقبلة ولا يعرقها إلا ذو الرأي ، فإذا أدبرت يعرفها الجاهل كما يعرفها العاقل "

فاين مايو ونميرى من كل ما سبق ؟!

جاءت مايو ووجهتها " اليسار " تجمع بين الأروى والنعام ، ولقيت تاييداً من الشعب الذي كان يتوقعها أن تكون له أجدى من الغيث في أوانه ،

(١) أبو حامد الغزالي - المستمقى .

فوجدوها أجوع من " كلبة حَوْمَل " التي قضعت ذنبها وأكلته . . . وبالرغم من أن الشيوعيين قد القموها غسل الكلام وحرص المؤمل ، إلا إنها عضت اصبعهم وأدمته ، وابتعدت رؤوس قاداتهم عن اجسادها . . .

ومضت تترقب جهينة في كل ركب باحثه عن أبيها . . . وحسبته في التفكير المايوي الفطير " الأكثر التصاقاً بالواقع " كما يقول روادها د. بخيت ود. منصور والاستاذ أحمد عبد الحليم في الثورة ومنهجية التنظيم . . .

وتحدث منافقوها عن الشرعية الثورية والدكتاتورية المستتيرة ، والمستبد العادل ، وديمقراطية التوجيه

وشهدت معارك بين اجتهاد التكنوقرات ومبايعة الإمام وحوجة الإمام العالم . . . وفي كل المراحل وبالرغم من اجتهادات كُتَّاب الأمير وما تلقية كلماتهم وافكارهم على خطب النميري مما يجعله يبدو امام مستمعيه ذكياً حاذقاً وذو مقدرة على التدبير والتعبير . . . إلا إنه سرعان ما تعود لِعَثْرَها لميس ، عند الإرتجال حيث يكثر زفى الحديث على عواهنه وعندما يتلعثم اللسان عند قراءة من لا يكتب لما لا يدري ، ويكثر الغلط واللقط في اللغة والكلام ، وهو يحاول ان يزيد في الظنهور نغمة ، ويقف حائراً لا يملك لحبله شداً ولا إرخاء . . .

و (من إستترعى الذئب ظلم . .)

من أقوال نميري في السبعينات . . .

" إن الثورة التي لا يحميها إلا جهاز الامن لا تستحق اسم الثورة ^(١) .
" اننى لا ادعى ولا اطلب أن يدعى أحد اننى أملك منهجاً فكرياً هو الذى يحدد خطوات العمل الوطنى فى السودان . . ان العمل الوطنى فى السودان محكوم بأرادة الشعب السودانى / " ^(٢)
" لا ادعى فكراً ينسب الى ، ولا أهب ان ينسب الى أحد ، لا ادعى اننى صاحب مدرسة أو اننى صاحب رسالة .. اننى فى البداية والنهاية خادم لهذا الشعب منه اتعلم ،

(١) نميري ١٩٧٣/٩/٢٤م

(٢) لقاء المكاشفة ١٩٧٥/٦/٩م

والى تطلعاته استجيب والى اهدافه اندفع ، وحيث يريد لى ساكون دائماً
" ولقد ارتضيت الدستور أباً للقوانين بحيث ينبغى ان لا يتعارض ولا
تخرج عنه " (١)

يبدو نميرى للقارئ ، فيما ذكر ، بعيداً عن شخصيه فوهرر هتلر
ودوتش موسليينى ، وتصرف نابليون والشاه ووالده عندما وضع كل منهم
تاجه بنفسه على راسه كون انه ليس مديناً بذلك لاحد ... وبعيداً عن غرور
السادات فى اجابته عندما ساله الصحفى الأمريكى " هل استاذنت ريجان
فيما اتخذته من اجراءات ؟ ! "

" لو كنت مصرياً لضربتك بالرصاص " وعندما قدم اقتراحاً
بتعيينه خليفة للمسلمين (٢) بالرغم من أن النميرى قد ذكر وهو يعيش
دموع احزان موت السادات بأنه قد تخرج من مدرسة السادات السياسية ...
ولكن ما أن تداعبه السلطة وتسكره وتعميه بفعل من حوله حتى
يضعف ، وهو الذى لم يعرف عنه اعداد نفس تجمع ما بدأنا به قصته من
أركان الامارة وواجبات الامير ... ولكنه جرىء فى اتخاذ القرار وقوى الإرادة
مع الطموح والمغامرة ، الشيء الذى مكنه ان يكون ما كان ، ولو أن أبو
حيان التوحيدى يستقرىء الزمان لوجد فيه مثلاً لنظرية التناسب العكسى بين
الذكاء وقوة الإرادة (٣) .. ولو انه كان يتمتع بقوة لاسترجاع المعلومات كبيرة
ويجيد الربط بينها ويتمكن من استقراء النتائج ، لتردد كثيراً فى اصدار عدد
غير قليل من القرارات ... وتكمن صعوبة المدخل لشخصيته فى أن كثيراً
مما كتب وقرأ من خطابات هى آراء غيره وأفكار غيره كما سبق الإشارة
إليه ، والمتتبع لأقواله يكتشف إنه ذو رأيين أو اكثر فى موقف واحد ، أحدهما
عندما يقرأ من مكتوب والآخر عندما يصرف بصره عن الأوراق

أنظر كيف يختار وزراءه ومستولييه ... وكم للعاطفة فيها من نصيب
" إن المحكمة بادانتها للمتهم الاول أحمد السيد فى أربع تهم من التهم
الست التى وجهت إليه لم ترد ان تفرض عليه العقوبة القصوى لأنها تدرك
بأن المتهم الحقيقى هو النظام البائد الفاسد بأسره .. وانه وان كان المتهم

(١) لقاء المكاشفة فبراير ١٩٧٦م (٢) التضامن ١٩٨٥/٧/٦م أحمد حمروش .

(٣) من الآراء التى يصعب التدليل على صحتها قول ابن خلدون فى مقدمته ... " الكيس

والذكاء عيب فى صاحب السياسة لانه إفراط فى الفكر ... "

لم يفد شخصه مما اقترب من مفسد إلا إنه قد عجز وهو فى مركز القوة على ان يقف فى طريق الفساد المستشرى الذى فضحت بعض جرائمه هذه المحكمة ، فساد أحزاب سخرت أجهزة الدولة واموال الأمة من أجل مصلحتها العاجلة ، وفساد حفنة من التجار لم تراعى سبل الكسب الشريف ، فاندفعت فى شراة الى تجارة رابحة فاسدة .. رابحة بحساب الدرهم والدينار ، وخاسرة فى حساب الشرف والامانة .. وفساد حفنة جائرة من موظفى الدولة لم يردعهم العلم الذى نالوه بفضل ما اقتطعه لهم العامل والفالح من قوت يومه ولم تردعهم المراكز التى تبزوها فى سهولة ويسر ، لم يردعهم هذا وذاك عن استغلال سلطاتهم من أجل الكسب العاجل الحرام " (١) . . .

وكان الحكم الحرمان من الحقوق السياسية مدى الحياة ، والحرمان من تولى الوظائف العامة مدى الحياة ويشاء القدر ان يذهب نميرى وأحمد السيد حمد يتولى وزارة المواصلات ويدعى المعارضة الداخلية ، (٢) وتظل خطبة اعلان الحكم تحمل نفس العلل والأسباب لمن يريد ان يحاكم النميرى والأحزاب بعد عشرين سنة وسنة من إصدارها . . .

وعندما سألته مجلة الحوادث عن أسباب خروج ورجوع دكتور بهاء الدين محمد ادريس كانت إجابته :-

" اننى شخصياً لم اكن أحمل أى اتهام لبهاء الدين ولكنه تعرض لحملة اتهامات مكثفة ومخططة ومستمرة ، وقد قصدت بقرار إبعاده إعطاء الفرصة لمن اتهم ان يثبت اتهامه وبهاء الدين أعزل من حصانته ومجرد من حماية المنصب ، وقد مضت عدة شهور ولم يتقدم أى أحد بأى دليل على إتهامه .. وهكذا اثبت بهاء براءته كما اثبت كفاءته أيضاً ... فانا أقول بصراحة إنه فى غياب بهاء الدين عن رئاسة الجمهورية انخفضت كفاءة الأداء فى هذا المرفق الحيوى .. بل وتدنت الخدمات الخاصة بالبروتوكول بصورة ملحوظة وقد افتقد كفاءة بهاء الدين خصومه قبل اصدقائه .. وأنا أعلم ان الأكفاء والمخلصين فى أديانهم يكونون موضع اتهام للنيل منهم .. واضرب لذلك مثلاً ما حدث صباح اليوم فالمشرفون على المسيرة الخاصة بالمؤتمر الاسلامى فشلوا

(١) نميرى فى خطاب اعلان الحكم على أحمد السيد محمد وحسن عوض الله ١٩٦٩م .

(٢) انظر " الختمية والاتحاديون "

في تنظيمها ولولا وجود بهاء الدين وجهوده منذ الخامسة لما عثر الضيوف على مقاعد لمتابعة المسيرة ... إن بهاء الدين كفاءة وأمانة وعمل صامت لخدمة السودان بعيداً عن الأضواء ومتجرداً من أجل مصلحة ذاتية ولهذا فإن خروجه كعودته هو تأكيد لكفائه وأمانته^(١)

وقد سبقه السادات لمثل تلك الإجابة ...
" انتهى اعلم ان هؤلاء الناس يريدون مهاجمتى شخصياً ولأنهم لا يتجاسرون علي ذلك علناً فإنهم يدورون من حولى ليهاجموا بعض القريبين منى كعثمان أحمد عثمان . " (٢)

وحدث ان وصف رجالات الاتحاد الاشتراكي بالجبن فى إجتماعهم الذى طلب فيه منهم اختيار رئيس مكانه ، ولما جاء اليوم الثانى جاء يصف نفس القيادات و لأنهم أبقوه رئيساً . د .

" ان الاجتماع جاء دليلاً وتأكيداً على حيوية قيادات العمل الوطنى وقدرتها علي تحمل مسئوليتها وخاصة فى مواجهة التحديات . " (٣)
وتحدث د . اسماعيل الحاج موسى عن كيفية تعيينه وزير دولة للثقافة والإعلام ...

" ففى ذات خميس من شباط (فبراير/ ١٩٧٦) قررت ان أزور الامانة العامة للإتحاد الاشتراكي لتحية أخى عمر الحاج موسى فقد طالت غيبتى عنه وكنت قد عينت قبل بضعة أيام عميداً للطلاب بجامعة الخرطوم وتوفرت على وضع لهيكل العمادة واسلوب عملها وحركتها فانقطعت بعض الشئ عن عمر .. وعند باب مكتبه احسست بانشغاله فحييته من البعد وهممت بالمغادرة إلا إنه نادانى ليذكر ان رئاسة الجمهورية ظلت تبحث عنى منذ الصباح الباكر، وانهم سألوا عنى فى كل مكان ذلك ان رئيس الجمهورية كان يود ان يخطرني برغبته فى تعيينى وزيراً للدولة والإعلام ، وإنه وجه أخيراً بأذاعة التعيين ضمن تعديل وزارى سيداع تلك الليلة أملاً فى ان أقبل ذلك التكليف وفى الطريق بعربتى الى أمدرمان سمعت فى نشرة اخبار التاسعة والنصف مساء تفاصيل ذلك التعديل الوزارى . " (٤)

(١) نعيمى لندوبة الحوادث عفاف زينى .

(٢) خريف الغضب - هيكى ص ٤٤٣ .

(٣) الصحافة ١٩٨٢/١/٢٢

(٤) د . اسماعيل فى دهاليز السلطة .

ولعل ما ذكره د. اسماعيل هو ما كان يتخذه جعفر النميرى فى اختيار
أغلبية وزرائه ، ومنهم من سمع تعيينه وابعاده من وسائل الاعلام بلا سابق
استشارة أو اخطار ، ولعل النميرى وجد فى ذلك مبرراً لإحلال الاقالة بدل
الاستقالة ، الأمر الذى يفقد الوزير الطمأنينة ، ووضع الاعتبار وماكان القائد
يدرى إنه فى اضعافه لمراكز الوزراء ، وعدم العمل بمشورتهم يضعف من
مركزه هو ، ويهز ثقتهم فيه

وتحدث د. اسماعيل فى دهاليز السلطة عن سلوك الوزراء فى مجلس
الرئيس

" مع كل ما كان يبذله الرئيس نميرى لتثقيطها واثرائها بقيت
اجتماعات مجلس الوزراء روتينية مملة يتسلى فيها الوزراء فى كتابة وتوزيع
المذكرات التى تمرر لبعض الوزراء من تحت المنضدة طوال الجلسة وهى فى
معظمها مبهمه وتحتوى على نيمية أو تعليقات أو تشنيعات حول الاحاديث
والناس " (١)

ويواصل متحدثاً عن الالتزام السياسى بمايو والإلزام الفكرى
باختياراتها . . .

" ثم ان هذا كان سبباً رئيسياً - فى رأى - فى أحيان كثيرة فى
ضعف مجلس الوزراء خصوصاً فى أدائه الجماعى لأن معظم الوزراء هم
توكنوقراطيون فنيون وليسوا بسياسيين ولذلك كانت مساهمتهم الفكرية
والسياسية ضعيفة ، كما ان هذا قد جاء أحياناً كثيرة بأفراد لم يكونوا - هم
أنفسهم - يثقون فى قدراتهم فانبهروا بالموقع وحرصوا عليه وتشبهوا به ،
وفى مثل هذا المناخ كثر النفاق والتزلف وبصورة تذهل وتصدم وتحزن (٢)
ولما سألت التضامن النميرى عن د. شريف التهامى قال
" ان تقديرى للأشخاص لا يعتمد على التقارير إذ لا توجد

حواجز بينى وبين الآخرين ، و أقدر فى الاشخاص كفاءتهم
وإخلاصهم ، وعلى سبيل المثال د. منصور خالد والذى كان البعض
يقول عنه بأنه (سودانى انجليزى) عينته فى أول وزارة فى مايو
وزيراً للشباب ، لأننى وجدته انسب شخص لذلك ، وعمل معى بعد

(٢.١) د. اسماعيل الحاج موسى - التضامن العدد ٨٥ ١٩٨٤/١١/٢٤ ومذكرات لم تكتمل / فى

دهاليز السلطة

ان عرف اهدافنا وكان بعض الناس يتطوع للحديث الى عنه ولكننى كنت متأكد من إخلاصه للسودان ومقدرته التنظيمية التى استعنت بها أيضاً فى وزارة الخارجية وفى رئاسة الجمهورية .. ولما بدأ د. منصور يتحرك بدون إذننى قلت له مع السلامة .. وخلاصه القول ان الدكتور التهامى رجل كفء مخلص وأثق به وهو رجل أمين ومخلص .. " (١)

ومن مواقفه حيال الصراعات بين جهازه التنفيذى ومجلس شعبه ، ما كان من أمر الوزيرة الدكتورة فاطمة عبد الحمود ، حيث خاطب هيئة مجلس الشعب بعد ان سرد موضوع مؤسسة النقل الوطنية ..

" هنالك موضوع ثانى نود ان نلفت نظركم إليه ، والذي كانت بدايتكم فيه حكماً جانب الحق .. هذا الموضوع الثانى هو أمر اختكم فاطمة بنت عبد الحمود والذي صدر بيان من رئيس الجمهورية حوله ولا نود التطرق اليه مرة أخرى .. إلا اننا لا نريد لهذه المناسبة أن تمر دون ان نؤكد اننا اسندنا الأمر الى فاطمة وهى عزيزة كريمة أصيلة أمينة أدت الأمانة وما ضيعتها ولما وصل فى حديثه الى أنها تصرف من مالها الخاص قرأ أبو القاسم ...

" لم نخترها لرابطة تربطنا بها ولا لصلة قريى ولكن لمعرفة ودراية فى إمكاناتها ومكانتها بعد ان اختبرناها ووجدناها خير النساء بل وخير الرجال لتلك المهمة ولا زالت ثقتنا فيها كما كانت ولولا حياء فى الدين لوليناهها أمراً أعظم للصفات التى تتميز بها .. " (٢)

وبربط ما علم عن رجال الرئيس بعد سقوط مايو وأقواله السابقة وأقوال وزرائه ، نجد ان كفاءة رجاله المهنية تتقصها وضوح الفكرة المحورية لنظامه لتجمعهم كما انهم يتارجحون فى قناعاتهم بتلك الفكرة ، كما ينقص بعضهم الصدق والأمانة والتجربة العملية بقدر ما ينقص النظام نفسه من

(١) - الصحافة ١٤/١١/١٩٨٢م (التضامن) .

(٢) بيان رئاسة الجمهورية ، عند مخاطبة الرئيس لهيئة مجلس الشعب - الايام ٢٨/٣/١٩٧٩م

(لها مخطوط " نيمرى القائد الافريقى "

د. فاطمة عبد الحمود وزير الشؤون الاجتماعية د. ابراهيم العدوى مدير جامعة القاهرة -

(الخرطوم)

كادر ملتزم مقتدر وحادب على تنفيذ برنامجه وحريص على إنجاحه .. وكان موقف الرئيس فى ذلك بين الإفراط فى الثقة والتفريط فى المتابعة ، مما يظهره بأنه لم يكن أبداً قدوة فيما يأمر به وينهى عنه ، ولم يكن حفيظاً على حقوق رعيته ، ولم يتزل الناس منازلهم ولم يوسد الأمر أهله ولا يحترم مؤسسات نظامه بالرغم من ادعائه بأنه يضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ...

" كما حذرت غير مرة بأن القيادة إنما هى موقع مرصود للمحاسبة والمؤاخظة بما يتعالى على الأداء وعثراته الى المسلك الشخصى لو شابهت الهفوات أو الأخطاء ، ذلك بأن الأخطاء للقيادى فى مسلكه إنما هى خطايا بما تعكسه وبما توحى به بالنسبة لمن هم دونه باعتبارها تكاملاً وليس تناقصاً مع ما وصل إليه ..

إن الأمانة لا تتجزأ ذلك ان عفة اللسان وطهارة اليد ويقتضى الضمير ونقاء السريرة ووضوح الفكر وكفاءة الاداء إنما هى جميعاً مقومات تتكامل لدى القيادة القادرة على حمل الأمانة وتحمل تبعاتها ، وإن انتفاء أى منها إنما هو انتقاص من القدرة كما انه تشويه للقدوة التى ينبغى ان يكونها القيادى مهما خلصت نواياه ومهما بلغ جهده . " (١) ...

وبالرغم من كل ذلك يتباهى جعفر نميرى فى عامه الأخير بقياداته ... " ومن الانجازات البارزة للثورة انها افرزت اعداداً كبيرة من الشخصيات القيادية وفتحت الباب على مصراعيه لتقلد المراكز القيادية ، ومن مبادئنا اننا لا نعتمد على الشهادات المدرسية وحدها ، فنحن نحترم الشهادات ولكننا نحترم أيضاً شهادات الحياة والعمل الميدانى . " (٢) وجاء رأى احد وزرائه الذين شهدوا سقوط مايو وهم بين الوزارات ، وبالرغم من إنه لم يدم فى الوزارة إلا بضعة شهور ، إلا انه رجل إدارة ومعرفه ، مما يجعلنا نعتقد بأن النميرى قد فارق الرئاسة وهو فى الصفات المذكورة فى كلمات وزيره (٣) ...

" من مزايا الرئيس إنه يملك مقدرة كبيرة على تحقيق درجة من الإلفة والإنطباع الحسن المبني على المشاعر الحميمة لزاثره ، وله قوة احتمال

(١) رسالة القيادة الرشيدة من رئيس الجمهورية للوزراء وكبار المسؤولين فى الدولة .

(٢) نميرى - التضامن ٢٦/٥/١٩٨٤ م .

(٣) د. حسن ابشر الطيب - مقابلة كوبر ٤ شوال ١٤٠٥ هـ .

كبيرة على العمل ويملك المقدرة على الإستماع ويترك الفرصة كاملة لمحدث حتى إكمال حديثه ، وله مقدرة أكبر على استرجاع المعلومات المتلقية ومناقشتها وتداولها فى حينها . . .

ومن نواقصه اعتماده السرية فى قراراته ، ويعنى كثيراً بالتفاصيل الدقيقة ويضئ كثيراً من جهوده المبذولة فى أمور يمكن ان يؤديها غيره ، وتتقصر المقدرة على الربط بين الأفكار وانسياب الحديث ، ويتعامل مع الرئاسة بإعتبار شخصى وليس كمؤسسة دولة
(ماله ثاغية ولا راغية .)

ذلك نميرى فى فن الحديث ، وتكلم حتى أراك ، فإنه اضعف ما يكون معرفة سياسية أو مقدرة تعبيرية ويغلب عليها فقدان هية الرئاسة فى مقابلاته الصحفية . . .

تسأله الحوادث عن العقيد القذافى (١)

إذا استمر فى موقعه هل ستخوضون الحرب ؟

- بالطبع امكان الحرب موجودة . . .

ستحاربون القذافى فى داخل تشاد ؟

- فى شاد و داخل طرابلس ، وبنغازى على كل نحن على اتم

الاستعداد لهذه الحرب ونعرف انها ستكون حرب عصابات (غوريلا) وحرب

استنزاف له . .

وهل انتم قادرون ؟

- بالطبع قلت اننا على اتم استعداد ، الآن ما علينا إلا ان نعلن

ونعطى الاشارة للبدء . .

هل هناك امكان للمصالحة بينك وبين القذافى وماذا تطلب ؟

- ان كان هنالك إمكان للصالح فانا اطلب ان يتنازل العقيد القذافى

عن قيادة ليبيا ويترك ذلك للشعب الليبي لكى يبدأ فوراً بعمل المؤسسات

الديمقراطية لتحكم ليبيا . .

ولكن إذا تنازل فلن تكون هناك أهمية للمصالحة . .

- اكرر ربما اقبل ان اصالحه بعدما يتنازل . . .

وتقابلته ايضاً هدى الحسينى وجريدة الصياد (٢) . . .

(١) الحوادث ١٠/١٠/١٩٨١ م .

(٢) الصياد ٢٤/١٠/١٩٨٤ م .

٩٠٪ من السودانيين يملكون منازل ورئيس الجمهورية يعيش فى منزل

زوجته ويصرف من جيبه !! ...

- انا لا اجمال فى القيادة ، لا آت بالهش أو اللين واقول إنه قائد ..

الكثيرون كانوا يعتقدون إنهم اصدقاء لنميرى ، ولكن أمام مسائل العمل والقيادة فى الدولة لا أعرف أن هذا صديق وهذا ليس صديقى ، لا أعرف حتى تاريخه السياسى لأنه يجب ان يكون فى المستوى نفسه ، لأننى أكون قد عفيت عنه المرة الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة دون ان أتكلم ، وعندما اتخذ القرار أكون دائماً مستعداً ان أعطى الاسباب ...

ما هى الامور السلبية التى يمكن ان تكتبها عن نميرى !!

- ربما اقول عنه إنه شديد وحساس فى ان يسمح للدول الاخرى بان تدخل السودان لتساعد لأنه يخاف ان تكون لهذه المساعدة مآرب سياسية تضر بموقف السودان وبمكاسبه وبحريته ... ايضاً من سلبياته إنه يتماشى مع المواطنين حتى المضرورة باقتصاد السودان ، أى إنه يسمح لهم بان يكونوا مترفين باكثر مما يملكون ... من سلبيات نميرى ايضاً ، اننى لم أعلم حتى الآن كيف يشعر المواطن بواجبه نحو الضريبة ، كمال أو كتحضية من جسمه .. ومن سلبياته ايضاً اننى سمحت للناس بأن تعيش فى مناطق مختلفة عن مناطقها داخل السودان ، وترفض العودة إليها ، أى من حيث اتت ' ...

حقيقة قد يخرج من الصدف غير الدر

ماذا ترك نميرى لغيره من السلبيات (١) تناقض وسمح بترحيل

الفلاشا ومن قبل اقتحم النار فى الأردن لينقذ القيادة الفلسطينية من مجزرة أيلول الأسود ... ويسمح بالبذخ والتفاخر بالمال مما يقود للفساد (حتى المضرورة باقتصاد السودان) ، ويجهل حقيقة شعبه ، ويشرف على عدم عدالة التسمية وتوزيع مشاريعها ويركزها فى أماكن معينة مما يثير مشاكل السكن العشوائى وينتج عنه سوء الخدمات وانخفاض مستوى رفاهية المواطن فتبدو ظاهرتا التسول والتشرد ...

حقاً ان النميرى يجب كمن غشيه النعاس أو كمن لم يفق من سكرة

طويلة ، فقد ختم نفس المقابلة (٢) بقوله ...

(١) لاحظ ان المقابلة فى النصف الاخير لآخر سنوات حكمه ..

(٢) المياد ١٠/٢٤/١٩٨٤ .. نميرى

" اقارن هذه النقاط بما يقوم به الرئيس نميرى الآن فى بلاده .. وهل قيادته تتناسب وهذه النقاط ؟ وهل يعلم بما يعمل فيه ، وخاصة إنه يجب على القائد ان يعلم بالشئ الذى يعمل فيه ، وانا أعرف ... هل يعرف امكانيات بلاده وامكانيات شعبه ؟ وانا أعرفها ، وهل هو عادل بين شعبه ، فالقائد يجب ان يكون عادلاً ، والحمد لله حتى الآن أنا انشد العدالة ، واعتقد اننى حققتها ، والدليل على ذلك هو الراحة الموجودة فى الشعب السودانى . "

ويا للعجب قبل ثلاثة سنوات اجاب الحوادث (١) عندما سألته (لو راجعت سنوات حكمك ما هى الأخطاء التى كان يجب ان لا ترتكبها ؟) قائلاً ...

" لا اعتقد ان هناك أخطاء فادحة كان يجب ان لا ارتكبها "

(تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييّها)

ليس بمستغرب ان ينتهى مسار مايو الإقتصادى بنظام دكتاتورى يعتمد الفساد فى مجال المال والإفساد فى التجارة والإقتصاد ويغرق البلاد فى بحر من الديون والقروض ، مما يُمْكِن الضغوط الخارجية من التأثير على ذاتية وفاعلية الإدارة والقرار الوطنى ، ويجعل أغلبية العائد من الدخل القومى فى خدمة الديون وأقساط القروض ، فمئذ البداية كانت خطواتها الاشتراكية تتعثر وإختلط المَرعى فيها بالهمل ، ولم تسطع بها ولا بغيرها ان توازن بين متطلبات ومصالح الطبقات الاجتماعية المختلفة ، ولم تحسم مشكلة التناقضات الإقتصادية والمالية فيها وإن حاولت ... فلم يكن دليلها يدرى ما يفعل ، وتهزمه العاطفة ، ويفقد شجاعة الإعراف بالإثم والخطيئة فى التخطيط والتنفيذ والمتابعة ، وتحرسه عين الرضا بما فعل رغم الفشل ...

من لا يذكر قضية الذرة ومجاعة السودان (٢) ، والذل والهوان وفقد ماء الوجه أمام الركون للاغاثة ومعونات التمويل وهى تقتل همة المستهلك الإنتاجية وتقعده عن أن يكون اليد العليا ... تحدث النميرى عن استيراد الذرة من الولايات المتحدة ...

(١) الحوادث ١٠/١٠/١٩٨١ .

(٢) ١٩٨٥م

" واذكر اننا فى إحدى حكومات الأحزاب استوردنا ذرة من الولايات المتحدة ، وهذا أمر عجيب وغير مقبول .. فيمكن ان استورد القمح مثلاً ولكن ان استورد الغذاء الرئيسى للمواطنين فهذه كارثة ! " (١)

وعندما وقف نميرى على اكدوية صداقة الشعوب الاشتراكية لسنوات خلت فى اجابته للسؤال (٢) (ما هو القرار الذى اتخذتموه وندتم عليه خلال فترة حكمكم ؟)

" الشيء الوحيد الذى ندمت عليه فى السنتين الاوائل اللتى كنت بفكر إنه الصداقة مع الدول الكبرى هى مجدية بالنسبة لدول نامية مثل السودان .. سنتين ضيعتها فى صداقة مع دول كبرى زى السوفيت ، وكانت نتيجتها هى إنها المتأمرة الاول علينا فى السودان ، وندمت على هذه الصداقة ومش حارجع ليها أبداً . "

وعندما أدرك اكدوية الشرق الشيوعى اتجه للغرب الأمريكى ولم يتبعد عنه الإدارة الأمريكية إلا بعد اعلان الشريعة ٢٣ سبتمبر ١٩٨٣ ، عندما ادركت أمريكا ان غرضها لن يتم ، وفقدت مايو القرب والقبول وطلاء البريق واللمعان الذى كانت تلقاه ، وأخيراً بدأت أمريكا الضغط الاقتصادى على النظام الحاكم ، واجبرته على الخضوع للتسلط الكنسى ومنظماته الإغاثية والعونية والطوعية ، وبلغ الهوان بمايو ان تعلن التخلّى عن قوانين الشريعة ورؤاها المستقبلية لحل مشاكل السودان

وثمة حادثتان تظهر فيهما عاطفة القرار الإقتصادى وعشوائيته وهوانه ..

أولها وعقب المصادرة ، فى أيام مايو الأولى ، والتى كان النميرى يعارضها وينادى بالاكْتفاء بالتأميم وفى جولة لإختيار ما يناسب من المنازل المصادرة كقصور للضيافة ، وقف نميرى فى حديقة أحد المنازل وفكر ملياً ثم قرر العودة دون زيارة المنازل الأخرى ، فماذا رأى ... وكيف قرر العودة عن المصادرة والتأميم ؟!

(١) نميرى للأيام ٢٢/١٠/١٩٨٠ م أحمد البلال الطيب ..

(٢) مؤتمر صحفى / سونا ٢٩/١/١٩٨٠ (سمير غريب مندوب مجلة جون أفريك)

" لقد توقفت بالحزن أمام مشهد من أحد المنازل المصادرة ، فى حديقته كانت هناك لعبة طفل واللحظة تصورت مدى تعاسة الطفل فضلاً عن تعاسة ذويه وهو يغادر منزله ويفارق لعبته .. ولقد استبدت بى هذه المشاعر للدرجة التى لم أستطيع دخول المنزل فضلاً على المروء على غيره من المنازل المصادرة . " (١) ...

وثانيتها قرار التكامل مع مصر والذى جاء بعد فترة فتور من العلاقات السودانية المصرية ، والذى جاء قرار سفر نيميرى لإقراره ضد عزم وتخطيط البروتوكول الرئاسى حيث سافر نيميرى فجأة عقب أحداث ١٩٧١/٥/١٥ فى مصر وعلى متن طائرة ركاب عادية تتبع لالمانيا الغربية والتى كانت علاقاتها الدبلوماسية السودانية مقطوعة يومئذ وفى مصر ... وفى القصر القريب من القاعدة الجوية والذى أقام فيه السادات و نيميرى إجتمع الرئيسان اجتماعاً منفرداً وبعد ثلاث ساعات متواصلة فتح الباب ودخل الوزراء وسمعوا توجيهات من الرئيسين بأن يجتمعوا على الفور لصياغة منهاج عمل ، لتحقيق التكامل بين مصر والسودان وفى كل المجالات (٢) ولك ان تتصور ايها القارئ الفطن ، مجالات التكامل بين شمال الوادى وجنوبه والتى يأتى فى مقدمتها هموم الأمن والغذاء ، والمشكل السكانى ، و المياه ، وأمام كل ذلك مسألة حرية المواطن وتحديد الهوية ونوعية الحكم .. كل ذلك يتم على القمة دون القاعدة وتحت مشاعر العاطفة وسرعة القرار .. انه فى كل ذلك لأجراً من ذباب

(تسألنى أم الخيار جملأ

يمشى رويداً ويكون أولاً .) ...

لقد ظل نيميرى جاهلاً لمشاكل اقتصاد بلاده بعيداً عنها رغم تربعه علم القمة لسته عشر عاماً متسلطاً منفرداً

" البترول السودانى سيدخل سوق الاستهلاك خلال شهور " (٣) ...

(ما هى اهداف زيارتك وفى هذا الوقت بالذات ؟)

(١) يروى عنه عمر الماج موسى فى كتاب عادل رضا (الرجل والتحدى) ص ٤٧٩ ...

(٢) الرجل والتحدى عادل ص ٤٨١/٤٨ ...

(٣) مؤتمر صحفى فى باريس ١٧/١١/١٩٧٣ م

" نميرى :- وقبل ان ابدأ هذه الزيارة حضرت توقيع اكبر عقد للبترول فى هذه الايام وهو عقد لمد خط أنابيب البترول لميناء بورتسودان بحوالى بليون دولار ولا اعتقد ان بلد يوقع على عقد بهذا المبلغ لا يمكن ان يكون فى ورطة إقتصادية يهرب رئيسها من البلد لطلب مساعدات من دول أخرى^(١) بل أعجب من ذلك اجابته لجريدة الشرق الاوسط^(٢) عندما سألته قائلة :-

"هل لكم ان تطرحوا الرقم الحقيقى للديون المستحقه على السودان ؟"
- أنا اعتقد ان ديوننا كلها ٧٠٠ مليون .
فى العام الواحد ؟ ...

- " كلها .. ديوننا كلها ٧٠٠ مليون ، ولم تصل حتى لبليون واحد ، لذلك نحن لا نزعج .. " ...
إنها بنس الإجابة ولكم ان تتخللوا رئيساً يذكر ارقاماً بلا تمييز وبدون تأكيد وهو يتحدث لصحافة عالمية .. حقاً ان فهم النميرى الاقتصادى كان حملاً فاستأثرت ...

وكما طلب تشرشل البريطانى من شعبه بان يكف عن اكل البيض فى وجبة الافطار ، فسقط ... وكما رجيت مارى انطوانيت الفرنسية شعبها ان يأكل الطورطات والحلوى كبديل لعدم الخبز فذاقت طعم المقصلة ، طلب النميرى السودانى من ممثلى شعبه^(٣) ان يطالبوا ناخبهم بتنفيذ وصية الإمام الاقتصادية الأخيرة بأن (يشربوا الموصة) عندما ينعدم الخبز وما درى ان لابد لماء الكسرة من ذرة منها يصنع وحبّات سكر تحليه ...
.. (من أعان ظالماً سلطه الله عليه)

" لقد استمعت اليكم وأنا مندهش .. هنالك اثنان ممن تحدثوا يسألوننى عن سبب زيادة الأسعار وهل هذا يحتاج الى رد ، اننى اندهش لأنكم إنتم القيادات ولا تعرفون كيف تجيبون على هذه الاسئلة .. سبب زيادة الأسعار هو انخفاض سعر الجنية السودانى أمام الدولار .. فالدولار أصبح الآن مدوخ كل العملات حتى الين اليابانى والمارك الالمانى والجنيه الاسترلىنى أصبح مثل الجنيه السودانى ... اننى اخشى ان يصبح سعر الدولار ألف

(١) مؤتمر صحفى فى باريس ١٧/١١/١٩٧٣ م .

(٢) لاحظ كيف خافه التعبير وهو يحاول نفي الورطة الإقتصادية فيثبتها ...

جنیه (١)، عليكم ان تتوقعوا الكثير لقد وصل سعر الدولار خمسة جنيهات و سيزيد عن ذلك وقد يأتى وقت تمتلئ به جيوبكم بالجنيهات . "

ولما علت القاعة بالضحك ... زاد فرعون السودان الذى استخف قومه فاطاعوه يواصل اغنية الاويز ونحن البجع
" هذا كلام ليس للضحك إنها حقائق لابد ان نواجهها ، ان كمية الاربعة جالون من البنزين اراها كثيرة لماذا لا تكون جالونين فقط ، لماذا لا نستخدم السيارات العامة ونركب البسكيت .. وعلينا ان نقتصد فى كل شىء .. من ياكل ثلاثة وجبات ياكل وجبتين ومن ياكل وجبتين ياكل وجبة واحدة ومن ياكل وجبة واحدة ياكل نصف وجبة .. ولماذا نشتري المعلبات الغذائية والصلصة نحن شعب لم يتعود على الصلصلة يا جماعة نحن ناكل الريكة ولانشرب الإسبرايت .. لماذا لانشرب ماء الكسرة "

.. يقول هذا الكلام لقيادته المركزية وصوت جماهير انتفاضة رجب ، الذين " تجمعوا فغيروا وتفرقوا ولم يُعرفوا " ، يملأ أجواء الخرطوم ويخالط دخان الحرائق ورائحة غاز تفريق المظاهرات ... وبين ذلك كله يشق طريقه للمطار مغادراً للبلاد سليماً متجهاً لواشنطن الأمريكية ناسياً عبارته التى شنت الآذان

أو اسسقط دونها شهيداً " وخطابه فى مقتل الإمام الهادى (٢)
" فوالله قد شهدت بنات أوى تقف فى وجه السباع دفاعاً عن بيوتها وصغارها ، ولم أرى قائداً أو رئيساً يهرب من رجاله ساعة القتال "

ولم يذكره بالرجوع والثبات حتى كلمات قادة مسيرة ... الردع الهزيلة " لبتك كنت معنا يا سيادة الرئيس "

حتى لحظاته الأخيرة كانت تغيب عنه حقيقة إنه لا يستند على قاعدة شعبية ، وإنه ربط مصالح البلاد بجهات خارجية ويؤمن بأنه القائد المنقذ

(١) خطاب نمرى امام القيادة المركزية بعطس الشعب بام درمان ١٩٨٥/٢/٢٦

(٢) قال (ص) " كذب المنجمون ولو صدقوا " ... ويستمر هبوط العملة السودانية أمام الدولار

فهل كان النمرى منجماً أم يعلم جيداً فعلته التى فعل فخرج من المدينة خائفاً يترغب ..

(٣) فى خطابه ١٩٧٠/٤/١ م .

والمخلص للوطن ، وإنه أمل الأمة ولا يدرى أن أمة تعلق آمالها برجل واحد هي أمة بلا أمل ... لقد فعلت به كلمات أمين الاتحاد الاشتراكي ^(١) " بأن الأمر لا يتعدى رد فعل للأخوان المسلمين " وحديث مساعده ^(٢) امام مسيرة الردع " سنحطمهم كالعقارب " ، كما فعلت بالشاه كلمات خاومه العجوز عندما أرسله للمدينة لمعرفة مايدور ... ايام الثورة الإيرانية

" نعم يوجد يا صاحب الجلالة بعض الناس يصيحون في الشوارع ، لكنه من الواضح انهم شيوعيون مأجورون ليتظاهروا . " ... ولم يستيقن الشاه حقيقة الأمر إلا ضحى الغد عندما أخذه طياره الخاص بهيلاكوبتر في جولة حول المدينة ، وسال الشاه الطيار " هل كل الناس يتظاهرون ضدى " وصمت الطيار ، ورجع الشاه وتوجه للخروج بطائرته من ايران الثورة ...

" وأنا شخصياً كرئيس للدولة اقابل من أشاء ويستطيع كل من يشاء مقابلتى واستشهد باضراب الاطباء والذى امتد لأسبوعين أو أكثر ، فحين طلبت نقابتهم مقابلتى فتحت لهم الباب وبعد جلسة قصيرة معى اقتنعوا وخرجوا ودعوا زملائهم للعودة للعمل ، ونحن نتمسك بمبدأ عدم الاستسلام للضغوط مهما كانت . " ^(٣)

" الحقيقة اننى فى تاريخ السودان كله اكاد اكون القيادة التى اتصلت وحتى الآن وعلى مدى ١٥ عام .. الاوائل لم اعاصرهم ، بعضهم قيادة اتصلت لمدة طويلة وبعضهم قيادة اتصلت لمدة اقصر ... إلا انهم جميعا يقودون اجزاء من السودان وليس كل السودان ... ولهذا تنتفى عنهم صفة الرمز الذى تتوحد به الأمة . " ^(٤)

(ان الجواد عينه فراره .)

تحدث نميرى لبرنامج الوجه الآخر ^(٥)

(١) اللواء محمد عبد القادر (٢) د. ابو ساق ...

(٣) نميرى التضامن ١٩٨٤/٥/٢٦ .

(٤) الوطن العربى ابريل ١٩٨٥م ، أجرى الحديث قبيل سفر نميرى لواشنطن نبيل مغربى

(٥) اذاعة صوت العرب ٢٣ صفر ١٤٠٥هـ

من ضمن الأشياء التي قمت بها وقد تكون اضررت بمن لهم صلة شخصية بي وحتى لا يقول الناس اننى تحيزت لطلتى أو اهلى أو أخى فقد اخبرتهم إنهم آخر من يستفيد من هذه الثورة .. وفعلاً لم يستفيدوا من هذه الثورة ومن ضمنهم شقيقى الأكبر . ومن قبل كان لشاه إيران شقيق أكبر ، الأمير محمود رضا والذي ركز على المعادن والشركات ، وأسس مؤسسة بهلوى بدعوى إنها مؤسسة خيرية ١٩٥٨ ، فصارت امبراطورية مستقلة داخل ايران ، بلغت ممتلكاتها عام ١٩٧٩م ثلاثة بليون دولار ... فهل كان مصطفى نميرى وجميعه ود نميرى محاولة للمثل ؟ فقد جاء بهاء الدين تماماً كوزير مالية الشاه الذى يرمى مصالحه المالية الخاصة وهل كان قصر ود نميرى سيكون مثيلاً لقصر برسبوليس الشاه واحتفال العرش الطاؤوسى الشهر ١٩ (١)

(من جعل نفسه عظماً أكلته الكلاب)

ولم تقف جهود القيادة المايوية فى تحطيم السودان عند حدود تبديد امكانياته واهدار طاقاته وموارده الكامنة ، بل تعدت ذلك لتدمير اجياله فى ظهور الغيب وبين صلب وترائب آبائهم ، وذلك بجريمة دفن النفايات الذرية لتفعل بالأجيال اكثر مما فعلته هورشيما ونجازاكي فى اليابان . . .

" السيد ف/ج/جأتى أحد رجالات الصناعة فى المانيا وصل الخرطوم فى ١٩/١/١٩٨٥ على طائرة الخطوط السويسرية من أجل الحصول على استخدام موقع فى السودان لدفن مخلفات المواد النووية الآتية من الولايات المتحدة و المانيا الغربية والنمسا والسويد وصرح جأتى بعد لقائه بالرئيس نميرى فى ٢٠ يناير قائلاً ان موافقه الرئيس نميرى على خطة التخلص من النفايات النووية لم تأخذ منه سوى نصف ساعة فقط بينما هو فشل فى الحصول على موافقة عدد من حكومات أوربية على مشروعات مماثلة استغرقت منه عشر سنوات . ويكون ذلك نظير أربعة بلايين دولار أمريكي (٢) ، والموقع فى مثلث تحيط به ثلاثة أودية هى وادى هور وادى مجرور وادى

(١) احتفال شاه ايران فى اكتوبر ١٩٧٢ بمرور ٢٥٠٠ عام على الحكم الملكى .. استمر الاحتفال ثلاثة ايام بحضور ٨٦ من ملوك وامراء ورؤساء الدول بتكلفة بلغت ١٢٠ مليون دولار

(٢) الاتحاد ٢/٢/١٩٨٥م

سندى وكلها تقع فى اقليم دارفور ، وقد استلم خطاب الموافقة من رئاسة الجمهورية بتوقيع الوزير محمد الحسن أحمد الحاج ^(١) فى يوم ١٩٨٥/١/٢٢ م " ^(٢)

وبالمثل يتبع آثار قدم القيادة المصرية وفق ما حدث من السادات أثناء اجازته ١٩٨٧ عند لقائه المستشار النمساوى برونو كرايسكى فى شلوس فوشل قرب سارنبورج

" كانت النمسا تخطط لإنشاء المفاعل النووى ، وكان انشاء المفاعل النووى يلقي معارضة من قطاعات واسعة من جماهيرها ضمن كل الحملة المعادية للانشاء النووى التى تجتاح الغرب وكان معارضوها يركزون على نقطة هامة ، وهى الخطر الناشئ عن النفايات الذرية وقضية تخزينها .. وكان المستشار النمساوى يقول أن الخبراء يرون أن أفضل مكان لتخزين هذه النفايات هى مناجم الملح القديمة تحت الأرض ، ومن سوء الحظ أن النمسا ليس فيها ما تنطبق عليه هذه المواصفات ، وتبرع السادات على الفور داعياً كرايسكى الى تخزين نفايات النمسا النووية فى مصر فهو يعرف أن هناك مناجم قديمة للملح فى صحاريها الشرقية . " ^(٣)

و " كشف فاروق الباز فى حديثه لمجلة العربى إنه احبط محاولة نمساوية عام ١٩٨٠ بدفن النفايات النووية النمساوية فى المنطقة الصحراوية بين القاهرة والسويس بعد أن اقنع السادات برفض العرض النمساوى لأن دفن النفايات النووية يؤدى الى تلوث المياه الجوفية ويؤدى الى وقوع الزلزال فى الدول التى تسمح بدفن هذه النفايات . " ^(٤)

ونجت صحارى مصر بفضل العالم الباز ، ولأن البرلمان والمعارضة فى النمسا ضد الانشاء النووى كانت أقوى من خطط مستشار النمسا للبناء النووى

وفدت الانتفاضة السودان بالرغم من توقيع أحد علمائه لخطاب الموافقة لبدء الدمار النووى لباطن أرضه ... وما كان من المرجح أن يصيح مجلس

(١) وزير شئون رئاسة الجمهورية وأمين عام المجلس الأعلى للاقتصاد القومى . .

(٢) الاتحاد أول مايو / ١٩٨٥ م

(٣) خريف الغضب ص ٣٨٦ / ٣٨٧ هيكل

(٤) الدكتور فاروق الباز / عالم الفضاء المصرى ، الاتحاد (دبى) ١٩٨٥/١٠/٦ م

نقلًا عن مجلة الوطن العربى

شعب خريير ، ولجنة حزب كفيف أصم ان يصيحا باسم الجياع

... (لا أحب دمي في طست ذهب)

(احفظ ما في الوعاء بشد الوكاء)

وبالرغم من أن مايو كانت في أغلب محاولاتها الإصلاحية طوبية تُثْمَلُ ولا تُصَرَّحُ ، وبات قائدها كثير التلون يُسْقَى من كل يد بكاس ، باحثاً عن الحل تحت كل كوكب ، إلا انها دائماً كانت ترجع بقرنى حمار تذرف عيناها أجر من دمع المقالات ... او ما ن لاحت بارقة حلّ أو قرّضٍ إلا وجاءها القائد ناشراً أذنيه يعلن الكبرياء وقناعته الخنوع (انف في السماء وإست في الأرض) ..

حتى قصد الشرع ، وأعلنه ...

و (كانت بيضة الديك .)^(١)

كيف العودة للإسلام^(٢)

" هنا لأبد من وقفة استاذن فيها لأقول اننى اعترف بداية اننى لست خير من يمكن ان يجاوب على هذا السؤال فانا لا أملك إلا فطرة المسلم المؤمن بغير زيادة ، لم تواتينى فرصة ولم تتوفر لي قدرة لأتعمق في شئون دينى ، هنالك من هو خير منى ألف مرة تبصراً وعلماً ومعرفة بالإسلام ، وما انا فى رحاب الدين إلا على مشارف شواطئه ، اتطلع إليه باليقين والإيمان والتسليم والقناعة والافتناع بأنه زاد للانسان فى الدنيا والآخرة ، اما بعمقه واتساعه اما فقهه وتشريعه ، أما نظمه واحكامه ، فانا اعرف واعترف بقصورى ، فتلك ساحة اختص بها الله من عباده العلماء " ..

ويقول ايضاً^(٣) وهو يقر بأن الناس فى السودان على دينهم ولكن

كيف يمكن اقامة المجتمع الاسلامى الاصيل ١٩

" هل يملك الراعى ان يقرر ، ان يأمر فى العشية فتتحسر استار ليل الغربة قبل أن يطل الصباح ؟ وهل إذا فعل هل يفعل بالناس أم يفعل للناس ؟

(١) يزعمون ان الديك يبيض مرة واحدة (وكانت مرة اصاب فيها نميرى القرار .)

(٢) النهج الاسلامى - لماذا ؟ نميرى ص ٤٠٢ .

(٣) النهج الاسلامى - لماذا .. ص ٤٣١/٤٣٢

... بداهة إنه لا يستطيع إلا بالناس ...

... ثم اننا في ليل الغربة لا نتطلع الى فجر يعود فيه الاسلام ،
الى الناس متى نفرضه بارادة الراعى ، وانما نريد ان يعود الناس الى
الاسلام ، وهنا فذلك موكل بإرادتهم ...

... إن الاسلام الذى لا يعرف ولا يقر ولاية الراعى ادعاءً بحق
التفويض الإلهى انما أوكل أمر الراعى الى الناس ، هم يبايعونه إذا شاعوا ،
وهم يستردون بيعتهم إذا ظنوا حقاً أو ظلماً إنه لا يقضى فيهم بما يرونه
خيراً ...

... فسلطة الراعى اذاً موصولة بارادة الرعية ، فإذا أرغمها على ما لم
تتهيا له فإنها قد ترضخ عن غير قناعة أو تنهى ولايته عليها ...

ثم اننا لو مضينا على طريق ارغام الناس على اتباع قيم دينهم ، فأى
الثمرات نجنى !! ذلك اننا إذا ملكتنا على الناس ظاهرهم فإننا لا نملك
على الناس باطنهم ، فإذا أرغموا على غير قناعة ، فإننا لن نضئ فى ليل
الغربة إلا ضياء النفاق ..

ثم اننا إذا أرغمنا الناس على الالتزام بما نحب لهم وارتضوا ذلك
بغير قناعة .. فمن ذا الذى يستطيع ان يصد عنهم ما يدور حولهم من
مغريات الضلال ...

ثم لعلّ الذين يذهبون هذا المذهب - مذهب الإرغام - يرون بالتشدد
والتأثيم والتخويف ، بما يعنى أن لا ننشد في الناس قناعة الملزم وإنما
ننتزع من الناس روع الملزم ...

وهذا طريق لا يتعارض وحسب علي نبل الغاية بل هو يتعارض وفى
الأساس مع الاسلام والقرآن ونهج الرسول جميعاً ... ويذهب الإسلام فى
تحقيق الحصانة للناس ضد الترويع والتخويف والتأثيم الى ما يصل الى حد
انزال العقاب فى الدنيا والآخرة بمن يأخذ الناس بالظن ، بل انه احاط قرن
بعض الظن بالاثم وحدد لقرائن اثباته من البراهين ما يضر وجوده إلا لو
كان هو اليقين ..

ان إنحسار ليل الغربة الطويل والعودة بالامة الى دينها ، ليس ما يظنه
البعض مجرد اعلان قيام الدولة ووضع دستور اسلامى وسن قوانين اسلامية
، فما أيسر على الراعى ان يعلنه وعلى الرعية أن تتقبله ، ولكن هل يعنى

ذلك انحسار ليل الغربة الطويل ٩١

يبدو النميرى بين سطور النهج الاسلامى السابقة فى ثوب من
يجهل أمور ومتطلبات الامارة الشرعية ويكتفى بالعبادة دون مرحلة
التفقه والاجتهاد ، ويؤمن بالتربية والتدرج فى بناء المجتمع المسلم
حتى بيعة الرضا ، ويصل لمرحلة التشريع والتقنين بارتقاء درجة
المسلم الملتزم لا الملزم بالإرغام والتخويف ومواد القوانين ويرى ان
فى ذلك أصل الاسلام ودعوة القرآن وغاية السنة . . .

وجاء خطاب ولايته الثانية . . .

" عندما اشعر باننى اعجبتى نفسى واغترت بربى ، وقبحت سيرتى ،
وساعت تصرفاتى ، وذلك شؤم تدبير الشيطان وسوء خداعة وسعيه الخفى
فى هلاكى ... وإذا شاهدت تقصيرى وعدم القيام بما يجب على من حق
ربى وحق من استرعتهم من عباده ، وتوليت أمرهم من خلقه فإننى
اعاهدكم الله ان اترك الولاية راضياً مختاراً وأرجع الى الله سبحانه وتعالى
مستغفراً لذنوبى معترفاً بالإقتراف والتقصير وعازماً على التوبة الى الله
تعالى . . . "

وتلوح الولاية الثالثة فى الأفق وتسال الشرق الاوسط ^(١) ، النميرى
" انتم مقدمون إن شاء الله على الدخول فى الولاية الثالثة من عهدكم
ما هى الأولويات التى ستقدمونها .. ما هو شعاركم لها " . . .
ويجب نميرى ولا يذكر الشريعة فى برنامجه . . .

" أهم شئ عندنا هو العامل الإقتصادى ، مواصلة الخطة التنموية ثم
الحياة الإجتماعية ، وقواتنا المسلحة ثم الشئ الرابع هو السياسة الخارجية ،
التكامل مع مصر ، وسلام فى المنطقة ، التعاون مع كل الاشقاء والاصدقاء
فى المنطقة ومحاولة بناء تضامن عربى وتضامن افريقى . . . " . . .
مما يؤكد بأن الشريعة لم تكن من أولويات الحكم عند النميرى وهو
يفكر فى الولاية الثالثة

بيد أنه قد فعل ما لم تفعله القيادة المصرية

(١) الشرق الاوسط ٢٠/٢/١٩٨٣

كان السادات يلقب نفسه بالرئيس المؤمن ولا يرقى بالشرع لمستوى الدولة والحكم ...

" كان السادات كل يوم على شاشة التلفزيون يتمم بشفتيه دعاء ويركع على ركبتيه صلاة ، وتسيل جفونه ورعاً وتبتلاً . " (١) ...
وأعلن نميرى قوانين الشريعة فى خريف ١٩٨٣ م (٢) ...
" لن نتراجع عن الشريعة مهما اشتدت الضغوط والمؤامرات الدولية علينا " (٣) ...

ولما سألته الشرق الاوسط (٤) عن ما هو دافعه الشخصى غير الدافع الدينى والإيمانى لاتخاذ قرار الشريعة ...
" نميرى .. الدافع الشخصى موجود .. أنا من الاشياء التى يمكن يلاحظونها فى أنا لا احث بالوعد ولا أميل للنكوص عن أى عهد .. ما أقوله أمشى به . " ...
وتمت مبايعته إماماً .. فقال عن مبايعته كإمام للمسلمين (٥) فى السودان ...

" لقد بويعت كرئيس للجمهورية وهذا شئ عادى وعهد يقوم به كل المواطنين فى مناسبات كثيرة .. أما فى هذه المناسبة فكانت المبايعه بعد اعلان الشريعة الاسلاميه لهذا اتخذت اتجاهاً خاصاً ... لم اباع كإمام وانما بويعت كرئيس للجمهورية .. أما مسألة الامامة فتأتى من بين مهامى ... فأنا زعيم السودان وأنا أمام المؤمنين فى السودان ، وأنا قائد المواطنين فى السودان . " ...

(عند النطاع يُغلب الكبش الأجمُ .) ...

وبدأت تطبيقات قوانين الشريعة ، وبدأت تساوى بين الناس فى العقوبات ...

(١) خريف الغضب ص - ٤٤٥ - هيك (٢، ٣) الشرق الاوسط ١٠/١٢/١٩٨٣ م ..
(٤) أعلن نميرى القوانين ٢٣/٩/١٩٨٣ ، وأطلق فى ٣٠/٩/٨٣ م ١٣.٠٠٠ سجين كان متحدثهم فى حفل الإطلاق بكوير الواثق صباح الخير ، وظهر خطأ القرار عندما كان المتحدث أول من رجع لجريمة البغى وحوكم وصار أول من شق وصلب بكوير ...
(٥) آخر ساعة ٤/٧/١٩٨٤ م .

وجرد النميري عضو مجلس قيادته سابقاً من وسام ابن السودان البار ..
" فيما يتعلق بمأمون عوض ابوزيد فان التهمة الموجهة له كانت تواجهه
في بيت مشبوه ، يضم عدداً من النساء والرجال ضبطوا في اوضاع مخالفة
للآداب مع وجود كميات كبيرة من الخمر والمخدرات .. وقبل ان يمثل أمام
المحكمة هرب بدون جواز سفر للنند ..

وسنطالب الحكومة البريطانية باعادته لمحاكمته " (١) ..
وتحدث نميري عن قانون الطوارئ وتطبيق الشريعة في خطابه للعيد

الخامس عشر للشورة وقال مرتجلاً (٢) ..

" كل ذلك يعد الاسلام الحنيف ولكن الاسلام له طوارئ ، فعندما نرى
المجتمع قد فسد أو انحرف انحرافاً شديداً نعلن الطوارئ ، ندخل البيوت
نفتش الناس في كل مكان ، من يشرب في الخفى ومن يزنى ، كل بيت
نفتشه وندخله ، والاسلام أمرنا أيضاً بذلك ، لأن بالرغم من ان الاسلام هو
الدين الذى ذكرته لكم ولكن يجب ان نقوى الدين الاسلامى أولاً بتصحيح
انفسنا ، والان نحن فى طور التصحيح (٣) ، سنقبض السائق الشارب والراش
والمرتشى ، والذى يخفى بضائع التموين فى المخزن والذى يهرب الاقمشة و
كل هؤلاء الناس ، نحن كقائد مسلم لهذه الامة سنتخذ لهم الاجراءات و
سنحاكمهم ونبتريهم من المجتمع الاسلامى ، وسنستمر فى نشر الاسماء فى
الجرايد وسنستمر نجلد على حسب الحدود (٤) ونقطع الايادى الى ان يكون
المجتمع المسلم الصحيح . " ..

وبالرغم من اخطاء التطبيق فى قوانين ١٩٨٢ م إلا إنها ادخلت
الامن لنفوس المواطنين باتخاذها بعض الإجراءات للمحافظة على
حقوق المواطن وماله وعرضه واغلقت مواخير وحانات سكر ،

(١) نميري لمجلة الحوادث- عفاف زين ..

(٢) التضامن ١٦/٦/١٩٨٤ م

(٣) قارن بين هذا والنهج الإسلامى ، وستبحث حتماً عن كتب ...

(٤) شكل المجلس الاسلامى العالمى لجنة لدراسة القوانين الاسلامية بالسودان فبراير ١٩٨٧ م وجاء فى
تقريرها ان جملة جميع حالات القلع (١٢) منها (٢) قطع من خلاف ، و ان جميع الحدود التى طبقت
(الخمر ، السرقة ، الحراة ، الردة ، الزنا ، البغى ، القذف) (٨٢) حالة حسب الاحصاءات الرسمية الصادرة

من ديوان النائب العام ..

ورفعت غيرها من علامات الفضيلة ... كما انها عزلت وزراء عندما تدخلوا في الحكم وعاقبت شقيق كبير الأمن عمر محمد الطيب وجلدت الوزير الإقليمي بدارفور ، ووصلت العقوبة خلفاء الختمية وأحفاد الإمام المهدي كما طالت رقاب الصغار

ولما طالب د. المكاشفي برفع الحصانة عن النائب العام عندما رفع مذكرته لرئيس الجمهورية حتى تتم محاكمته بدأت القطيعة بين النظام ومؤيديه ، من الحركة الاسلامية

عندئذ وجد الخصوم فرصة للهجوم كجانب من الصراع داخل تنظيمات مايو بين القدامى والقادمين

" وحدث ما توقعناه من طلاق بين الثورة والأخوان المسلمين .. ولم يكن هتكا لحجب الغيب ، ولا فضا للفائف العدم ، ولكنه توقع مصدره معرفتنا بتاريخ وأساليب عمل التنظيمات العقائدية ، ولأننا نعرف ان من سل سيف البغي قتل به .. ولأننا ظللنا نرقب من يحملون على الكتوف العصي والفؤوس ويتربصون على حوافي الطريق ...

تلك الفئة التي تعودت أن تلبس لكل حال لبوسها من أولئك

الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم " . (١) ...

كما وجد الاعلام الغربي ضالته ، فقد نشرت مجلة نيوزويك الامريكية

ابريل ١٩٨٥ م مقابلة مع نميري تحت عنوان بهلوان السودان (٢)

- يقال إنك بقيت طويلاً في الحكم لأنك تقوم بالتوازن بين القوى بشكل

بارع وتغير اسلوبك كلما وجدت ان ذلك امر ضروري ؟

" عندما اصبحت قائداً للثورة إعتقد اليساريون انني ذلك

الجندي الذي لا يعلم شيئاً عن السياسة .. لقد مرت الآن ١٦ سنة

منذ ان توليت السلطة ... فأنا اشته تماماً بطالب يعمل بجد ويحب

دخول الإمتحان .. فأنا يومياً أقرأ في مكتبي وأعد نفسي لحل

المشاكل ... "

(١) د. اسماعيل الحاج موسى - (سيناريو) الايام ١٤٠٥/٦/٢٦ هـ

(٢) الاهرام الإقتصادي ١٥/٤/١٩٨٥ م ، عن اليزابيث كولتون ، نيوزويك اول ابريل ١٩٨٥ م

- لقد ذكرت أخيراً أنك ستصبح المفسر الوحيد للشريعة الإسلامية ؟ ...
" نعم .. فالإسلام يقول إنه إذا ما اختار المسلمون حاكمهم
فعلى الجميع طاعة هذا الحاكم .. لذا فإنه إذا أتى أى شخص من
رعيتى وظن إنه بإمكانه تفسير القوانين فهنا أقول له :- لا .. هذا
لا يجوز "

(**بيدى لا بيديك عمرو** .)

" إن الثورة التى لا يحميها إلا جهاز الأمن لا تستحق اسم
الثورة " (١) ...

يقول عمر محمد الطيب (٢)

" عرف المواطنون المعنى الحقيقى للأمن ، فهو أمن المواطن قبل كل
شئ فصار لديهم الحس الأمنى وأحب أن أعلن بصراحة وأمانة بأن معظم
إنتصارات الجهاز التى حققها كان للشعب (٣) دوره الحقيقى والفعال فى ذلك
وأعقبه كمال حسن أحمد نائب رئيس الجهاز

" إن جهاز أمن الدولة يمثل خط الدفاع الأول عن الثورة والوطن
والقائد الذى يقدم الشهداء قرباناً لهذا الوطن الحبيب ليسعده ويشرفه أن
تلتقى عناصره اليوم مع قائد المسيرة وأمل الأمة وحادى الركب ليؤكدوا له
من جديد ولاهم المطلق لثورة مايو وليعبروا له عن فرحتهم وعرفانهم
بالتقدير الذى طلق به عنق ابن بار من أبناء هذا الشعب نذر نفسه فداءً
لثورة والوطن ... فكان وفياً وكان ألباً وعفاً وصادقاً "

(**حاميها حراميها**)

أدانت محكمة الفلاشا عمر محمد الطيب وحوكم سجنًا ، وكان قبل
رجب له كل شأن وأى شأن مع الفلاشا ،

(١) نمبر ١٩٧٣/٩/٢٤ م.

(٢) رئيس جهاز الأمن فى حفل تكريم نمبرى له بكوير ١٩٨١/٦/٢ م.

(٣) إشارة للمعدية الكبيرة من المتعاونين والعاملين مع الجهاز والذين وجدت أسماؤهم بعد
الانتفاضة بالجهاز ...

ينكر وجودها ويدير شئونها (١)

" هذه العملية من الأساس يستحيل ان تكون تمت عبر أرضنا ومطاراتنا وبعلم من أجهزة أمننا . . . نحن على استعداد لأن نموت جوعاً ولا نتقبل دولاراً واحداً من إسرائيل لا بصدد تسهيل عملية موسى ولا بغيرها مما يمس التزام السودان القومي العربى . . . خلال العام الماضى طبق السودان الشريعة الاسلامية وهذا سبب فى حد ذاته للاتهامات التى تثار ، وكذلك ضد السياسة المعتدلة التى يتبعها السودان . . . نحن فى كل يوم نكتشف مؤامرة فى صورة مختلفة مرة للتخريب ومرة للإغتيال أو تسلل لاثارة النعرات أو بث الفتن القبلية وتوزيع بعض الأسلحة عليها .. وما يقال عن دور السودان فيما يسمى عملية موسى ليس سوى حلقة فى هذا المسلسل . . . يستحيل ان تكون عمليات النقل قد تمت من مطاراتنا المعروفة فى جوبا فى كسلا والخرطوم ، اللهم إلا إذا حطت طائرات معينة فى أماكن غير معلومة لدينا .. فى احيان كثيرة تاتينا معلومات بأن طائرة ما قد حطت فى جهات معينة . . . سماء السودان واسعة وارضينا شاسعة ونحن نؤكد كحكومة إنه لا ضلع لنا فى كل ما يقال حول الدور السودانى فى عملية نقل الفلاشا " (٢) . . .

ولما سئل : هل يسمح السودان للاثيوبيين بالسفر لاسرائيل اذا طلبوا ذلك ؟ !

" قد لا يعلنون عن رغبتهم فى الذهاب الى مكان محدد .. ولو فعل أحدهم وقال أنا أرغب فى الذهاب الى تلابيب لمنعاه بشدة ووقفنا فى وجه سفره ومنعاه من مغادرة أراضينا

(١) جاء فى كتاب (عن طريق التضليل والمخادعة)BY WAY OF DECEPTION....

والذى تحدث فيه مؤلفه فكتور أوستر عن نشاط و ممارسات جهاز الأمن الاسرائيلى (الموساد) : بأن الجزء الأول من عملية ترحيل الفلاشا (OPERATION MOSES) تم بعد أن اقنع أنور السادات بطلب من " بيجن " النميرى ، واستمر ترحيلهم حتى اغتيال السادات فى ١٩٨١ : .. أما الجزء الثانى فقد تم و بإشراف عمر محمد الطيب تحت ستار الاغاثة الدولية بعد أن وافق نميرى على ذلك بطلب من نائب الرئيس الأمريكى (بوش) بعد ان التزم اليهود باكمال العملية فى سرية تامة .. وكان وزير الخارجية آنذاك (هاشم عثمان) يعلم بذلك وقد حاول عمر إمصاعها باثيوبيا عندما انكشف أمرها فى اجتماعه بالدبلوماسيين العرب والافارقة يومئذ بالخرطوم

(٢) عمر محمد الطيب - الحوادث ١٩٨٥/٢/٨ م . والإتحاد ١٤٠٥/٥/٩ هـ

.. نحن لا نتعامل مع اسرائيل ولا نقيم معها علاقات دبلوماسية " (١) ...

وتبادره الصحفية ...

(وزير الخارجية المصرى عصمت عبد المجيد يقول إنها تمت من السودان ... وهناك شركة نقل بلجيكية تنقل الفلاشا من الخرطوم عبر مطارات أوربية ؟)

وتأتى اجابته (٢)

" تصريحات الشركة البلجيكية الناقلة يمكن ان يكون المتحدث باسمها شخص مشبوه وينفذ رغبات جهات متآمرة على السودان ... نحن لا نعلم أى شىء عن عمليات النقل التى أدعت الشركة المذكورة القيام بها ، ولم تتم عمليات ترحيل من غير علمنا .. اللهم إلا إذا كانت فى مكان سرى لا نعرف به .. لكن من مطار الخرطوم وبواسطة طائرات كبيرة تستوعب الأعداد الكبرى فهذا ما تنفيه جملة وتفصيلاً " (٣)

(**شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه**)

وكان شر أيام نميرى يوم ان حطت الطائرة التى اقلته من واشنطن لمطار القاهرة ، عندما اخطره الرئيس مبارك بحقيقة الوضع فى السودان ، واخذته سيارة عادية وبلا صفير لتقف رجلاه ... عن السير فى درب السياسة الطويل ، من غير هدى وبلا دليل ، ليكتوى بنار نزع الملك ويظل فى المقاعد الخلفية يحلم بالعودة ويتجرع المستحيل ...

و تأتى كلمات شمال الوادى

سألت الأيام السودانية (٣) ، الرئيس مبارك ...

(من المؤكد أن التفسير الذى حدث فى السودان كان لابد ان يصيب هذه العلاقة بالاهتزاز ، لان النظام البائد فى السودان كان يعطى انطباعاً - صدقاً أو كذباً - بأنه يعيش تحت حماية مصرية !!) ...

(١) عمر محمد الطيب - الحوادث ١٩٨٥/٢/٨ م . والإتحاد ١٤٠٥/٥/٩ هـ

(٢) تمت عمليات النقل لبعض الفلاشا من مطار العزاة بالقضارف و بإشراف ضباط الأمن ومعرفة رئيس الجهاز: ويبلغ العدد الكلى لليهود الفلاشا الاثيوبيين ١٦ ألف نسمة .. لقى من وصل اسرائيل منهم معاملة سيئة بسبب لونهم الاسود، وبمطالبة الحاخام الاكبر بان تجرى لهم عملية التحول نحو اليهودية (عملية الاهتداء)، فزاد التشكيك فى عقيدتهم وعقده لونهم الاسود من شعورهم بالاضهاد مما أدى لانتحار بعضهم، لذا فقد قررت اسرائيل إكمال عملية الاهتداء قبل انتقالهم لاسرائيل بواسطة رجال دين أرسلوا لاثيوبيا قبل استئناف عملية التهجير ...

(٣) محبوب محمد صالح ٢١/ربيع أول/١٤٠٥ هـ .

وأجاب الرئيس المصرى ...

" نحن نتعامل مع حكومة قائمة فى السودان ، ونتعامل معها مدركين إنه لا يحق لنا ان نتدخل فى شئونها الداخلية وان الشعب السودانى هو الذى يحل مشاكله ويقرر نوع الحكومة التى يريد ، وما كانت الحكومة القائمة آنذاك تستشيرنا فيما تتخذ من خطوات ، ومن ناحيتنا كنا ندرك اننا لا نستطيع ان نفرض رأينا على حكومة أخرى واقصى ما كان متاحاً لنا هو ان نقدم النصح الأخرى ...

وأود ان أؤكد اننا فى ذلك لم نقصر ابداً ... وقد ظللت أقدم النصح لنميرى قى اسوان وفى الاسكندرية وفى كل لقاءاتنا ، وظللت أحذره من مساره السياسى الذى يجد مقاومة من الشعب السودانى ، وليس ذلك فحسب بل أرسلت له عدداً من المسئولين من الوزراء أنبهه لذلك ، ولكنه لم يستمع لنصحننا ، وما كان فى مقدورنا ان نفعل أكثر من ذلك . " ويظل

(جلد الخنزير لا يندبغ)

ليأتى عليه الحريق ... وهو يغازل مشكلة الجنوب بقراره بتكوين اللجنة القومية للسلام برئاسة سر الختم الخليفة- ويجعل من مهامها " اعداد صيغ الاتفاق النهائى القانونية والدستورية ، وتقديم المقترحات الواجب ادخالها على الدستور . " (١) ...

ويدركه الصباح وهو يحاول احتواء الختمية والاتحاديين بتكوين لجنة قومية لتخليد ذكرى سيادة السيد على الميرغنى وقادة الحركة الوطنية برئاسة الفريق أول سوار الذهب ويجعل من ضمن مهامها " جمع المذكرات والوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية وقاداتها للاستفادة منها فى تسجيل تاريخ السودان الحديث واثراء مصادره ، وطبع سفر يحوى مناقب ومذكرات سيادة السيد على الميرغنى ودوره فى الحركة الوطنية " (٢)

(١) الصحافة ١٤/٣/١٩٨٥ م " قرار جمهورى "

(٢) الصحافة ١٤/٣/١٩٨٥ م " قرار جمهورى "

(الباب السادس)

فقهاء السلطان و جماعة الوسط الضائع

كان سَنَدَانَا فصار مِطْرَقَة ...

قال بعض الحكماء :-

" الذى يحدث للملوك التيه فى انفسهم ، والإعجاب بأرائهم ، كثرة ما يسمعون من ثناء الناس عليهم ، ولو أنهم أنصفوهم لأبصروا الحق ، ولم يخف عليهم شيء من أنفسهم "

ركن النميرى للحكم بعد الانقلاب الشيوعي عام ١٩٧١م معتمداً داخلياً على مؤسسات نظامه

" إننا لا نريد من مجلسكم هذا ان يكون حارق بخور ، أو مادحاً متهاكاً لا لرئيس الجمهورية ولا لجهازه التنفيذى ... كما لا نريد له ان يكون قادحاً مطلقاً لماثر الناس يغطهم أشياءهم " . (١)

" الذى أريد ان اقله وأوضحه ، اننى وكما تعلمون لست زاهداً فى المديح فحسب ، بل اعتقد مخلصاً اننى لا استحقه ... إن ما أريده واطلبه منكم جميعاً ان أسمع وبالصوت العالى ، نقداً بناءً لمنجزاتى وممارساتى لو شابها الخطأ أو تجاوزها الصواب " . (٢)

وصحبه أولاً فى مسيرته هذه ، جماعة من العلماء والمنظرين والمفكرين والأدباء . . . مهنئون واداريون وفنيون ومتخصصون ، وسياسيون ... هم من صنع مؤسساته

ولما ذهب هؤلاء موتاً وابتعاداً وابعاداً ورفقة صامتة ، صحبه جماعة من نعى بالوسط الضائع ... يبتغون عرض الحياة الدنيا بطلب المنفعة الذاتية والسلطة والمكانة فى نفس القائد .. ولما صالح وشهد المعركة بين القادمين والقدامى صحبه جماعة القانون والتقنين والتشريع

(١) جعفر نميرى فى افتتاح مجلس الشعب القومى ١٢/١٠/١٩٧٢ م .

(٢) نميرى فى لقاء المكاشفه يونيو ١٩٧٥م .

... مصممو قوانين الشريعة

فمن منهم ذكره بحديث الرسول (ص) ...

" ما من وال إلا إله بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتناهى عن المنكر وبطانة لا تألوا خبالاً فمن وقى شرها فقد وقى ، وهو الي من يغلب عليه منها "

ومن منهم قال لنميرى كما قال طاؤوس لسليمان بن عبد الملك :-
" هل تدرك من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، من اشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه "

وهل يعقل أن يفعل نميرى كما فعل سليمان عندما استلقى على سريريه وما زال باكياً حتى قام جلساؤه ؟ !

ومن منهم توج علمه ورفع هامته وانتصر لسلطان العلماء كما فعل الإمام مالك بن أنس ، امام دار الهجرة ، عندما طلب منه الخليفة هارون الرشيد أن ينتقل الى قصره ليقرأ موطأه علي ولديه الأمين والمأمون ، فقال :-
" أعز الله أمير المؤمنين ، ان هذا العلم منكم خرج فان أعزتموه عز وان اذلتموه ذل ، والعلم يؤتى ولا يأتى " . .

فقال هارون الرشيد " صدقت " وأمر ولديه ان يخرجوا الى المسجد ليستمعا موطأ مالك وشرحه مع الناس .. وزاد امام دار الهجرة مشروطاً " على ان لا يتخطيا رقاب الناس ، ويجلسا حيث ينتهى بهما المجلس " . . . فحضرا علي هذا الشرط

" لقد استسمعت ذا ورم " . . .

وضع د. جعفر بخيت بصماته فى الصفحة الاولى من دفتر مايو ... الحكم المحلى واللامركزى والإدارة وحاكمية التنظيم ودستور ١٩٧٣ الذى وضع كل السلطات فى يد رئيس الجمهورية . . . وأدى دوره تدريجياً " وقفزاً بالعمود "

" إلا ان المسودة الإضافية المتكاملة فقد أعدها د. جعفر بخيت وأسهم معه فيها بدر الدين سليمان وشخصى " (١) . . .
ووصف د. بخيت نميرى أمامه بأنه . . .

" تجمع فيه روح بعانخى وتهراقا والمهدى ورث الشك وبادى أبو

(١) د. منصور خالد - النفق المظلم - دستور ٧٣ م .

شلوخ " (١) ...

ويصفه من خلفه

" هذا صنم صنعناه بأيدينا ولن يذله إلا رب العباد . " (٢) ...

وتأتى ذكرى الأربعين لوفاته (٣) ... فيقول نميرى فى تأبينه :-

" لقد عرفنا فيه نحن زملاؤه فى الاتحاد الاشتراكى السودانى ثباتاً على المبدأ لا يتزعزع ، وصموداً فى الموقع لا يعرف التردد أو النكوص و التزاماً صادقاً فى تحمل المسؤولية وأداء الواجب وعشق العمل والتصوف و التبتل فى رحابه تجويداً ، خلقاً وإبداعاً ...

لقد عرفت فيه موطن ثقتى الأمين وذخر نصحيتى الصادق ، ويمينى التى لا تلين .. لقد عرفت فى الصديق الراحل ولمست فى مواقفه وممارساته انبل وأكرم مثل وسجايأ شعبنا من صدق الكلمة والوعد وصفاء النفس و طهرها ووفاء القلب وشجاعة الرأى ، وقد زانه فى كل سعيه وشاح من نبل القصد والأدب والتهديب وعفة اللسان الذى كان برداً وسلاماً على من خالفوه الرأى وجادلوه فيه قبل الذين نهلوا من نبعه وساروا على نهجه . "

كان نميرى يتلو ما يكتبه له كتاب الخطابات الرئاسية السياسية (٤) ..

كان (مثل ابنة الجبل مهما يَقلُ تَقُلُ)

وجاء دور الأديب عمر الحاج موسى ...

و " لَيْنُ الكَلامُ قِيدُ القلوب "

" أهلى لا ينسون هم كالمصاغة أعلم الناس بخير الذهب ... هم

كالنسابة أعلم الناس بجيد النسب ...

وأحبك أهلك سيدى الرئيس لأنك كرمت القرآن ، وأمرت مساعدك

ومعاونيك ان يكفوا عن لعب الورق وشرب العرقى واستباحة الجمال ...

وأحبوك لأنك تصلى معهم الاوقات الخمس اماماً لهم فى جماعة تكفى سهوها

ويدخر لنا أجرها ..

(١) ١٩٧٥م (٢) جعفر بخيت لابی بكر الوقيع (د. منصور خالد النفق المظلم)

(٣) ١٩٧٦/٥/٦م : " من أقوال د. بخيت " الدولة لا تتعبد ولا تصوم ولا تصلى

(٤) عمر الحاج موسى ، منصور خالد ، مهدي مصطفى الهادى ، جعفر بخيت بدر الدين سليمان ،

أبو بكر عثمان ثم محمد محبوب سليمان وآخرون

أحبك أهلك سيدى الرئيس ، لأنك فقير جئت من أب ومن أم من عامة الناس ، واحتفظت بنقائك لا دار ولا عقار لا متاع ولا أنعام . " (١)
وختم حديثه ، ترنيمة الوداع الأخيرة بقاعة الصداقة (٢) . . .
" سيدى الرئيس : الأمر ليس بيدك والخيار ليس لك فالرأى رأى الشعب السودانى .. وعاش الشعب السودانى اللطيف الخبير الجبار المتكبر .. وشكراً جزيلاً . " . . .

وما كان له بعد ذلك من قول إلا نعى الرئيس . . .
" كان حتى آخر لحظة كما عودنا الى جانبنا ، وراء المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى تنظيمياً وتخطيطاً .. وتابع أعماله بعواطفه وفكره وجهده حتى سقط شهيداً فى ساحته . " . . . ومن سابق الدهر عشر . . .
" الرؤىة أحد الشانمين . "

د. منصور خالد فى مايو (٣) كان وزيراً للشباب والرياضة والشئون الاجتماعية وكانت أول مهمة أوكلت إليه " هى التعبير عن السياسات والمبادئ التى أعلنها النظام منذ مولد الثورة " . وهو أول من أنشأ كتائب الشباب وسن المهرجانات الشبابية بالمساعدة الكورية ، وهو فى بحثه عن فلسفة خاصة بمايو دعى للملتقى الفكرى بالخرطوم (٤) . . .

" ومهما يكن من أمر فإن ثورة مايو نفسها لم تكن ثورة ايديولوجية ولم تكن لقادتها التزامات ايديولوجية بعينها سوى الوطنية الايجابية وبما أنها طرحت شعار التلاحق الفكرى ، فبمثل هذا التلاحق الفكرى وحده نستطيع تكوين فلسفة أصيلة خاصة بنا بدلاً من السعى وراء حوانيت الايديولوجيات لإبتياح المعلبات الفكرية . "

ثم كان وزيراً للخارجية والتربية والتعليم وأحد مستشارى الرئيس ، وهو عضو اللجنة التأسيسية للاتحاد الاشتراكى وعضو لجنة المركزية ومكتبه السياسى ، ومساعد للأمين العام للفكر والمنهجية والدعوة وعمل رئيساً لمجلس إدارة الصحافة . . .

(١) من كلمته فى ترشيح وانتخاب نعيمى رئيساً للاتحاد الاشتراكى

(٢) المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى ١٩٧٧/٢/١ م .

(٣) عرف منصور قريه صانع القرار والسلطة فى الخمسينات بعمله سكرتيراً لعبد الله

خليل رئيس وزراء حكومه السيدين عن حزب الامه . . .

(٤) ١٥-٢٢ مارس ١٩٧٠ م .

" وكان د. منصور يردد إنه مع الديمقراطية ، ولكن تعدد الأحزاب مستحيل في بلد ثلاثة أرباع أهله أميون ، يعيشون دون المستوى المقبول انسانياً ويخضعون لسيطرة القبيلة التي ينتمون إليها .. وكان يرى ان الحاكم لابد ان يعتمد على حزب واحد ، أو تنظيم سياسى واحد يشكل من دعامتين ! الدعامة الاولى وهى " الصفوة " من رجال البلد ، والدعامة الثانية هى العقيدة السياسية التى تنبثق من تراثهم .. وهو يرى ان تحقيق مثل هذا التنظيم السياسى الديمقراطى لا يمكن ان يتم عن طريق قرار برلمانى لأن " القول بأن برلمان السودان قد قرر ما قرراستجابه لنداء الجماهير قول يجب ان ينظر إليه بحذر ولا أريد ان أقول مع القائلين ان الذين اجتمعوا إنما همج هائج ورعاع منتشرة " ثم يدافع عن رأيه " اننا نتحدث اليوم عن الديمقراطية وحكم الشعب والاشتراكية والتنمية .. وكل هذه الأشياء غيبيات عند الرجل الريفى ولا يمكن ان يستجب لها ويتفاعل معها ، مالم تكن هناك توعية .. " (١).

وقد سئل د. منصور عن مخاطبته الصفوة على وجه التحديد (٢) ... فأجاب ... " لعلك تقصد كتاباً كان ميلاده فى الستينيات وفيه حرصت على ان أؤكد حقيقة هامة .. ذلك إنه فى مجتمع العالم الثالث نعتبر الصفوة هم اكبر وكلاء التغيير ، فالصفوة هى التى تملك ان تترجم بلغة العصر أحاسيس الجماهير " .. ولما قال له السائل : ولكنك (تعزل) الطبقات الكادحة وهى من جسد الشعب وهيكله !! .. قال ...

" الطبقة الكادحة فى المجتمعات التى ليست كمجتمعات أوروبا المتقدمة حيث ان هذه الطبقات لها من الوعى السياسى ومن تراث النضال السياسى ، ما يجعلها ليست فقط قادرة على التغيير بل ومدركة لمحتوى هذا التغيير وأهدافه " ..

ويؤيد حل مايو لمشكلة الجنوب ويدافع عنه ، ولكنه لم يفصح عن الأشياء الأساسية التى بدأ يقبلها الجنوبيون وماكان الحديث عنها بممكن من قبل الاتفاقية

" تريدنى ان أقدم تقييماً لتجربة الحكم فى الجنوب .. وهذا هو التقييم ١- فى ظنى ان هذه التجربة رائدة وفريدة .. رائدة كاسلوب للعمل السلمى

(١) جريدة الاتحاد ١٤٠٥٨١ هـ فتحى غانم .

(٢) صباح الخير ١٩٧٧/٦/٢م مفيد فوزى .

لمشكلة مستعصية وحل فريد من ناحية الصيغة ..

٢- هذه التجربة تدرسها إحدى مؤسسات جامعة لندن ، فهم يدرسون هناك مشكلة الجنوب كنموذج ، وشرح اسلوب المفاوضات والإعداد له .. وكيفية الوصول الى صيغة معينة ..

٣- الجانب الآخر من تقييم التجربة هو " السرعة " التي تمت بها ، إذا اخذنا في الاعتبار إنه في خلال سبعة عشر عاماً من الصراع الذي كان قائماً ، وخلق قدراً كبيراً من عدم الثقة ، فبعد توقيع الاتفاق سقطت الحساسيات وذابت وكان الإطار الذي انتهى بأن الأخوة في الجنوب بدأوا يتقبلون أشياء أساسية بالنسبة لنا ، بل ما كنا نستطيع الحديث عنها قبل عقد الاتفاق . " (١) ...

و يصف د. منصور اسلوب نميري لازالة شكوك لاقو عند الاتفاقية ...
" بيد أن اسلوب الرئيس نميري في معالجة هذه الشكوك كان اسلوب السياسي الماهر . "

ويدافع عن نظام مايو عملاً وأمناً

" وفي الجانب الآخر لابد ان يدرك المخاصمون والناقدون بأن النقد الأمين لا يقبل التحامل الظالم الذي ينكر حقائق الحياة خلال تسعة اعوام من العمل المشهود كقرآن الفجر ... فالنقد الأمين لا يبيع ان يغمط الناس أشياءهم كما لا يبيع الاسراف الطافح في تهويل الأحداث بصورة تحتقر العقل والمنطق ، كان نرى في التذمر النقابي المحدود ايذاناً بثورة شعبية ، ونرى في اجراءات الحماية المشروعة لكيان الدولة وحقوق العباد مظهراً للفاشية ... ويكاد من يسمع لمثل هذا الهذر يظن اننا نعيش في اكبر دول العالم قهراً مع اننا نعلم علم اليقين ان هنالك ما يعصم أجهزة امننا القومية من الانحراف نحو القهر ، والذي يعصمها قبل القانون والدستور ، انما هو شرع عشائري . وشرعنا العشائري هذا يحسب تعطيل الارحام اثماً ، ويلجم المغالين في هذه (٢) الأجهزة بل يحملهم على تقليص أظافر العداء بالحلم لا بالقهر ، والحلم عشيرة كما يقولون "

(١) د. منصور خالد - صباح الخير ١٩٧٧/٦/٢ م .

(٢) د. منصور خالد - الصحافة ١٢ / ٤ / ١٩٧٨

وفجأة يأتى د. منصور وحاله هاتفاً

(قد كان ذلك مرة فاليوم لا)

ويجيبه الماضى

(ما ذنبى .. يداك أوكتا و فوك نفخ)

فيدافع د. منصور فى صفحات كتبه ...

" وحقيقة الامر ان هذا النظام إن استطاع خلال اعوامه التسعة (١) ان يسور عديد المشاكل وخطيرها ويتجاوزها ، فإنما فعل هذا بالمجابهة الشجاعة

لا بالمخاتلة وبالمراجعة الجريئة والمسئولة لا بخداع النفس . " (٢)

ويتحدث عن اسلوب النميرى فى الحديث والخطاب ...

" وبهذه الروح كانت خطابات لزملائه ومساعديه خالية من القدرح والاساءة لان كُتّاب الدولة آنذاك كانوا يتمتعون بقدر من الوازع الأخلاقى

والفكرى . " (٣)

و " وكنا وسنظل بالحس والوجدان اصحاب حق فى التباهى بهذا الإنجاز .. إنجاز مايو فى عشر سنوات ، كما كنا وسنظل ذرو مسئولية عن بعض هذا الإخفاق وسيبقى هذا الإلتزام الفكرى والوجدانى بالنظام الذى وفر لنا فرص الاداء الكبير بكل انجازه واخفاقه ، حقيقة لن يضعفها شعور بالإحباط أو غيظ من كل الأخطاء التى ترتكب باسم الأهداف النبيلة التى

نهضنا من أجلها . " (٤)

اين هذا الإنجاز من

- نتيجة انتخابات الولاية الثانية للرئيس ، ١/٩٩٪ ... (٥)

- و " أى معلم أو طالب لا ينخرط فى التنظيم لابد أن يحسب فى

عداد غير الملتزمين بالثورة مهما انجز وجود من أجل العلم ومن أجل الوطن .

" ... (٦) ... "

(١) اعفى د. منصور فى ٢٩/٧/١٩٧٨م . (٢) لا خير فينا ص ١٢ /

(٣) لا خير فينا ... ص ١٢٢ .

(٤) لا خير فينا ... ص ١٦٢ .

(٥) اعلنها محمد الباقر احمد ٢١/٤/١٩٧٧م .

(٦) فرع الطلاب جامعة الخرطوم فى مناقشة قوانين التعليم العالى الاربعاء ١٢/١١/١٩٧٥م

- و " إن أساس الإختيار والانتماء لمواقع العمل المختلفة لابد أن يكون في المقام الأول الالتزام السياسى ودونما تحديد لما نعينه بالالتزام السياسى^(١) و " برئت قائبة من قوب

(عندما يترك الوزير أو الكبير منصبه مغالاً أو مطروداً أو مبعداً فإن كثيراً مما يكتب لا ينظر إليه بارتياح حتى عندما يقول الحقيقة لأن الكاتب فى هذه الحالة صاحب موقفين متباعدين متناقضين .. الأول موقفه وهو يؤيد ويصف مادام فى الحكم والثانى موقف المعارض الذى يتمادى فى اللد فى الخصومة لأنه أبعد من منصبه ، ومن سوء الحظ أن كثيرين فى العالم العربى من النوع الأخير .)^(٢) . . .

و " ولعله من أبشع مظاهر عدم المسئولية ان يتحدث المسئولون بعيداً فى الونسه ويصمتون قريباً داخل الأجهزة ، أن يلوذوا بالصمت ويكتفوا بالمسايرة فى مواقع المسئولية ثم يستاسدوا ويستسروا ويصولوا باللسان والقلم عندما يبتعدون أو يبعدون ، والامثلة كثيرة ، أو عندما يخلون للاصدقاء والاصفياء من خلف الحاكم والامثلة كثيرة

فهاجس السلطة عند المثقف كثيراً ما يضع هذا المثقف فى تناقض مع ذاته ومع مجتمعه ، وفى معركة بين ماضيه وحاضره وفى صراع بين افكاره ومطامحه ، وهى الظاهرة التى استوقفتنى وتطرقت إليها كثيراً فى كتابات سابقة لأنها ظاهرة متفشية فى وسط كثير من مثقفى العالم الثالث .. وخصوصاً فى العالم العربى .. فكثير من المثقفين الذين يرتقون أعلى المواقع وتحملون أكبر المسئوليات واطرها يشغلون بمظاهر السلطان وظواهر السلطة ، وعندما يكونون بعيدين عن مواقع ومقاعد الحكم يضعون على رؤوسهم عمامة الاستاذية ويعتلون المنابر ويتفنون فى اساليب النقد والهجوم ويسوقون ألوان النصيح والإتهام ويبرعون فى تلقين دروس المسئولية . " ^(٣) ...

(١) تعميم مجلس الوزراء للقيادات والأجهزة التنفيذية . . .

(٢) جريدة الجمهورية ٢٣/٥/١٤٠٥هـ (من القلب) محسن محمد .

(٣) د. اسماعيل الحاج موسى - التضامن ١٩٨٤/١١/٤٢ العدد (٨٥) فى دهايز السلطة -
مذكرات لم تكتمل (لم تفلح الثورة فى مجاربة النفاق والرياء السياسى الذى نما واستفحل فى عهدا)

" كل شاة تناط برجليها "

فى كتابه السودان والنفق المظلم يبحث د. منصور خالد عن مبررات لما تركه عمله وفعله من أثر لمايو، وهو الذى قدت سيور مايو من أديعه، وجاءت عصارتها من عوده، ولا يفوت على فطنه القارئ ان يتحسس بين السطور كيف كان النميرى قبل ان يصنع منه الفقهاء صنماً....

" من الجلى الذى لا خفاء فيه أن نميرى ١٩٧٤م كان بدرك قدر نفسه ويعترف باقدار غيره مما زاد من تقدير الكثيرين منا له، واعجابنا به وما بلغ به التيه مبلغاً يجعله يدعى لنفسه ما لا يفعله^(١) " ذلك هو نميرى عام ١٩٧٤م بشر مثل الناس جميعاً يتعلم من الآخرين يخطيء ويعترف بالخطا ويسال العارفين النصح والمشورة وينتقى معاونيه حسب علمهم من ذوى الهمة والمطمح ومخبرى التجارب.... وفوق كل هذا لا يدعى بحال إنه ملك السودان الفيلسوف... " (٢)

والتاريخ الذى يحدده د. منصور خالد لبداية تحول النميرى هو ليس السنوات التسع أو العشر التى مرت منذ ١٩٦٩م وحتى ١٩٧٨م، سنوات مصاحبته لمايو... وما تلك بكبيرة أو عسيرة على مقدرات د. منصور التبريرية فقد حوت مقدمة الكتاب أن جعفر نميرى ولرات عديدة حاول التهرب من المسئولية فى لقاءات المجابهة بين الأجهزة السياسية والتشريعية والتنفيذية....

" إلا أن الحاكم الفرد ظل يتصرف كأن العالم كله لا عقل له .. ولن يجنح الى مثل هذا إلا حاكم ذهب عنه كل مذاهب الحشمة والحياء... " (٢) ..

بالأمس القريب يصف د. منصور نميرى بأنه بطل السلام فى الجنوب .. وإنه زعيم التجديد .. وداعية التطور العلمى وعند الفراق صار النميرى سياسياً حداثياً. يفعل ما فعل بإسم الدين، الدين عنده مزيج من النفعية السياسية والتخبط الروحانى، ويمارسه إرهاباً

(١) النفق المظلم ص ١٠٤

(٢) النفق المظلم ص ١٠٥

باسم الدين ويزيد متحفظاً بأن شيئاً ما قد طرأ على قوى نميرى العقلية كما هو فى نظر الاغلبية . بينما القلة فى دهشة من أمرها وبالرغم من هذا فإن تحليل شخصية الرئيس نميرى ليست الامر السهل ... فنميرى ليس هو فقط قائداً يعانى من جنون العظمة ، فلو كان هذا لهان الامر .. إن لشخصية الرئيس نميرى وجوهاً خمسة لا تجمع بينها رابطة أو وشيجة بل تعمل كل منها بمعزل عن الأخرى .. فنميرى زعيم عالم طامح سعى أو يظن إنه يسعى لبناء السودان على صورته .. ونميرى رجل استبدادى لا يطيق ان يرى قياداً يحد من سلطانه حتى وان كان هذا القيد هو القانون الذى وضعه هو أو مهره بتوقيعه .. ونميرى رجل خرافى تذهب به الخرافة مذاهب بعيدة ترفضها العقلانية ولا يبلغها أى رجل بلغ الحد الأدنى من الإستتارة .. ونميرى رجل منتقم يسعى ما وسعه الامر الى إذلال خصومه أو من يخيل إليه انهم خصومه مما افقده أدنى درجات الوفاء حتى لرفاق سلاحه ، من حملة منهم الى سدة الحكم ، ومن وقف منهم يدافع عنه بالسيف الراعف حتى الممات ، ومن انهضه من تحت نعال الموت ... ونميرى مع كل مظاهر شجاعته ، رجل يخشى المجابهة ويفر عند أول لقاء مما يفسر الكثير من مواقفه المتناقضة مع خصومه بل ويفسر غلوائه فى الاستفزاز والاستعداد ساعياً دوماً للطعن وحده ، والنزال فى أرض خاليه يختارها هو وميقات يحدده هو .. وفى قول الأحنف بن قيس " اسرع الناس الى الفتنة أقل الناس حياءً من الفرار " ونميرى فوق كل هذا ومع كل ما اعتلاه من منصب وأتيح له من فرص لتقليم النتوءات فى شخصيته ما زال يعانى من خصيصة هامة من خصائصه الا وهى " البلطجة " ، وهى بلطجة تشهدها حتى فى تعامله مع الأبعدين ناهيك عن الأقربين ... (١)

" ولا شك فى ان جعفر نميرى رجل لطيف المعشر ذو قوة واسعة على كسب الناس دوماً بارتدائه عباءة الرجل البسيط مما يترك انطباعاً حسناً عند من يتلقاه لأول مرة ، وكثيراً ما تظاهر نميرى بمظهر الرجل المظلوم ، والمغلوب على أمره ، وهذه كلها مظاهر ، فالرجل كله مظهر دون مخبر ، وشكل دون محتوى ... ويتصف نميرى بشخصية قلقة تكره الوحدة ويفسر هذا حرصه الدائم على احاطة نفسه بالصحاب من أصحاب الهموم الدنيوية ، وممن هم أقل ضعفاً منه حتى يحيطهم بحمايته ورعايته ، ولم يعرف عن الرجل

(١) د. منصور .. التفق المظلم ص ٩/٨

حرصاً على القراءة ، فالقراءة رياضة وجدانية ، إلا إنه بالرغم من ذلك

أصبح مؤلفاً على أخريات أيامه . " . . . (١)

والأمر متروك لك أيضاً أيها القارئ الكريم .. ولقدرة ذاكرتك على استرجاع وتذكر حوادث الأزمان ، والربط والتوفيق بين المواقف المتباينة ، لشخصية واحدة ... وحسن استنتاجك فى محكمة التاريخ ووحدة الزمن ثم حدد لنفسك مختاراً

من هو المصاب بداء النسيان .. القارئ أم من نظر وحدد وبرر كل السياسات والاتجاهات الرئيسية لحكم الفرد المستبد وبناء وتركيبه ، حتى اذا ما رأى النعش المايوي ، بدأ مصفقاً مهللاً مبشراً بعهد آت (٢) معتقداً ذكاه وغباء الآخرين

ظل د. منصور إبناً مطيعاً باراً بمايو .. مارس فيها حياته السياسية والإدارية والتنفيذية والفكرية على أعلى مستويات الدولة ومحافلها الداخلية والخارجية ... نظر كثيراً وساهم فى اصدار قرارات عدة سكت عن بعضها وأيد الآخر ... هو مع مايو يؤيد دكتاتورية التنظيم الفرد ؛ وهو ضدها مع التمرد قومى يرى اشتراكية الموارد وعلمانية الحكم واحقية العنصر الأفريقى فى حكم السودان (سيحكم السودان من ليس بمسلم ولا عربى) ... " ليس هنالك صيغة مقدسة ، ولكن صيغة الحزب الواحد أو التنظيم الواحد لا يصلح ، كما أن صيغة التمثيل النسبى لا تصلح .. التعددية هى الصيغة التى تتيح لكل القوى الوطنية فرص التمثيل وحقوق التعبير عن الرأى حيث يبقى الحسم للرأى الغالب أو قرار الأغلبية ، وإذا كان من واجب الاقليات ان تتصاع بروح الديمقراطية لرأى الأغلبية ، فإنه يكون بالمقابل من واجب الأغلبية ان تحترم وتعتبر رأى الاقلية أو الاقليات وأنا لا أذيع سراً اذا قلت ان اكبر تجمع وطنى خارج السودان وهو تجمع المغتربين فى دول الخليج لعب دوراً هاماً قبل الثورة (رجب) حيث هيا لها وكان لدوره انعكاسه وتأثيره داخل السودان .. وهذا التجمع هو الذى وضع الميثاق الذى قبله السودانيون جميعاً " (٣)

(١) د. منصور .. التفق المظلم ص ٢١ . (٣) د. منصور خالد - الصحافة ١٨/٥/١٩٨٥م

(٢) انضم منصور خالد لحركة التمرد فى ١٩٨٤م لأسباب يحدد أهمها بكونها " اعتمدت فى نضالها لتحقيق مشروعها السياسى المزج بين الجانب السياسى الشعبى والجانب العسكرى " - الاهالى المصرية .. وعمل من بعد فى صفها فنياً خبيراً ومستشاراً سياسياً لقائدها " قرنق " ..

" السكوت أخو الرضا "

وبقيت شهادة الرئيس وسجلات أمنه ومخابراته ...
ذكر العميد الهادي بشرى ، المسئول عن تصفية وحصر ممتلكات جهاز
أمن الدولة المايوية بعد الانتفاضة ، فى مقابلة مع القسم السياسى لجريدة
الصحافة ، عندما سألته :-
(وانت الذى دخلت مطبخ النظام ووقفت على طبخته وأوصافها
والسموم الموضوعة فى بعضها فألى أى مدى تلمس صدق ما كتبه منصور
خالد ؟)

" العميد يجيب :- ... بصراحة قد لمست الصدق فى بعضها كما تأكدت
إنه فى كثير من الأحيان كان يكذب ، ومن خلال المستندات تأكدت من كذبه
هو وامثاله من اعلام بعض الاحزاب ومن العاملين فيها الان . "^(١)
وعندما سألت نفس الصحيفة نميرى حول ما يراه فى سلسلة المقالات
التي يكتبها د. منصور خالد هذه الايام^(٢) ... أجاب النميرى رئيساً
" اننى اتابعها كقارئ واحتفظ بحق المقارنة بين ما هو مطروح وبين
أسلوب المشاركة وحصيلة المشاركة لكاتب المقالات حينما تعاون معنا منذ
تفجير الثورة وحتى شهور قليلة مضت . "

ترى ماذا سيقول النميرى طريداً لو تهيأت له مقدرة الكتابة وجمع
شتات الذكريات ، وأيام مسرة الرئاسة وكتب عنم كان حوله من رجال ؟^(٣)
إن ما فعله منصور خالد من موقف تجاه مايو ورجالها ليس غريب على
تاريخ الكتابات السياسية فى العالم العربى فالأمثلة كثيرة .. فمن قبل أدار محمد
حسنين هيكल انتخابات استفتاء الرئيس أنور السادات للرئاسة وكانت نتيجته
٩٠.٠٤٪ من أصوات الذين اشتركوا فى الاقتراع لصالح السادات
" ولقد أدرنا الحملة الانتخابية لأنور السادات للاستفتاء على رئاسة
الجمهورية على أساس إنه كان الرجل الذى اختاره جمال عبد الناصر
لهذا المنصب بنفسه حين أحس باحتمال خطر على حياته ؛ وحين توج السادات

(١) الصحافة ١٣/٢/١٩٨٦م (د. منصور خالد كذب كثيراً وفق مستندات الامن) .

(٢) الصحافة ٢٣/٢/١٩٨٠م بخيته أمين .

(٣) بالرغم من المحاولة المتكررة للتيقن من حقيقة ما كتبه جعفر نميرى منفياً بمصر عن
(رجال كانوا تحت حذائى) ومخالفة واقتراح كاتبه ومستشاره الصحفى محمد محبوب سليمان بتغيير
الاسم ليصير (رجال كانوا من حولى) إلا اننى لم أقف على جلية الأمر السماعى النقل ... ويظل ذلك
همس مجالس فقط ...

بعد إعلان نتيجة الاستفتاء الذي لم يكن هنالك من ينافسه فيه .^(١)

وأجرى السادات استفتاء آخر بعد مظاهرات ١٩٧٧م كانت نتيجة

٩٩,٤٣٪^(٢)

وعنها كتب هيك منتقداً

"وأصبح السادات في اخريات ايامه يصدق كل ما يقدم إليه من نتائج استفتاءات ويصر على ان اكثر من ٩٩٪ من المصريين يؤيدون سياسته وان لا أحد يعارض سوى قلائل من الاراذل والمنحرفين ، ولم يكن على استعداد على الإطلاق لان يعرف ان كل استمارات الإستفتاءات تملأ نى الريف بواسطة الإدارة وبدون ما حاجة الى شكلية عملية الاقتراع بها فيها عدا الاصوات .."^(٣)

وأحسبك توافقنى على أن فارق النتيجة (٣٦٪) لا يكفى لإشعال ثورة هيك على السادات ، ولا ان يكون قناة تتسع لسريان لعنات خريفه الغاضب

وخلفوا من بعدهم خلفاً ينشدون

"إنى لأرجو منك شيئاً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل "

جمعت مايو ، كحاطب ليل ، العالم المستتير ، والجاهل والمغرور ، ولكل طريفته فى حرق البخور ... وتساوى فى صفوفها الإدارى ذو الخبرة والمهنى ذو الكفاية ، ورهط من سماسرة الاسواق ورجرة الطرقات ... ومن كل تجد من أجاد مسح حذاء الأمير وادمن لعق خف السلطان ، واحترف كى جوخ القائد ... ومنهم ذو القدرة على فهم وادراك وتحليل ما يدور ، ولكنه يضع على عينيه غشاوة لأن النفس حبلت بحب الذات والجري وراء المزايا الشخصية الوفيرة حول الحاكم

أرادتهم مايو فى البداية للمشورة ، لأنه بها يكسب الحاكم ثقة أمته ، وتزيد ثقته فيها ، ولأنه بها تزداد الأمة وعياً ومشاركة فى تدبير السياسة ... وبها يزيد عقل الحاكم وتتفتح بصيرته ، فيتقن تدبير الأمور ويتعد عن دائرة الإستبداد ... وضلّ الجمعان .. فقد أوهموها بالمشورة لأنهم فقدوا الإخلاص لها بعد ان لم يجدوه فيها ، وبعد أن تذر المستشار والمستشار بالهوى والغرض ، وبعد أن بات مستحيلاً أن

(١) هيك - خريف الغضب ص ١٠٠

(٢) نتيجة انتخابات النمرى للولاية الثالثة فى ٣/٥/١٨٣م كما أعلنها عبد محمد الطيب ٩٩,٦٪ ...

(٣) هيك - خريف الغضب ص ٣٧١ ، ٣٧٢

يتواضع الأمير ، وأن يبارح نفسه الإعجاب والبطر ... وفضل هؤلاء العيش بلا فكر تحت مظلة الحاكم ومراقبته واستبداده ... يعتقدون ان مايو هي جوهرة عقد التاريخ . منها يبدأ تاريخ السودان وبها سينتهى ، فهي المنقذة أبداً بإذن الله . وسيتم تنصيب قائدها رئيساً مدى الحياة ، بقناعة التوحيد المطلق بين شخص الحاكم والمواطن (الرئيس القائد) ، واتباع المثل فى مصر الشقيقة حيث ربطت رئاسة السادات بالإيمان (الرئيس المؤمن) ، وليكون النميرى (الرئيس المؤمن والقائد الملهم جعفر المنصور الرائد الذى لا يكذب أهله) وكثر المهرجون من ذوى الثقة والولاء السياسى الذين لم يتدربوا على سياسة أو إدارة .. وغيرهم من الوصوليين و " الهتافة " ، على قمة التنظيم ومؤسساته وحكومته ودولته ... ونادوا هاتفين باهمية القيادة المركزية الوطنية القوية التى تجمع وتوحد حولها الناس ، وصاحوا بنميرى انه ذلك الرجل ، أوليسوا هم كالنسابة والصاغة يعلمون جيد النسب والذهب ؟ .. ولما طالب بال جماهير ، أرادوها جماهير تاييد تهتف بالتصفيق والتصديق ، وتحت جلبة التصفيق تسمع كلمات الرئيس وتصدق ما يقول

و شهد شاهد منهم . . .

" مع اننى اشهد لنميرى رحابة صدره إلا أن الذين من حوله هم الذين شجعوه بالصمت لا بالإفصاح .. والذين احاطوا به لم يعينوه بالإشارة لمواطن الأخطاء بل زينوا الأخطاء بانها مزايا . "

(أدب المرء خير من ذهبه) . . .

بعضهم يحب النموض وحتى يكون أرضاً واطنة تشرب ماءها وماء غيرها ، ويفوز بالأمانة ولو على الحجارة ، يعرف ويحفظ جيداً الحديث النبوى (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) لشيء فى نفس يعقوب فقد سألت يوماً أحد محررى وكالة السودان للأنباء (سونا) عن ملفات د . بهاء الدين ومستشار الرئيس الصحفى محمد محجوب سليمان لأنى لم أجدها

بالرغم من وفرة كل ملفاة قادة مايو ... ضحك وقال وراء ذلك سر عميق ...
وواصل :-

" عندما فكرت الوكالة فى طريقة لتوفير المعلومات للبحث والتاريخ
وتسهيل الحصول على ما يتطلبه التحرير من معلومات عن قادة البلاد وسرعة
تناولها ، أعدت سونا استمارات ووزعتها على كل الوحدات والمؤسسات
والوزارات الحكومية ورئاسة الجمهورية ، وأعيدت كل الإستمارات ماعدا خاصة
المستشار الصحفى للرئيس ولم يعرف السبب ... وعندما فتحت استمارة بهاء
الدين وجد مكتوباً عليها " أريد أن أكون غامضاً " (١) .. وسيستبين
السفر أكثر من يقرأ كتب الرئيس عن التوجه الاسلامي ويرجع لمقدمات
القرارات الجمهورية لتقديم انواع الجدارة وميداليات التكريم والترفيه للوظائف
والتعيين .. سيرى عجباً وستجول به الافكار وتتعب ماقية بحثاً ويلتوى
عنه تفتاً بحثاً عن مجتمع الامانة والكفاءة والكفاية والاداء والاتقان فلا
يجده إلا فى خيال من كتب أو رفع القرار والخبر ، وشكر ذوى النهى
والامر وأرجع الفضل فى ذلك كله لهم ... وعشاق الغموض هؤلاء ، كغيرهم
من مثقفى مايو ، لم يكتفوا بمسح حذاء السلطة وهى تسير فحسب ، ولكنهم
حاولوا اجراء جراحات تجميل لقبيح وجهها ... يجمعون المواطنين حول موائد
السلطة ولا يعبرون عن رأيهم فيها .. ويتزعمون الحملات التعبوية لإكمال هالة
السلطة ، ويتقياون ما يرضى طموح الحاكم من فطير المعلومات والرأى ...
ولأن شخصياتهم مسلوبة الإرادة ، إختياراً وخوفاً وغرضاً ، لم يصنعوا رأياً
عاماً قوياً للنظام ... بل يلتمسون فى ذلك الاعذار ويضعون العراقيل
أمام تكوينه بادعاء وجوده ...

وجاءت كلمات الوسط

" لعل ابرز ماركزت عليه الجمهورية الرئاسية بهدف بناء الشخصية
السودانية المتكاملة هو نصف المجتمع الذى ظل مشلولاً ومقعداً وسلبياً فيما
مضى من عهود وقد أكد الرئيس جعفر نميرى ان المرأة ليست نصف المجتمع
فحسب وإنما هى كل المجتمع وإنها صانعة لأجياله ومورثة قيم الثورة فيها

(١) التبعة على الراوى ، محرر الوكالة ، لأنى لم اتطلع على الإستمارة .. ولما كان الامر
يتعلق ببهاء الدين وقد شهدت محاكمته تلفزيونياً لم استبعد الواقعة فذكرتها ...

... ومن هنا منحت ثورة مايو، برعاية شخصية من الرئيس القائد نميري، المرأة السودانية قدراً من المساواة لم يتحقق حتى في اعرق الدول واكثرها تقدماً وهذه شهادة من الأمم المتحدة للمرأة والثورة السودانية في عام المرأة العالمي . " (١) ...

(بنان كف ليس فيها ساعد) ...

" وكانت لحظة العمل الثوري التي طال شوق هذا الشعب المسلم إليها ، سيدى الرئيس ... يوم انطلقت في استجابة لنداء الله تعلن الثورة الاسلامية .. وهو ايمان وجد طريقه الى حنايا قلبك و استقر في اعماق ضميرك ، وصار محور حياتك وهدف نضالك وغاية ثورتك حتى ملكت ذمام الأمر بيدك وعزمت وتوكلت على الله و فجرتها ثورة اسلامية عارمة عدت فيها بهذا الشعب الى منابعه الحضارية واصوله الثقافية ، وجذوره الدينية ليبنى حاضره ويخطط مستقبله على كتاب الله وسنة رسوله ، طريقاً واحداً مستقيماً هو طريق الحق والعدل والفضيلة ليس فيه إنحناء أو إلتواء أو إعوجاج وليس فيه ضلالة أو شعوذة أو شائبة . " (٢)

ويمنح السيد عز الدين السيد وسام ابن السودان البار (٣) لياتى دور الهيئات ...

" قررت هيئات مجالس الشعب تكريم السيد عز الدين السيد تكريماً رفيعاً يليق بفخامة الانجاز وروعته على ان يكون هذا التكريم على المستوى القومى وباشتراك جميع هيئات مجالس الشعب ونزولاً على رغبته قد روى ان يكون التكريم فى قالب مبتكر وجديد وذلك بأن توجه الاموال التى جمعت لإنشاء دار للبرلمانيين على ان تقدم هذه الدار هدية

(١) د. فاطمة عبد المحمود ، شغلت وزارة الشؤون الإجتماعية (مايو) . راجع " عشواء مايو وحاطب الليل "

(٢) عز الدين السيد ١٩٨٢/١١/٧ . الجلسة الافتتاحية لدورة الانعقاد الثالثة لمجلس الشعب القومى ..

(٣) فى ١٩٨٢/١١/٨

لرئيس القائد نيابة عن هيئات مجالس الشعب وقواعدها للتعبير عن شكرهم العميق وامتنانهم العميق للقائد لتفضله بتكريم البرلمان السودانية فى شخص عز الدين وانعامه عليه بأرفع وسام سودانى (وسام ابن السودان البار) ^(١) . . .

ويتم مهرجان تكريم البرلمان السودانية ^(٢) ، ويتقدم ابن السودان البار ليُرَجِّع الفضل من قبل ومن بعد لقائد المسيرة ، وينسى المؤسسات . . . " منذ اندلاع هذه الثورة ونحن مع قائدها نمنحه سندنا الاكيد وتأييدنا المطلق وولاؤنا الصادق نلتف من حوله نسير الى جانبه نحمله ونؤيده لنضمن للسودان القيادة الوطنية المخلصة الامينة على حاضره والحفيظه على مستقبله الحامية لاستقلاله والعامة على بنائه وتقدمه . .

انتم تحتفلون بالقائد المنصور جعفر المنصور الذى قاد الشعب والوطن وسط اقصى الظروف وأصعب الامتحانات ، وقد منح من طاقته وفكره ما جعل كل هذا ممكناً بعد ان كان مستحيلاً " ولاعجب فى ذلك ، فقد قدمه قبل الوسام والتكريم قائلاً . . .

" ياسيادة الرئيس ، يا زعيم الامة ، يا ناصر الدعوة ، يا قائد الصحة .. الامة كلها مشدودة اليك هذه اللحظات لتسمع صوتها فى صوتك وتشهد عزيمتها فى عزيمتك فهلا تفضلت بمخاطبة شعبك عبر مجلس الشعب " (**يأتيك كل غد بما فيه**)

كان تقييم اللواء م محمد عبد القادر لطلائع انتفاضة الشارع السودانى فى ابريل ١٩٨٥م

" إن الامر مرتبط ارتباطاً وثيقاً باعتقال السلطة لبعض قيادات الإخوان المسلمين ، ورد فعل طبيعى من انصار المعتقلين . " ^(٣)

وبالرغم من ان فى كلمات الامين الاشتراكى معنى غير مراد لا يغيب عن عقلية المحلل السياسى لاسباب السقوط المايوى الموضوعية ، وهو ان اعتقال الحركة الاسلامية ومفاصلتها لتدميرى أبعدت عنه آخر خط

(١) الايام ١٢/١١/١٩٨٣ م

(٢) مهرجان تكريم عز الدين السيد بمنطقة الخرطوم - الايام ٢٣/١١/١٩٨٣م

(٣) محمد عبد القادر ، آخر أمناء الإتحاد الاشتراكى السودانى فى جريدة الاتحاد ١١/٧/١٤٠٥هـ

يقول عن مظاهرات رجب . .

دفاع ، وعَرَّتْ سنده الشعبي وأزلت هيئته من أمام الخصوم ،
وبذلك جمعت المصائب المصابين ووحدت صف مظاهراتهم
وهتافاتهم ... ، إلا أن حديث الأمين الاشتراكي تفوح منه رائحة تصغير حجم
المنقضين بتأطير أهدافهم داخل ردود الفعل المحدودة .. وابعاد غرض التغيير
الوطني المنشود ويؤكد ذلك قول أحد مساعديه في مسيرة الردع المايوي
المعلومة ، " سوف نصطادهم كالآرانب وندوس على رؤوسهم كالعقارب
(١) " .

وما كان لمحمد عبد القادر غير الدفاع عن مايو وتأليه قائدها وهي الأم
التي فرشت له وأنامته وهي (أم سقتك الغيل من غير حبل) (٢) ...
وعاد يقول ...

" التحية لك يا أخي الرئيس وانت تحمل الأمانة في يقين
المؤمنين ، وتتحمل مسئولية البناء في صبر القانتين .. إن شعبك
الذي أحبك فأدمن حبك يا أخي الرئيس ما برح يتحرق شوقاً
لسماع صوتك صوت الحق صوت القوة . " (٣) .

" لقد أديت الأمانة يا سيدي الرئيس ، ولا غرو فانت من الذين هم
لأماناتهم وعهدهم راعون ، فأنجزت العهد وأوفيت بالوعد في كل ما التزمت به
عملاً بقوله تعالى :- " وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولاً " .

فقد جعل الله نور الإخلاص في قلبك ووهبك من القوة طاقات
سمت بهمتك وعلت بعزمك .. فلا إثر ولا انانية .. ولا رياء ولا نفاق
.. ولكن طهر وصفاء .. وكمال ونقاء ، بل بلغت الذروة من السمو
والرفعة ...

فالحب لم يضلك عن الحق فتميل عنه .. والبغض لم يدفعك
الى الباطل فتتردى فيه .. عطاؤك في الله طمعاً في رحمته ورغبة
في رضائه . " (٤) .

(**أمرُ هبكياتك لا أمرُ مضحكاتك**) .

تقدم الرشيد الطاهر بكر بمذكرته لرئيس الجمهورية (٥) ، وبحكم علاقة

(١) أبو ساق .. (٢) يضرب لمن يدينك ثم يجفك ثم يقصيك من غير ذنب .

(٣) محمد عبد القادر يقدم نميري في عيد الجمهورية الثالث عشر ١٧ محرم ١٤٠٥ هـ .

(٤) محمد عبد القادر يقدم نميري لوسام الإنجاز السياسي ٦ محرم ١٤٠٥ هـ .

(٥) مذكرة النائب العام لنميري في ١٢/٢/١٩٨٥م

ومعرفته السابقة لتنظيم الأخوان المسلمين وقيادته للحركة الإسلامية^(١)، وهو خائف يترقب (عسى البارقة لا تخلف) ، وقد اعتبر الاسلاميون تلك المذكرة استعداداً للسلطة عليهم ، وحدث ما توقعوه ...

بدأ الرشيد مذكرته بأية الأحزاب " اذا جاعكم فاسق بنبا . " وبقوله (ص) " من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح أو يمسي ناصحاً لله ورسوله ولكتابه وامامه ولعامة المسلمين فليس منهم . " ، وختمها قائلاً ...

" إن امانة المسؤولية وشرف العهد يلزمنى أن أضع الأمر كما أراه وإن أقول وللحق إننى أرى تحت الرماد وميض نار ولكننى اتق الثقة كلها إنك ستعالج الأمر وتضع الأمور فى نصابها قبل فوات الأوان . " (٢) ...

(من زجا براسه فقد ربح)

بعد مذكرته التى عهد فيها بصفته نائباً عاماً إلى تشخيص ما يجوز اعتباره انحرافات لمسار تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية .. وتعرض فيها لأسباب خلافه مع رئيس الجهاز القضائى فى الخرطوم ووزير الدولة للشئون الجنائية .. تم تعيين الرشيد الطاهر نائباً لرئيس الجمهورية للشئون السياسية والقانونية إلا أن رياح التغيير الرجبية لم تتركه يهدأ فى منصبه وينعم بخير تحذيره ...

ثم لقيه تحت ظل شجرة اليقطين رجلان ... وثالثهم إمراة ...

(اتبع الغرس لجاسمها ، و الناقة زمامها)

وجاء ثلاثتهم بما يحسنون ، ولعلمهم يدركون تماماً (إذا زلّ العالم زلّ بزلت عالم) ... فكيف كان اللقاء

تجد الاجابة موجزة فى حديث الشيخ النيل أبوقرون لجريدة المدينة عندما سألته عن ظروف تشكيل اللجنة القانونية وكيفية بداية علاقته بالرئيس نميرى وحوذه على ثقته

بالسلطة ، كنت فى منبر القضاء ، وهو فى منبر المحاماة ، كنا نتحدث ونبحث فى النواحي الفقهية ومسألة تطبيق القوانين الإسلامية وكيفية إحلالها محل

(١) مرشد عام للأخوان المسلمين ١٩٥٦ ..

(٢) التضامن العدد ١٠٢ ٢٣/٢/١٩٨٥ م .

القوانين الوضعية ، وقد كان أن التقيت بالأخ الرئيس في مناسبة دينية بعد أن طرح برنامجه السياسي الشامل للولاية الثالثة وكان من أهم البرنامج العدالة الناجزة وتناقشنا ولا زلت أقول أن السيد الرئيس بصير برعيته ، واخبرته أن لي اخاً كريماً يعمل في سلك المحاماة وهو الاستاذ عوض الجيد فوافق السيد الرئيس على أن نعمل سوياً لإنجاز ما طرحه من برنامج العدالة الناجزة ، وعندها كان التدنى في العمل بالقوانين الوضعية في المحاكم قد وصل درجة فقد الناس معها (العدل وهيبة القضاء) .. وبدانا العمل في هذه الظروف والتحققت بنا الأخت بدرية سليمان رئيسة إدارة التشريع برئاسة الجمهورية ..

اللجنة القانونية في مجملها لجنة ثلاثية .. وقد قمنا بحمد الله بإنجاز كل القوانين الشرعية والإسلامية التي جاوزت العشرين قانوناً في أقل من عام ، وقد شملت كافة مناحي الحياة من إقتصاد ومعاملات واجراءات ...^(١) . . .

ولما طلبت الجريدة مزيداً من التفصيل في كيفية اختيار اللجنة ، واصل أبو قرون

" لقد كان رئيس الجمهورية حريصاً على أن يقوم بهذا العمل أناس لا علاقة لهم بفئة منظمة أو حزب سياسي أو تنظيم معين حتى يكون العمل خالصاً لله . بعيداً عن المصالح الفئوية والاتجاهات السياسية والصيغة الفكرية المعينة والتحزب الفقهي . . . "

ويلقى حديث عوض الجيد لمجلة الصياد^(٢) ظللاً أخرى . . .

" أخى الرئيس القائد الإمام كان ينتظر في ظل شجرة اليقطين ... حتى إذا رأنا تقدم معانقاً في أدب العلماء وشوق القائد لجنوده وشد على أيدينا ومضى نحو النور لا يلوى على أحد كما مضى

(١) المدينة ٢٦/٤/١٤٠٥ هـ .

(٢) عوض الجيد ، مجلة الصياد ١٩ يونيو ١٩٨٤ م .

لوط عليه السلام حين أوصاه الله تعالى (ولا يلتفت منكم أحد) ،
وكما مضى على كرم الله وجهه حين سار لفتح خير فأوصاه
المصطفى بقوله (سر ولا تتلفت) " ...

ويبقى تفصيل نجد بعضه فى خطاب عوض الجيد بأبى قرون
" السيد الرئيس القائد ، امام هذه الأمة للهدى بنور الله ، وراعى هذه
الأمة بحمد الله ، رافع الراية وحامل لواء الدين ، داعية الدعاة فى أرض
الدعاة

السادة مشايخ الطرق الصوفية ... القائمون ، الصائمون والواقفون خلف
إمامكم وقوفكم للصلاة ...

من هذه البقعة المباركة انطلق أول شعاع من نور الهداية الى
شرع الله فى السابع والعشرين من رجب الذى بين جمادى وشعبان
١٤٠٣هـ حين زار الرئيس القائد هذه البقعة المباركة فازدادت بزيارته
بركة على بركتها ، وفى ليلة الإسراء والمعراج العظيم رفع الى
السماء قرار عبد من عباده الصالحين بالعودة الى شرع الله ،
وانتظر نميرى تنفيذ القرار انتظار المؤمنين الموقنين ...

وفى يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين من شوال ١٤٠٣هـ أطلع
القائد على مسودة القوانين الإسلامية ووافق على خطة إصدارها ،
وفى يوم السبت المبارك السابع والعشرين من شوال ١٤٠٣هـ أصدر
القائد أمره للعمل وفق برنامج محدود ومسطور على ان يصدر
قانون على الاقل كل أسبوع يعلن يوم الخميس من كل أسبوع لانه
يوم ترفع الاعمال لله وتعرض فيه على رسول (ص) " (١)

و (أتى عليهم ذو أتى)
وهم من حوله .. رهط يفسد ويؤزىء سوء الأمير ...
وآخر يمدح القيادة بالإلهام ...
وغيرهم يملأ جيبه وجيب النظام ...

(١) عوض الجيد ، الوزير برئاسة الجمهورية فى ليلة النصف من شعبان بقرية أبى
قرون ...

وعصبة توشح جيد الإمام ...

وبينهم يسير النميرى ما أن يبنى قصراً إلا ويهدم بعده مصراً ...
ويتصيدهم كالحرباء (لا يترك الساق إلا ممسكاً ساقاً) ؛ والكل ساهياً عن
نفسه ، ناسياً لغيره ، مطيعاً لسلطانهم يتوسطهم دخان المباخر والتعاوين حتى
إذا ما طارت شرارة وأحرقت لباس الامام وتركته عارياً طريداً .. وضاعت
المناصب والصفات الرسمية فكروا فى تأمين الذات والتي ربما تكون قد
شاركت فى مختلف العهود والحكومات ، والتي ربما تكون قد تلوثت فى عهد
واحد مرتين واكثر - وشرعوا فى تفصيل قميص جديد ..

ومضت مايو وشيعوها بدموع التماسيح ... ، ...

" دستور ١٩٧٢ لم يترك لهذه المؤسسات والأجهزة ان تعمل ، ولم يترك
لها حرية الحركة ، ولم يتح لها فرصة ممارسة صلاحياتها ...

هذه المشكلة لم تجابه التنظيم الواحد بل جابهت المؤسسات السياسية
التي تعتمد التعددية .. فالقرارات يصيغها اشخاص بعينهم (بتطبخ فى
الصوالين والدهاليز) .. مشكلتنا اننا نخلق المؤسسات ونتخذ القرارات بعيداً
عنها ، وهذا بدوره يؤدي الى ذبول تلك المؤسسات " (١) ...

و " لا يستطيع أحد يتوخى الأمانة والصدق ان ينكر العديد من
الانجازات فى مجالات الصناعة والزراعة والخدمات والبنى الأساسية التي
تحققت فى ظل سلطة التحالف أو التي انعتق خلالها شعبنا من سطوة
وسيطرة قوى التحالف التقليدية ...

كما ان الصدق يتطلب فى ذات الوقت الاعتراف بأن مبدأ تفويض
السلطات والصلاحيات القانونية الفردية فوق سلطات وصلاحيات المؤسسات
والأجهزة كان سبباً فى تجاوز المبادئ الديمقراطية السليمة والتقليل من شأن
المشاركة الشعبية عن طريق المؤسسات فى مجالات الحركة السياسية
والتشريعية والتنفيذية ، كما أن العشوائية فى إختيار القيادات غير
المؤهلة وغير المؤمنة بتوجهات النظام ومبادئه أدت الى الكثير من
الخل والارتباك وتقويض سلطة التحالف من داخله ، كما ان الكثير

(١) د. اسماعيل الحاج موسى ، السودان ١٩٩٠/٢/١٠م - طبخ الصوالين والدهاليز (تعاون مع
النظام وشارك فى عدد كبير من اللجان والمنظمات وشارك فى الوزارة ، وعين أميناً للجنة الإعلام بالأمانة
العامة للاتحاد الاشتراكي ١٩٧٨) ...

من الصعوبات الإقتصادية والازمات المعيشية واختراق جدار الوحدة الوطنية ، كان مرده ما قامت به القوى الطائفية والحزبية ضد سلطة التحالف .. " (١) ..

" حركة مايو من المتبع الى الجفاف ومن ديمقراطية الصفوة الى الدكتاتورية المقنعة ..

استفاد جعفر نميرى الى أبعد الحدود من اللعب بهذه المراكز وبرز فى انكاء نار الغيرة والتنافس فيها ومن خلال الممارسة امتزجت الاستفادة بالإحتقار ... جعفر نميرى الذى عرفناه كزميل دراسة فى المرحلة الثانوية وكزميل عمل فى بداية مايو كان بسيطاً ومتواضعاً وأميناً وطيب المعشر .. طغت الروح العسكرية على روحه الرياضية ، كان ذلك واضحاً فى معاملته حتى لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة وأحياناً حتى اثناء الجلسات الإجتماعية الخاصة .. " (٢) ...

وكان قدره ان جاءت زفة السلطان ، مواكباً وطبولاً ، أوهاماً واحلاماً (لظلوط) بعيداً عن حبله (٣) ..

وتنادوا من حوله هاتفين " المعارضة فالعودة " ..

وفى غفلة السلطان ..

نام عصام ساعة الرحيل ...

(١) الاستاذ كامل محجوب ، السودان الحديث ١٩٩٠/٤/١٩ م . (كان أحد القيادات المايوية العليا) ..

(٢) الشرق الأوسط ٨٥/٦/١٥ م - على التوم - وزير الزراعة السابق (مايو) " السودان الدروس والحذر والامل "

(٣) حدث ان قال نميرى (أن قدمى لن : * أرض مصر) ، ورد عليه السادات (أن أرض مصر أظهر) ، ويسخر منهما القدر سرعة فى التكامل ، ويشاء الله أن تكون أرض الكنانة هى ملاذه ومنفاه ..



الدكتور جعفر محمد علي بختيت



الدكتور منصور خالد



الأستاذ باكر عوض الله
(رئيس أول وزارة مايوية)

**"لو كان لى ان اختار بين حكومة بلا صحف ،
وصحافة بلا حكومة ، لأخترت الأخر الثانى ."**

توماس جوفرسون
الرئيس رقم (٣) الولايات المتحدة

الباب السابع

صحائف و أسفار و إعلام

.. قول ... وقول ...

يقول الكاتب توفيق الحكيم صاحب " عودة الوعي " فى رسالته للكاتب محمد حسنين هيكل صاحب (خريف الغضب) ...

" الصحافى مكانه الأرض وسط تضاريسها وتخومها ودروبها ، ينتخب ويتقصى وينقب ويطل ويقارن ويستخلص .. " ...

أى بمعنى آخر ان حياة الصحافة بحث عن الحقيقة فى خضم الحوادث .. واختلف الرأى وتشعب حول رسالة الصحافة ، واختلف الرأى عند من يدرك ويعلم أدب المخالفة والإختلاف لا يفسد للود قضية ، بل يصلح للمودة والبناء قضايا ، فهى تبقى الأمور بأهل الرأى دائماً وتبعد عن ساحتها أشرارهم ...

يقولون الصحافة موجه ورائد اجتماعى لابد ان يعبر عن وجهة بلاده الفكرية ...

ويقولون لابد لكل صحافة من هوية ومعتقد وفلسفة وأيديولوجية تسبح داخل إطارها حتى صحافة الرياضة والاعلان والدعاية التجارية وصحافة الإثارة ...

وينادى آخرون بصحافة السلطة ، ليكون من يُحسِّن السليبيات ويمدح المخطيء ويملاً مائدة القارئ ويخل توازن ذاكرته بما تريده السلطة وترضاه ، ويحجب المعلومات عن رأس الهرم ويحافظ على الفجوة بين الحاكم وقاعدة المحكومين .. فتتعم السلطة عليه بالالقباب والمال ، وتكريم انواط الجدارة والأوسمة والشهادات التقديرية وحفلات الشرف وتسحب حريته وتسيطر عليه بمواد القانون ...

وتوجد فى عالم اليوم صحافة خبرية صرفه ، وصحافة الحديث والتعليق والتأويل والتفسير .. وبالرغم من نجاح هذه النوع من الصحافة فى تجسيد الوقائع وتمكينها من الالتصاق بذهن القارئ إلا إنها تجعله يعيش بعيداً عن عالم علامات الإستفهام والشك المنهجى اللازم للوقوف على مصداقية الخبر ، وخلق القارئ المشارك لا القارئ المطلقى .. بل يجب أن

تجعله عضواً صالحاً في مؤتمر الرأي العام الذي توجه الصحافة ويوجهها دون السيطرة وبكل المسؤولية الاجتماعية وبعيداً عن سيطرة السلطة ، ومصادرة حرية الرأي ... فتقل الفجوة بين المؤسسات الاعلامية والجمهور والسلطة ولا يتسع خرقها على راتقه ...

... وبعض القول يذهب في الرياح ...

" رئيس تحرير أحد الصحف في مقالته الافتتاحية يقول .. إنه معي فيما قلت وفيما سأقول ، وفيما قررت وفيما سأقرر .. ما أريد ان أقوله أيها الأخوة ...

إن ما يطربني ليس كلمات المديح والإطراء ، إن ما أريده واطلبه منكم جميعاً ان اسمع وبالصوت العالي نقداً بناءً لمنجزاتي وممارساتي ولو شابها الخطأ أو تجاوزت الصواب ... ان اسمع من يقول لي هنا اخطأت ، هناك جانبك التوفيق ، ذلك انني أعلم إن المديح من الممكن ان يتحول الى ستار امام عيوني ، ضجيجاً قد يحول بيني وبين سماع كلمة صدق مخلصه وشجاعة لا تخشى في الحق لومة لائم " (١)

كتب صحفي سوداني عن نميري (٢) ...

" حين تلتقي به فإنك للحظات تعايش الحيرة وانت تبحث عن أسلوب الحوار ... موقعه يفرض المقدمات بحثاً عن الشكل المناسب ... مظهره بقامته المديدة ، صوته العميق ، صبره الطويل ، مستمعاً مصغياً ، محلاً مستزيداً ، يغري بألف سؤال وسؤال ...

جوهره .. فانت معه لا ترى فيه إلا نفسك مكرراً لمئات المرات لنماذج عايشتها في قرى السودان ومدنه ..

الوضوح والبساطة

الصراحة والمباشرة

الإقتحام فوراً الى لب الحديث ، تعالياً على المقدمات اصراراً على النتائج

(١) نميري في رده على خطاب رائد مجلس الشعب في حفل تكريم نميري بمناسبة العيد

السادس للثورة ..

(٢) كمال بشير

لا يندفع حماسه لما يعرف ، لا يتردد حرجاً أمام ما لا تعيه ذاكرته ، أو ما يخرج عن نطاق إهتمامه ،

أو ما يقع بتفاصيله فى اختصاصات غيره

... وَتُقَطَّعُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ الْمَطَامِعِ ...

خاطب جعفر نسيرى الجمعية العمومية للصحافيين السودانيين (١)

" إن الصحافة وهى سلطة تحكم لا يمكن ان تقوم بدورها وهى "

مباخر الإشادة بالنجوم اللامعة ، دون ملاحظة موضوعية للسلبيات والمعوقات والنواقص

ان الصحافة تتطلق من غير توجيه إلا من التزامها .. إذ ينبغى ان تلقى مسئولية توجيه الصحافة على الالتزام وحده دون رقابه من خارجها ، ولا توجيه إلا من وعى محرريها .. ومراجع الالتزام هى - ميثاق العمل الوطنى مرجع ، والدستور مرجع ومسار تحركنا المطروح المرسوم بالممارسة وليس بالكلمات مرجع .. " (٢)

وهكذا وبعد سنوات من تأميم الصحف (٣) تتأتى مايو لتلقى بها فى البحر مكتوفة وتحذرنا من ان تبطل بالماء ، فهل أدرك صحفيوها معنى القول (لا تَقَعَنَّ البحر إلا سابحاً) ، وعلقت الصحافة فى اليوم التالى " فالرئيس وهو يسوق العتاب قد وضع يده بالحرص على مواضع الداء ، والرئيس وشو يسوق التوجيه قد أشار بالحكمة الشجاعة الى الدواء) إذاً فلن يبقى ولم يبق شيء بعد معرفة الداء وتوضيح الدواء ليقوم به الصحفى والرأى وكل إمريء يحتطب بحبله

(رَبِّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ)

تقول قرارى نقابة الصحافيين السودانيين (٤) كما جاء من بيانهم الختامى حول القضايا الداخلية .. وبعد أن اجيزت كالعادة كلمة النائب الاول لرئيس الجمهورية كوثيقة أساسية للمؤتمر

- (١) يؤكد الصحفيون السودانيون انتماءهم العضوى للاتحاد الاشتراكي السودانى ويعلنون تمسكهم الثابت بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة كصيغة

(١) ١٧/٤/١٩٧٦م (٢) الايام ٢/٤/١٩٧٩م (الصحافة بين المطرقة والسندان)

(٣) أمنت الصحف فى مايو ١٩٧١

(٤) ٢٧ / اكتوبر / ١٩٧٧م

وحيدة ينصهرون خلالها وهم فى ميدان العمل الوطنى العام
(١) يؤكد الصحفيون السودانيون موقفهم فى تمسكهم بالملكية العامة
للصحف ، يملكها الشعب ويرسم سياستها يديرها ويطورها عبر التنظيم
السياسى - الاتحاد الاشتراكى السودانى - حتى تصبح الصحيفة كغيرها من
القوى الإجتماعية حامية لمكاسب الشعب ، وحتى يصبح الصحفى هو قطب
الرحى الذى يلعب دوراً إيجابياً من أجل خدمة الجماهير "

وأخرجوا ميثاق الشرف الصحفى (٢)

ويسير من بعد حاديهن فى قافلة السلطة

" الحرية لا تتجزأ إذا استيقنا انها موجودة فى الحياة العامة ، فهى
متوفرة فى كل مجال ، وما هو مطروح من موثيق الثورة والتجربة يؤكد ذلك
، تجربتى الشخصية تؤكد لى ان لا رقابة مفروضة على قلمي ،
وان كنت بالصدق كله أقول ان هناك بعض التدخل يمكن ان نجد
له المبررات الكافية المقنعة فى الإطار الكبير لسياسة البلد التى
ارتضيهاها " . (٣)

ومن تحية لجعفر نميرى من شمال الوادى

" ما أعذب ما قاله لى صديق عربى مسئول يشغل منصباً حساساً فى
دولة خليجية ، بجانب حكامها اليوم التوفيق فى الحسابات ، .. نحن نغبط
الشعب العربى فى وادى النيل ... نتمنى لو يكون حكامنا على مستوى حاكم
مصر السادات .. وحاكم السودان نميرى " . (٤)

وتتقل الصحافة المايوية عن الصحافة الخارجية مالا يفيد معرفة وثقافة

المواطن وتتسى ان تفعل المثل بحكيم الراى وصحيح الخبر . . .

* بما تحلم يا سيادة الرئيس للسودان وبما تحلم لنفسك ؟ !

- أحلم للسودان بالرخاء والثروة واتمنى أن أرى الذهب يتدفق على
أرضه لمصلحته ومصلحة جيرانه .. أما ما أحلم به لنفسى فهو ان يواصل
السودان بعدى تدعيم ما وفقنى الله الى غرسه فى أرضه ، الوحدة بين
طوائفه وقبائله والإحساس بالانتماء إليه والحلم الواحد بمستقبله الواحد ...
أمنيتى الوحيدة ان يعيش هذا الحلم بعدى ويتحقق مالم يتحقق منه بعد . . .
نحن نسأل عن حلمك الشخصى يا سيادة الرئيس وهذا الذى تقول

(١) ٢٧/١٠/١٩٧٧ م . . (٢) النقيب نور الدين - الصحافة التى نريد !! الايام ٤/٤/١٩٧٩ م

(٣) مجلة الوادى يوليو ١٩٧٩ م .

حلم سياسى !! ..

- حقاً لم لاحظ ذلك ..

(وضحكنا وضحكت حرم الرئيس .. وجاملنا الرئيس

فضحك أيضاً)^(١) . . .

(اليوم خمراً وغداً أهر)

" وتواصل الصحف المايوية خداع ومخادعة الجماهير . . .

" مبروك لقارئ الأيام ومزعى الأيام ، صحيفة بلا مرتجع وزيادة فى

الطبعة " ^(٢)

" ادراكاً من دارى الأيام والصحافة لطبيعة المرحلة التاريخية التى

تعايشها بلادنا بكل ما يصاحبها من جهد وطنى مكثف ، وشمول حضارى

مطرد ، واستشعاراً بدورهما الاعلامى فى ملاحقة الاحداث وتوصيل الحقيقة

أول بأول لجماهير الشعب ، فى وقت أصبح فيه تلاحق الاحداث على مدار

الساعة واداء لواجبهما على تطوير خدماتهما للقارئ السودانى وتجويدها ..

فقد تقرر الغاء العطلة الاسبوعية لكل وتصدر الصحفتان طوال الاسبوع " ^(٣) . . .

" مبروك لقارئ الأيام ، المطبوعة الاولى فى العالم العربى باستثناء

صحافة مصر القومية ، اكثر من مليون نسخة طرحتها الأيام خلال عشرة

أيام . " ^(٤)

و " والإلتصاق الحميم بين الرئيس جعفر محمد نميرى وشعبه هو الذى

جعله قائداً للأمة ، والتكاشف المستمر هو الذى جعل القائد ملتصقاً بأمة ..

والوضوح فى المكاشفة هو الذى جعل الإلتصاق بينهم حميماً حقائق لا

نطرحها مجردة للتصديق والقبول ... انما نطرحها للتأمل ، فهى سيرة يكون

النظر فيها عبرة ودروساً يجب ان لا يفوت عابراً . " ^(٥)

" لماذا هو ؟

نذر عمره للسودان وطن يتوحد ، وأمة تتحد ، عملاق يلقي على غيره

ظلال الأمان ... فهو لا يكتفى بدراسة واحدة حول موضوع واحد ، وإنما

ينبغى ان تتعدد امامه الدراسات ليطل ويقارن ليقرر . . .

(١) الأيام ١٠/٥/١٩٨١ عن مجلة الشرقية عدد مايو ١٩٨١ م . ** (٢) الأيام ٢٩/٧/١٩٨٤

(٣) الأيام ١٥/٨/١٩٨٤ م . . (٤) الأيام ٣٠/٨/١٩٨٤ م

(٥) الصحافة ٦/١٠/١٩٨٢ - النهج الاسلامي كيف ١٩

وهو على سبيل المثال لا يقرأ الخبر الواحد منسوباً للمصدر الواحد إنما يقرأه منسوباً لمصادر متعددة . . .

وهو في كل الحالات يتحمل مسئولية القرار الصعب نيابة عن غيره^(١). هكذا تهتم صحافة مايو بالكم في التوزيع والعدد في أيام عمل الأسبوع ، وتقنى ما يطرب السلطان ومادرت ان موقف النظام برفضه السماح بتداول وتوزيع بعض المجلات والجرائد العربية هو الذي يضطر القارئ السوداني لابتياج الصحف المحلية أحياناً^(٢) . . . علماً بأن المجلات والجرائد العربية والأجنبية تجد رواجاً أكثر من الداخلية لدى القارئ السوداني . . .

وبالرغم من صدور قانون الصحافة عام ١٩٧٣ إلا إنه لم يصدر قانون أو لائحة تنظم علاقة الصحف بالاتحاد الاشتراكي أو وزارة الاعلام والثقافة وإنما يعلن عن هذه العلاقة مجازاً مما جعل صحف مايو أبواق نظام عجز هو نفسه ان يحدد علاقة تنظيمه بأجهزته التنفيذية ، وباتت الصحف^(٣) معزولة عن آمال وآلام الشارع الحقيقية مما زاد الفجوة بين المؤسسات الاعلامية والجمهور .. يلاحقها سوط الرقابة داخلياً بالحذف والاضافة للأخبار والمقالات ، ويطاردها مقص الرقيب . . .^(٤) ويختار الصحفي الرضوخ أو الفصل التعسفي ولك ان تحدد قرار صحافي تجده الدولة دورياً بموجب رخصه أو بطاقة عن طريق لجنة قيد الصحفيين .. كيف يشغل مثل هذا نفسه بنوع حرية التعبير بصرف النظر عن مداها . . . وما يضيره ، وهو يطارد لقمة عيشه ويمارس عمله بلا كفاية أو دراية ، أن يلاحق مقص الرقيب ويمنع الدخول والتوزيع ويمارس المصادرة من أماكن التوزيع للصحافة الخارجية ؟ ! .. ويختلف الناس في تناولهم لصحافة التوزيع المليونى فالبعض يقرأها وهو لها منكر .. وآخر يأخذها بمصادقية لا يتبادر إليها الظن أو الشك فيما يقال ويكتب .. وغيره يصدق حيناً بادخال بعض الحقائق في الحديث امعاناً في

(١) الأيام ١٨/٦/١٩٨٢م - المحرر السياسي للأيام يتحدث عن نميري .

(٢) هناك الاعلانات الداخلية والتجارية والمناسبات الإجتماعية والتي لا تحملها الصحافة الأجنبية .

(٣) صحافة ، أيام ، قوات مسلحة ، جرائد فنية ورياضية . .

(٤) لم تقف أصابع الرقيب تمزيقاً للصفحات أو منعاً من التوزيع ، في أيام أزمة الخليج و

غزو الكويت وخاصة الصحف المصرية والمجلات العربية .

الكذب . ويكذب ثانية لمعرفة الواقع الذى يجافى تماماً ما يسوقونه من أدلة واحاديث وتصريحات وويل لعالم أمر من جاهله ... إن علم

ودارت صحافة مايو وصحافيوها كالحلقة المفرغة لا تدرى اين طرفاها ، خارج محاور الصحافة ومسئوليتها يتفرجون بفعلهم من بعيد ، وما أهون الحرب على النظارة

وذهب النمرى بعيداً ، قريباً فى مصر ... فقد سالت الصحافة المصرية من قبل ^(١)

* عندما تكون على سفر خارج السودان .. ما هى أحب بلاد الدنيا الى قلبك ؟!

- " أحب بلاد الدنيا الى قلبى مصر ... هناك تجيش العواطف ... تستخدم الذكريات . "

وضمته مصر وقد ترك من ورائه أكبر دليل على هوان صحافة وعجز رئيس ، قوله عن الصحافة السودانية " إنه لا يقرأ منها إلا صفحة الرياضة "

(هذا الميت لا يساوى هذا البكاء)

" ولم تمضى ثلاثة أيام حتى خرج الشعب السودانى كله الى قصر الاتحاد الاشتراكي السودانى يعلن التأييد للقائد على خطوته التى لم تخرج كابوس الإرهاب الذى تتفسر الصعوبة تحت وطأته إنما لتعلن ان القرار وحد الأمة السودانية التى لم تجتمع كلمتها فى التاريخ الحديث إلا فى ثلاثة مناسبات ، توحدت على الإستقلال ، وعلى وقف التسلط الشيوعى واليوم على وقف تسلط الأخوان المسلمين ، والآخر اطلق عليه الناس اسم يوم القيامة . " ^(٢)

و اختلفت الأهواء

(لو قلت تمرة لقال جمرة .)

" ما حدث فى السودان يوم السبت الماضى ٣/٩ والمتمثل بانتقال جماعة الأخوان المسلمين تسميتهم الرسمية هى - جبهة الميثاق - من موقع

(١) مرسى الشافعى - روز اليوسف ١٩٧٧/٦/٦م ...

(٢) محمود أبو العزائم - " يوم القيامة فى الخرطوم " وادى النيل ١٤٠٥هـ

الشريك فى الحكم الى موقع المتهم من قبل النظام بالتخطيط لإغتيال رئيس الدولة واسقاط النظام يبدو كما لو انه عودة الوعى السودانى القومى أو أنه فى حالة صحوة فى الاتجاه القومى لم تأتى نتيجة عدم انسجام بين اهل الحكم وانما بعدما وجد الرئيس جعفر نميرى ان مشكلة الأخوان المسلمين هى فى بعض جوانبها مثل مشكلة الشيوعيين ، أى انهم لا يقنعون بالقليل الذى اعطى لهم وانما يريدون وضع اليد على الحكم وامتلاك السلطة وليس فقط مجرد المشاركة فيها ، واتخاذ القرار وليس فقط مجرد الإطلاع عليه قبل صدوره " (١)

ولما سقط جعفر نميرى جاء مؤسس ورئيس تحرير ومدير مجلة التضامن الاسبوعية ليعلن أن جعفر نميرى كان فيهم مرجواً ، ويصفه بأنه فارس ترجل عن فرسه (٢) . . . مما جعل مدير مكتب صحيفة الجزيرة السعودية فى لندن يرد عليه (٣)

" عجبت غاية العجب إذ تبعت بالتحية لرئيس السودان السابق جعفر نميرى مع تقديرى الشديد لسابق معرفتك به ، والتحية التى أعنيها تمثلت فى وصفك له بفارس يترجل عن فرسه !!

ايها الصديق لم يترجل جعفر نميرى عن فرسه بل سقط رضوخاً لثورة شعبية أدرك انك لا تجهلها !! "
ويتحدث الصحفيون حول قانون الصحافة بعد مايو

" إن سن رئيس التحرير يجب ان تكون ٤٠ سنة وفترة ممارسته ١٨ سنة لأن فترة الممارسة اذا جاءت أقل من هذه يكون الصحفى قد قضاها تحت رحمة الصحافة الموجهة التى افترقت أبسط مقومات الحرية فى عهد الطغيان المايوى ولم يكن قد استفاد تجربة صحفية حقة مبرأة من عيوب التبعية . " (٤)

وعند بعض الصحفيين طبع يغلب التطبع فى الكتابة ودائماً حالهم
... (فى القمر ضياء والشمس أضوأ منه .)

(١) فؤاد مطر - التضامن السبت ١٦/٣/١٩٨٥م . . .

(٢) التضامن فؤاد مطر - (فى حدقات العيون) العدد ١٠٥ .

(٣) عثمان العمير التضامن العدد ١٠٦ .

(٤) زين العابدين أبو حاج - الصحافة ٧/٩/١٤٠٥هـ حول قانون الصحافة . .

" وكان الرئيس سوار الذهب كعادته واثقاً من نفسه يدلى بأحاديثه وتعليقاته وتصريحاته فى هدوء وتؤدة واطمئنان وصوته الهادى وحنجرتة القوية وشارات التقوى والورع والإيمان كانت خير سند لصديق روايته ...

والرئيس الجزولى أديب أريب ينتقى الألفاظ ويردد الامثال السائرة ،
واشعار الفحول من الشعراء الى جانب النكتة والملحة والقفشة التى تعقبها ابتسامة هادئة وادعة ... ما أغنى الرئيسين عن المدح والثناء فنحن نعلم ان ذلك لن يزيدهما إلا تواضعاً فقد انتهت الى غير رجعة عهد الملوك والتطويل التى تخلق الطغاة والمتجبرين .^(١) ...
(العلم فى الصدور لا فى السطور) ...

وجاء ركب الشعراء والأدباء والكتاب الى بلاط الأمير بأعذب الشعر واكذب كالبردة الجعفرية^(٢) ، من خارج الحدود ومن داخله .. هم عليه يد واحدة ... يكتبون عنه ، ويكتبون له .. وتلتقى الكتابتان امام مسامع الجمهور ، شعب الثورة أراد أم لم يرد .. كيف لا وقد تفجرت الثورة من أجله رضى أم أبى ، خضع أم تمرد ، أيد أم عارض ، بإسمه يكتب الجميع ... أدباء وكُتّاب ... من قبل كتاب أوروبا الشرقية زينوا وجه الحكم الاشتراكى الشيوعى^(٣) ، بشروا بالثورة ، وأيدوها وزينوا وجهها امام جماهيرها وأمام من تبعهم فى التطهير والتطبيق ، ولذلك ضيعوا الشعب والحكم وأنفسهم بالانجازات الوهمية والجنة الموعودة .. وكانت صرخة قورباتشوف الشهيرة من روسيا فاقتلعت السلطات وهدت سور برلين ... ولكنها لم تطعم الأفواه وإن أطلقت مركبات الفضاء وكذلك فعل كتاب مايو فى الداخل والخارج ... فما استطاعت

(١) الصحافة ٢٦ نو القعدة ١٤٠٥ هـ - كلمة الصحافة على حامد رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة (مع الرئيسين صاحبهما لحضور مؤتمر القمة العربى الطارئ بالمغرب أغسطس ١٩٨٥)

(٢) الشاعر كمال بشير

(٣) حدث أن تزامن موعد افتتاح عرض المسرح القومى البريطانى لمسرحيه الكاتب الأمريكى آرثر ملير 'البوتقة' ، والتى ينتقد فيها المكارثية ، مع موعد غداء أعد له بواسطة البيت الأبيض يطلب من غورباتشوف ... ففضل الكاتب الأمريكى حضور افتتاح مسرحيته عن الغداء مع بوش و قورباتشوف ... حدث ذلك اثناء قمة واشنطن بين الزعيمين فى يونيو ١٩٩٠م ، التى دارت محادثاتها على الاتفاق التجارى لأن موسكو تبحث عن مخرج من أزمتها الإقتصادية بينما ركزت واشنطن على أهمية احترام موسكو للحريات العامة حتى تسهل عملية هجرة اليهود السوفيت لاسرائيل ...

الدولة التى صنعوا أن تملأ بطناً لجائع ولا أن ترتاد الفضاء.....

" أن ثورة مايو ليس انقلاباً عسكرياً ، ولا هى نقلاً للسلطة من المدنيين الى ضباط الجيش المنضوين تحت لواء الضباط الأحرار فحسب ، بل هى تحول جذرى فى السلطة السياسية والإقتصادية فى السودان ... ولذلك فهى ثورة على الماضى وبداية لعهد جديد من التاريخ السياسى والتنمية الإقتصادية للسودان . " (١)

" وانه لمن دواعى السرور ان نلتقى فى هذا المهرجان العظيم مفكرين وادباء مبدعين ، وما كان ذلك إلا بفضل الأديب المثقف الملهم الاخ عمر الحاج موسى ابن الثورة العظيمة بقيادة البطل جعفر محمد نميرى الذى مكن للأدب والفكر ان يشق طريقه فى حرية تامة وسط هذا الزخم من متناقضات الحياة " (٢) ويمضى الهتاف

" فلسفة عملاقة هى مايو

ونظام فريد هو جعفر

جعفر الواقع والغموض

جعفر الحقيقة والخيال

جعفر الرجل والتحدى

جعفر هجين الوادى ، بذرة الشمال ، تربة الجزيرة وطلع تستظل به البلاد من اقصاها الى اقصاها من وهج الخلاف ومن حرارة الاختلاف ... نظام رائع هو مايو ، وفلسفة فريدة هى جعفر

الرجل فى مقياس التاريخ بحجم الرسالة ، والرجل فى وزن الانسانية بمقدار الدهشة ... انبلج لنا وسط الاعاصير رباناً أميناً فعبر بوابة التاريخ ليرينا صعوبة الرسالة (٣)

" هو كتاب اكتشاف أصالة وعودة إليها بعد غيبة ، ولم تكن العودة بالنسبة إليه صدمة نفسية معينة ، ولكنها كانت مغامرة تجارب وهذا هو التدين

(١) محمد عمر بشير - تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ١٩٠٠/١٩٦٩ ، ص ٢٩٢ .

(٢) د. مختار عجوبة - الاربعاء ١/٨/١٩٧٥م. المجلس القومى للأدب والفنون (اصول القصة الحديثة فى السودان) .

(٣) " الوعد المظفر فى انجازات جعفر " مصطفى احمد نوري ٢٠/٢/١٩٨٤م

الحقيقى ... ولكن ارى فى هذا الكتاب ايمان القلب قبل ايمان القلم .. تفرد هذا الكتاب إنه قصة تجربة دينية وليس تحليلاً قد يكون أخذ من أصول الثقافة الاسلامية ، وانه مثال لحاكم لم يطقه الحكم ولم تفتته السلطة عن ما بدأ به من التدين بل زادته ديناً واعادته الى اصالته وذكرته بعد غفلته . " (١)

وتفريت نغمة الخطاب ، وجلس أمام الناي كاتبان ورئيسان ... عربى وأفريقى

" ان الرئيس نميرى وضع فى مؤلفه خلاصة فكره وتجاريه لخدمة وطنه وامته الإسلامية ، بالإضافة الى انه يعكس بصدق ايمان سيادته الراسخ بالك وشريعته وثقته بالنفس وأمله فى المستقبل لكافة شعوب الامة الاسلامية . " (٢)

" انا لا أهنئك باسم بلادى ، ولا باسم غرب أفريقيا فحسب ، بل أهنئك كمؤرخ افريقى يؤمن بأن وحدة أفريقيا لا يمكن تحقيقها قبل توحيد أجزائها .. ولسوف يدون اسمك فى سجل التاريخ كواحد من أبطال هذه القارة . " (٣)

وكتب عنه من شمال وادى النيل اثنان الرجل والتحدى ... ورحلة فى منابع مايو ... عادل رضا ؛ وجلال كشك
جاء فى " الرجل والتحدى " ...

وعندما أعلن النميرى مرة تنحيه عن رئاسة الجمهورية ورئاسة الاتحاد الاشتراكى فى حادثة زيادة أسعار السكر الشهيرة وعندما أعلن ان نائبه محمد الباقر بحكم الدستور سيخلفه (٤)

" اللحظات ...

بدأ وكان الحياة قد توقفت فجأة فى القاعة الفسيحة التى كانت لثوان مضت تضج بحرارة حوار استمر وتواصل لمدة خمسة ساعات ...

(١) بشير محمد سعيد - النهج الاسلامى لماذا - ندوة الصحافة ١٤/١٢/١٩٨١م .

(٢) رسالة لنميرى من السادات ٢٢/٢/١٩٨١م

(٣) الرئيس السنغالى ليوبولد سنقور يخاطب نميرى - قمة الرباط ..

(٤) الرجل والتحدى - عادل رضا من ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧ .

وفجأة ...

تداخلت الأصوات

هتافات ليست سوى اسمه مكرراً ومكرراً ومكرراً ... صرخات نساء ،
بكاء رجال ، تزاحم حوله حيث مكانه فى المنصه ، وهو تزاحم كان يمثل
خطراً حقيقياً على حياته ، ذلك أن الدائرة التى احاطت به ، كانت من الكثافة
بحيث أصبح التنفس فى مركزها يكاد يكون مستحيلاً ، وبذل بعض من
تمالك وعيه جهوداً اسطورية حتى يخرجوا به من القاعة ، الى خارجها ، الى
مكتبه بالدور الثانى بمبنى الاتحاد الاشتراكي ...
المشهد فى الخارج كان عصيباً ...

الهتافات ، الصراخ ، البكاء ، حالات إغماء .. ترنج لأسماء لامعة ، زهول
لقيادات تنفيذية وسياسية كبيرة ، اصوات واصوات تردد بما يشبه الجنون ..
نميرى ... نميرى ...

وهو وحده غارق فى الصمت .. اللواء الباقر بصوته الجمهورى يوجه الحديث له
قلت : اننى اتسلم المهام منك ...
اقول لك : لست أنا الرجل ... لست أنا الرجل ... اذا كان هذا قرارك ،
فهو قرارى أيضاً ، فلنبحث عنى يقبل ...

يتعالى الصراخ والهتاف واصوات البكاء فى الخارج ، ورغم ان
الاجتماع لم يكن مذاعاً ، وقراره بالتتحى لم يمض عليه سوى دقائق فجموع
الزاحفين من خارج الاتحاد الاشتراكي الى داخله جرياً لاهتافاً كانت لا تنقطع ..
لم يسأل القادمون عن الأسباب ، عن الظروف ، عن الملابسات . كان
الخبر ، والذى لخصه كل من أجاب الى كل من سأل .. قدم استقالته ...
وكان هذا يكفى ، لان ينضم القادم الى موكب الهتاف والصراخ . والبكاء
والإغماء كذلك ...

الحوار فى غرفة مكتبه بالاتحاد الاشتراكي لم يعد حتى حواراً ..
تداخلت الاصوات فى الخارج مع الاصوات فى الداخل ، ثم غطت الثانية على
الأولى ، وكأن جدران غرفته قد تهاوت ، وضاعت الحواجز ، واصبحت الغرفة
ومدخلها والسلم المؤدى إليها والساحة الممتدة أمامها كتلة جماهيرية متصلة
فى لحظة من لحظات الإلهام .. قفز الرائد أبو القاسم ابراهيم عبر
نافذة فى غرفة مكتب الرئيس نميرى بالاتحاد الاشتراكي حيث دار حول

الساحة الممتدة أمام مدخل الغرفة ، وبعيداً عن الزحام الهائل أمامها ، وأعلن ان الرئيس تراجع عن قرار الاستقالة ، وانه باق فى موقعه ، قائداً للثورة قائداً للأمة ...

لم يلتفت للهتاف المتصاعد حماس ملتهب ...

عاد الى الغرفة من ذات النافذة التى خرج منها ، تقدم بصعوبة حيث يجلس الرئيس ... قال له : قلت لهم ما يجب ان نقوله ، هم فى انتظارك ، لا نتحدث إليهم ... فقط دعهم يشاهدونك ... بدفعه شارك فيها الكل ، تحرك الرئيس نميرى من مقعده ، وبدفعات أقوى شاركت فيها الجماهير المحتشدة داخل الغرفة وخارجها ، وجد نفسه وسط الجماهير ، لوح بذراعيه ...

انفجر الحماس من حوله ، وانفجرت الدموع من عينيه ...

إنه مشهد سنمائى درامى من رئيس ومرؤوس ، وحولهم تهتف مواكب النفاق ، وما كل ما يعلم يُقال ...

ويقول كشك فى رحلته فى منابع مايو ، متحدثاً عن ثورة الامام

المهدى مقارناً لها بـ مايو ...

" وكما هو الحال فى كل محاولات تفسير التاريخ فإن هذه التحليلات تتأثر بالموقف التاريخى والسياسى للمفسر . وليس تحليلنا هذا هو الاستثناء للقاعدة ، فإننا نفسر الثورة الوطنية الاولى من مفاهيم ثورة مايو ...^(١) وبنفس المنطق وبنفس الشجاعة التى قال بها المهدى عن الأئمة والصحابة والتابعين المجمع على رسوخ علمهم فى الدين و التأويل والفهم لو ادركوا ثورته لانضموا إليها^(٢) ، واتبعوا قيادته ، لابد ان نقول أن المهدى لو ادرك ثورة مايو لاتباع قيادتها^(٣) ...

ويقول عن نميرى ...

" وجدت جعفر نميرى حاكماً لا يعرف الحق^(٤) ... ونميرى يحكى باخلاقيات القرآن^(٥) ... ثم رأيت قيادة مايو لا تطعم الجماهير بالشعارات ولا تلعب على المتناقضات أو تستجدى هذه المتناقضات ، بل تحتفظ باستقلاليتها دائماً وتؤمن ان السند الحقيقى هو الشعب ، وان بناء القوة

(١) جلال كشك رحلة فى منابع مايو ص ٦٥ .

(٢) يقول المهدى (نحن رجال وهم رجال ولو ادركونا لاتبعونا) ...

(٣) ص ١٠٩ . (٤) ص ٢٢ (٥) ص ٣٢ .

الذاتية هو الضمانة الوحيدة لحماية هذه الاستقلالية ، بل ولاستمرار وجودها وذاتها . " (١)

ويقول كشك عن احداث الغزو الليبي فى يوليو ١٩٧٦م
" إنها مجرد حادثه على الطريق ، بعض الأوبد والضباع والكلاب الضالة وقطاع الطرق يحاولون اعتراض طريق القافلة ، تكفى نظرة تكفى نهرة .. أو قد يحسن الإحتياط بسوط طويل ، وربما بندقية ... ولكن القافلة يجب ان تسير .. وهى تسير .. نميرى يفعل ذلك عن وعى كامل بأن هدف كل هذه المؤامرات هو منع السودان من عبور صراط التنمية .. " (٢)
وبعد أن سقطت مايو تحدث عنها كل من محمد حسنين هيكل وأنيس منصور

" اعتقد ان السودان كان معرضاً لحكم من أقسى انواع الحكم فى الدنيا ... وهذا ليس رأياً لى أقدمه اليوم بعد ان سقط حكم نميرى ، بل ان لى رأياً فى الرجل يعود الى أيامه الاولى فى الحكم ... لم اكن مقتنعاً به ، .. أول مرة قابلته كنا فى الطائرة التى أقلت الوفد المصرى برئاسة جمال عبد الناصر والوفد السودانى برئاسة نميرى الى مؤتمر قمة الرباط فى ديسمبر " كانون أول " عام ١٩٦٩ ويومها ونحن على متنى الطائرة روى الرجل حكاية ، على إنها من مآثره بعد الثورة وخلصتها انه كان يحضر مباراة كرة قدم لفريقين ، سودانيين وكانت النتيجة هدفين مقابل صفر لصالح أحد الفريقين ، وظلت كذلك الى ما قبل انتهاء المباراة بقليل فاضطر هو كقائد الثورة ان ينزل الى أرض الملعب ويسجل هدفين للفريق المغلوب حفاظاً على معنوياته أمام الجماهير ... ما ان سمعت هذه الحكاية يقولها الرجل بنفسه حتى ادركت كم هو ضيق الأفق ، وقد قلت هذا للرئيس عبد الناصر الذى ، رغم ذلك ، طلب منى ان أجامله وان تهتم " الاهرام " بالسودان واخباره .. ولكن ما قصده هو اننى لم اقتنع بالرجل منذ البداية ، وعلى أى حال لا اظن انه هو ايضاً اقتنع بى بمعنى اننا كنا على طرفى نقيض تماماً ... ما يعينى ان الرجل بضيق الأفق عنده لم يفهم السودان ... وانتهى به الحال ان أوصله الى حالة مأساوية فعلاً . " (٣)

(١) جلال كشك رحلة فى منابع مايو ص ٢٣/٢٤ .

(٢) جلال كشك رحلة فى منابع مايو ص ٤١٩ .

(٣) محمد حسنين هيكل - التضامن ١١/٥/١٩٨٥م - العدد ١٠٩ .

* الشعب السودانى يقول بانه حاول القضاء على نميرى ١٦ مرة فى ١٦ عام ويقول كثيرون .. ان مصر هى التى انقذته .. ويقول آخرون : بل إنه كان على استعداد لهذا اليوم فله جهاز أمن قوى ضخم .. هذا الجهاز يحكم الشعب ويسلط عليه أجهزة الدولة .. والناس يتلفتون حولهم ... وكان الرئيس نميرى يجد لذة كبيرة فى ذلك .. فمن عادته إنه اذا استدعى أحد الوزراء ان يفاجئه بانه يعرف اخباره وخاصة مع فلان أو فلانة ... ثم يضحك سعيداً بذلك .. كذلك كان يفعل الرئيس عبد الناصر وهى عادة قديمة ابتدعها المستشار النمساوى مترنيخ فى القرن التاسع عشر عندما جعل الغانيات وسيلة للضغط الجيد لمعرفة اسرار خصومه السياسيين .. وقد استخدم هذا السلاح نفسه ضد الرئيس نميرى .. والفضل يرجع الى المليونير خاشوقجى وكانت المرة الاولى التى اسمع فيها أشياء تمس اخلاقيات الرئيس نميرى سمعتها من الرئيس السادات .. قال والله ما عندى مانع ابعث بالبتروى والسكر .. ولكن الى اين يذهب كل ذلك .. بل الى اين تذهب البتروى السعودى والبتروى العراقى الذى أرسلوه الى ميناء سواكن .. ان جعفر نميرى قد أحاط نفسه بكل اشكال الفساد .. ثم اننى لا استطيع أن أواجهه بذلك^(١) ...

ومصر تعرف الكثير عن الذى يحدث فى السودان فى السنوات الأخيرة ولكنها لا تستطيع ان تلت نظر الرئيس نميرى .. فنحن نعرف الحساسية السودانية على كل المستويات لكل ما يقال وما يجىء من مصر فلو أن أحداً نبه الى ذلك لكان تدخلاً فى السياسة ، وان احد سكت فمعنى ذلك اننا نوافقه على ما هو عليه .. فنحن فى مصر نخشى ان نقرب كثيراً ونخشى ان نبتعد كثيراً ولذلك فموقفنا صعب ... اننا نقف فى الوسط بين الإقتراب والإبتعاد ... بين العناق والمصافحة باليد ... بين قول الحق الذى لا يترك لأحد صديقاً وبين اللامبالاة التى لم تترك لأحد عدواً ... ولذلك أثرت الملاحظة والمتابعة والصمت والتوقع .. فالشعب السودانى هو الذى زرع نميرى وهو وحده الذى يقتلعه ، هو الذى اقام نميرى وهو الذى يسقطه !! وهو الذى جعله صنماً وعليه ان يهدمه وان يعلق الفأس فى كتفه .. ورغم كل ذلك فقد

(١) (أى يطلب رئيس مصرى أن تجامل الصحافة المصرية رئيس السودان رغم عدم كفايته حتى تحل البلاد المسألة بعد ١٦ عاماً)

حذره الرئيس حسنى مبارك كثيراً وطويلاً !! (١)

وتحدث فؤاد مطر (٢) عن طبيعة العلاقات المصرية السودانية ، وتقييمها الدولي فى معرض حديثه عن (الهراوى الخارج على رغبة الحل العربى) (٣) . وعدم مشاركة الرئيس الهراوى فى القمة الاستثنائية كانت الإختبار الأول لتأكيد عدم امتلاكه أى نسبة من الاستقلالية فى اتخاذ القرار ، وكانت أيضاً تأكيداً لواقع يريد الحكم السورى تثبيته فهو مثل الواقع الذى كانت عليه العلاقة المصرية - السودانية . وعلى مدى عشرين سنة كانت تتعامل مع السودان على أنه امتداد لها ، وإن على من يريد أن يتصل بالسودان أن يسأل مصر : بمعنى أن يتم الاتصال خلال الحكم المصرى - كما أن دول العالم اعتادت على ذلك وراحت تنظر إلى السودان من خلال مصر وتتعامل معه على هذا الأساس .

وبدلاً من أن تنتبه مصر إلى ذلك وتعيد النظر فى موقفها هذا وتلغى هذا الانطباع السائد عنها فإنها بالغت فى نظرتها تلك . وكان يبدو ذلك واضحاً فى المؤتمرات العربية والدولية حيث كان هذا الحاكم أو ذاك يبحث مع الحاكم المصرى أموراً تتعلق بشئون السودان وكما لو أن حاكم مصر هو حاكم مصر والسودان تماماً مثل ما هى حال سوريا ولبنان منذ خمس عشرة سنة .

ومن المؤكد أنه لو أعادت مصر النظر فى هذا الموقف لما كانت وصلت المشاعر السودانية السلبية إلى حد أن السودانيين ، أو على وجه الدقة ، القسم الكبير منهم ، رأوا مع أواخر حكم الرئيس (الراحل) أنور السادات إنه لابد من تحقيق الاستقلال عن مصر وكأنما الشقيقة الكبرى لهم دولة تستعمرهم .. وكل ذلك نتيجة الوصاية التى لم تكن شيئاً يذكر أمام الوصاية السورية على الحكم اللبنانى

وهنا نلمس عقدة السيادة والاستعلاء المصرية وهاجس التفوق والسبق الحضارى والمدنى والتى نجدها على المستويين الشعبى والحكومى ... كان السودان ليس إلا تابع لمصر ومكمل لأمنها ... وأن فارقاً حضارياً ومدنياً لابد أن يجسد ، وإن تظاهر الجانبان بغير ذلك ...

(١) انيس منصور - وادى النيل العدد ٤ شعبان ١٤٠٥ هـ .

(٢) التضامن ١٩٩٠/٦/٤م العدد ٣٧٣ .

(٣) تأخر الرئيس الياس الهراوى عن مؤتمر القمة العربى الإستثنائى ببغداد ١٩٩٠/٥/٢٨م .

والأمثل إنه ليس أبقي وأقوى لتلك العلاقة من أن تقوم على الندية وحرية
وفردية السيادة والقرار السياسى والمصلحة المشتركة وفق مصلحة الشعبين
وبإرادتهما بعيداً عن القرارات الفوقية

وعندئذ لا يمكن أن يستغرب طرف ما يراه البلد الآخر كما فعلت
القيادة المصرية تجاه الموقف السودانى من رأى مخالف لما رآته فى الغزو
العراقى للكويت والوجود العسكرى الأجنبى بالبلاد العربية ... هذا على مستوى
القيادة أما على المستوى الشعبى فستكسى كلمات صحافة البلدين الواقعية
والندية ... بدلاً للاتهامات والكلمات النابية والمؤذية

تحدث أحد الكتاب المصريين عن قضية الحدود الثنائية بين مصر
والسودان (١)

" المقترح هو المياضنة ... يأخذ السودان ما يرغب فيه فى منطقة جبل
عليه وحلايب وتعوض مصر بإمتداد حدودها الجنوبية على ضفتى نهر النيل
حتى الجندل الثالث عند مروى وكريمة ولهذا لا يكون هنالك غالب ولا مغلوب
... إذ تتوحد منطقة النوبة المصرية والسودانية كجزء من الدولة المصرية
ويعمار السودان سلطاته فى مناطق القبائل على شاطئ البحر الأحمر، وله
فى ذلك خبرات تفتقدها مصر التى تمارس الحكم تاريخياً فى مناطق
الاستقرار الريفى والحضرى ... كما تتوفر الامكانيات من خلال الموارد البشرية
المصرية لمواجهة الفجوة السكانية التى نشأت فى منطقة النوبة بعد انشاء
بحيرة السد العالى ... "

وذكر الكاتب أحمد بهاء الدين (٢) إن السادات اعترف بأنه انقذ النعميرى
ثلاث مرات وكان فى حكم المنتهى ...

(أولئك آباءى فجئنى بمثلهم ...)

كان أدباء السودان وكتابه الأوائل ورعيل صحففيه واعلاميه السابق
يعرفون ان دورهم المنوط بهم أدائه دور سهاد وصبر وثورة لا تتطفئ ...
توجهوا للقراءة الجادة والكتابة الجادة ، بالرغم من غياب التقويم والتقييم
الدقيق العادل لعملهم والتقدير الكامل له ، ... وساروا بعيداً عن التجريح
والإهانة وبكل أدب وأدب ، اغتصموا فرصة اعداد الذات قبل العطاء ...

(١) مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٠١ يوليو ١٩٩٠م . مستقبل العلاقات المصرية السودانية - عبد

الملك عودة ...

(٢) المستقبل ١٨/٥/١٩٨٥م

ولكى يصقلوا الموهبة بالعلم بحثوا عنه بالهمة والعقل والصبر والمثابرة والمهاجرة بحثاً بالأظافر، ونحتاً على صخر الواقع، بحثاً عن درر وجواهر الباطن ولم يكتفوا بغبار السطح .. فأحدثوا رقة وإبداعاً وخيالاً ومعنى مبتكراً تجده عند فحولهم من الكتاب والشعراء .. من كل منطق مفوه ... وحركوا الحياة الأدبية والثقافية والكتابة عنها بحروف تزهو وتحب وبمخالب تجرح فتدمى وتكره حسب مقتضى الخيال ومتطلب المقال ... وجاء حصادهم، غشه وسمينه، يغلب عليه طابع الجهد والقراءة ومجاهدة النفس ومغالبة الفكرة والتفكير ... ناتج يتداعى له سائر جسد الكاتب بالمعاناة والإرهاق بدقة البحث وكثرة العدو وراء المعرفة والإتقان والإجادة، وتجويد البناء والبيان والتبيين ... حتى إذا ما خرجت كانت ثمرة ناضجة طيبة تجذب الناس برائحتها الطيبة وتأسرهم عند قراءتها بصدق محتواها وتذهب بلبهم وتقضى وقتهم تجوالاً بين صفحاتها ... كان من يكتب ويتحدث يخجل من نفسه قبل ناقديه ويخاف لومها قبل سامعيه أن أخرج فطيراً صعب الازدراء، أو نكتاً تفوح منه رائحة التعفن والفساد ... فينزوى مكباً على وجهه يصحب القراءة والإطلاع وينشد الاستزادة محاولاً إعادة اختيار الطريق بإعادة صياغة ذاته ليصير فى قوله وحكمه ونقده حياً خجولاً، لأن الكاتب كلما زادت ثقافته زاد حياؤه واحتشامه.. ما أطول الدرب ... وما أعظم المسير ... وما أعدل من ينقد ويدير ... لا يعرف المجاملة فإنها تفسد معيار المآل فى التقييم وتفسد عالم الكتابة والنشر والتثقيف، وتخدع من يكتب فلا توضح له حقيقة نفسه ومستواه فيركن للخمول ظاناً بأنه قد اتقن وأجاد ... وتفسد معرفة من يقرأ بتقديم مادة لا تسمن ولا تغنى من جوع، ولا تستحق الحياة ...

أولئك كانوا يبتعدون عن الإسفاف والإسقاط والسقوط، وغوغائية الكتابة وبيع الكلمات والمعانى وشرائها .. البقاء والحياة عندهم للأصلح من الكلم ومعناه ... صحبوا الكتاب من أمهات الكتب والمجلات ... وهؤلاء جيل التسرع من المنبت وزيد التلقى من الثقافة التلفزيونية وضعيف الجرائد والمجلات ... فهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ... ذلك الجيل المشبع بالمعرفة الأصلية منهم من مات بعلمه من غير أن يدون ... ومن بقى منهم يسير به على درب سابقه .. ما أن جالست أحدهم إلا وادركت البؤس المعرفى الشاسع بين جيلين ... جيل متواضع بعلمه، وجيل يمتلىء غروراً

بجمله (١)

يؤكد ما ذهبت إليه واقع العالم العربى وتقارير اليونسكو (٢)
" ان العرب سيواجهون أزمة ثقافية فى فترة السنوات القليلة القادمة
بسبب قلة المؤلفين والمترجمين .. وإن العالم العربى الذى يبلغ تعداد سكانه
اكثر من ١٢٥ مليون نسمة ينتج بحدود خمسة ألف كتاب أو ما يعادل ١٪
من انتاج الكتاب فى العالم .. هذا فى الوقت الذى تكون فيه نسبة العرب
الى مجموع سكان العالم حوالى ٣,٥٪

ويقول صاحب وأمين المكتبة الاكاديمية بالقاهرة (٣)
" لابد من ان تهتم الحكومات بدعم كل ما يتعلق بصناعة ونشر الكتاب
حتى يرتفع دخل العالم العربى من صناعة النشر ويصل ما وصل إليه فى
أوروبا وأمريكا .. ففي أمريكا وحدها ٢١ ألف دار نشر بينما لا تتعدى دور
النشر فى الدول العربية كلها ٥٠٠٠ دار منها ١٠٠ دار فقط مؤثرة فى
النشر وصناعته ...

إن التطور التعليمى فى العشرين سنة الأخيرة فى كل البلاد العربية
والطفرة الإقتصادية العالية لبعض الدول العربية وخاصة البترولية لم ينعكس
بشكل كبير على حركة النشر التى لا تزال محدودة ولا تواكب هذه التطورات
نتيجة لقصور الأدوات الثقافية بالإضافة الى الفوضى التى تميز حركة النشر
على مستوى العالم العربى

ويبلغ الأمر ببعض اصحاب المطابع ودور النشر طبع كميات إضافية
دون علم المؤلف لتدر فى حسابها الخاص ويتمنع بعضها ويرهق المؤلف فى
الحصول على استحقاقاته والتى لا تتعدى ١٠-١٥٪ من سعر الكتاب، إذا
استثنينا الاسماء اللامعة والتى يهتم بها الناشر دون الموضوع ، الشيء
الذى يخضع أعمال ذات قيمة أدبية وعلمية هامة لكتاب غير مشهورين ...

(١) يجادل البعض بأن بعض وسائل الإعلام تساعد عن البعد على الكتابة كالتلفزيون ،
ويرمونها بتزويدهم بداء الأجيال من سطحية المعرفة والفراغ الفكرى الثقافى ... كما أنه عند
غياب مناخ حرية الكلمة ينشأ التناقض بين السلطة والمتقف ، ويفقد المثقف دوره فى بناء المجتمع ...

(٢) مجلة العالم سبتمبر ١٩٩٠م ...

تقرير اليونسكو (مستقبل الثقافة فى الوطن العربى) ..

(٣) أحمد أمين - مجلة الشرق الأوسط العدد ٢٢١ سبتمبر ١٩٩٠م ...

(القولُ يَنْفُذُ مِمَّا تَنْفُذُ الْإِبْرُ)

المادة الاعلامية تهدف لبناء وتنمية الفرد والمجتمع ، وترفع من قيمته ... مسئوليتها التربية والتوجيه والتثذيب والترفيه المذهب الذى لا يخدش الحياء ، ويصون الكرامة والمروءة .. ومهمتها بذر قيم الوفاء والصبر والعفاف والشجاعة والحياء والنجدة بالطرق غير المباشرة كالقصص والرأى والانشيد والاشعار والتمثيل .. أو بالقذوة الحية والمثال الملموس ... ووسيلتها ان تلاحظ فى ذلك مستوى المجتمع فى تناول الموضوع وتقدير اهميته وهدفه ، وليس النزول لمستوى المجتمع تعبيرا وصياغة وكتابة .. لأن المرجو فى ذلك ان ترتفع به عند تناول العرض وتقديم الحل والمغذى ... وطريقتها تلمس رغبات الناس والتجاوب مع حياتهم واحاسيسهم ومشاعرهم ، والاهتمام باخبارهم واخبار غيرهم ومعرفة احوالهم وان يضيف كل ذلك الى حصيلة معرفتهم ... وان تربط بين فكرهم وواقعهم العملى باستقراء وبسط دروس التاريخ وعبره ، ليستقيم التطبيق .. لأن المادة الاعلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف السياسية والاقتصادية فى المجتمع البشرى المعين ... فوجود سلطة فاسدة واهتمام بتوافه الامور وعوامل الإثارة وبعد عن قيم الخير والشرف ، ينتج وعيا إجتماعيا اعلاميا زائفاً منقوص التصور وفق قيم وافكار سلطته .. إنه اعلام منفذ للسياسات وليس صانعا لها ... لا يدرك ان الكلمة تربية ونماء وطنى ... فهي تحي انفسا وعقولا ... إنه اعلام سلطة ونظام واجبه الدفاع ودفع الهجمات ... تضعيع مجهوداته فى متابعة الاراجيف والاقاويل والاشاعات ومحاولة ردها وتكذيبها ... يصف مناسبات السلطان ولقاءاته ويصوغ مبيرات وجوده ويبالغ ويتفنن فى تمجيده ، لذا فلا يتوقع ان يكون صداه فى نفوس الناس وتأثيره على حياتهم الفكرية والثقافية و الإجتماعية إلا هباءً منثورا ... وسط ضبابه وسرابه تعتيم إعلامى داخلى يحجب المعلومات عن المواطن ، الأمر الذى يلجئ للدوائر الخارجية للحصول على المعلومات فى دائرة اهتمامه ، حيث يجد الآخرون فرصة التقييم وتسميم المعلومات واندخال الغرض فيها .. ويفقد المواطن ثقته فى مصادر إعلامه ويكون عنها فكرة مسبقة بعدم جدواها ، فلا يهتم عندئذ ببرامجها ولا يتابع كتاباتها ... وكذلك كان ثوب مايو الإعلامى كثير الثقوب ومثله اعلام الأحزاب واسع الخرق ... وسيكون ذلك حال كل اعلام لاحق لا يلتزم بحرية

الكلمة وصدق الخبر ، وحرية التلقى وابداء الراى ، واطاحة المعلومات ... ثم يترك حرية اختيار المجلة والجريدة الخارجية والداخلية لفطنة القارئ وحكمته ... وما تركت وسائل الاعلام الداخلية من قبل إلا لأن القارئ المستوعب قد وجدها عديمة أو محدودة التأثير على الراى العام المحلى والعالمى فاعتبرها مصدراً اعلامياً غير موثوق به .. أى انه فقد ثقته فيها عندما فقدت مصداقيتها عند طرح التصور الواقعى للأحداث ... وما كان ذلك إلا لأنها ، فقدت المبادرة الخبرية لضعف الأجهزة والكوادر ولأنها أولاً وأخيراً تخطو و تتحرك بامر السياسة والحكومة ..

إذا استطاعت السلطة أن تخلق اعلاماً حراً مرناً مقتدراً مواكباً للأحداث المحلية والعالمية ، جريئاً فى قول الحق والمواجهة ، مزوداً بالمعلومات الواقعية ، فإنها بذلك ستسحب البساط ممن يتذوق حلوة المعارضة والإختلاف بالإشارة الى ما تحمله طيات الصحف الخارجية حتى وان كان مغلوطاً ... عندئذ فقط لن يجد الرقيب الإعلامى ميداناً لالوانه أو مسرحاً لمقصه ...

(أغنى الصباح عن المصباح .)

كان الإعلام يهدم عقول مواطنيه ولا يطورها ، فهو يستخف ويستهنون بعقولهم ، وبذلك يحد من تفكيرهم ولا يطوره ...
نميرى يتوج كشافاً اعظماً بذكراه الخامسة (١) ...

وتوجه اتحاد الفروسية فارساً للفرسان (٢) ...
و تمنحه الدكتوراه الفخرية فى القانون جامعات الخرطوم والقاهرة
وجامعة نيجيريا ... وتمنحه جامعة نباراسكا الدكتوراه الفخرية بتحقيق الاستقرار فى الجنوب ... بينما عوقب الاسكندر هيچ وزير الخارجية الأمريكية فى عهد ريجان على عدم اتقانه اللغة الانجليزية بتدوين اسمه فى لوحة العار بكلية سانت مارى بولاية متشجان ...

لم تكن وسائل الاعلام اداة فاعلة فى الاتصال بعالم المعرفة والعلم ، وإنما كانت ادوات تشويه وتفضيم وتضليل ... تخفى الاسباب الواضحة و تعلن غيرها ... (ما يدور فى السودان يقع فى كل مكان) ... و (إن حال السودان احسن بكثير مقارنة بمن هم فى وضع أسوأ) ... وعملت على اهدار و افساد طاقة الوعى الاجتماعى فى المواطن ، وشوشت ادراكه لما حوله مما اورثه عدم التصدى للمشاركة فى بناء مجتمعه وتتميته ...

(١) ٧٧/١١/٢٦ م

(٢) ٧٩/١/٣ م

وجلس من يعادى الوعى والتغيير الاجتماعى (لتعارضه مع مصلحته الذاتية) فى قمة المسئولية ...

يقول شاهد الإتهام الرابع فى قضية الفلاشا

" عمر كلف معتمد اللاجئين السابق عبد الماجد بشير الاحمدى باصدار بيان صحفى يؤكد فيه ان تعامل السودان مع اللاجئين يتم بعيداً عن المعايير الدينية والمعتقدات التى يؤمن بها اللاجئين ، وذلك بعد ان كشفت عملية الترحيل الام (موسى) والتى تمت من مطار الخرطوم

واكتسب الاعلام المايوى جراءة بلا نظير على التزييف والمغالطة والتطويل ، واحتقار عقول المواطنين وتفكيرهم ... ، انت تذكر جيداً ، أيها القارئ ، فقرة المسابقة الشعرية فى البرنامج التلفزيونى السودانى (فرسان فى الميدان) والذى يقدمه الاعلامى الاستاذ حمدى بدر الدين فما أن ثعنى أحد المشاركين قافية نونية إلا وذكر " نحن من مايو وفى مايو بعثنا من جديد " ذلك القول الشعر ، لقد سمع المشاهدون ذلك عشرات المرات ، ولم تعترض لجنة التحكيم . وبعد أبريل اعيدت احدى حلقات البرنامج ، ولما جاء ذكر البيت ، إذا بالصورة دون الصوت غير ان ذلك لم تخطئه عين المشاهد و خبرته ... ، لقد سمع ذلك المشاهدون وادركوه بالفطنة ووعيه الآخرون بكثرة الترداد ... هكذا يعيش شعر المناسبات خميراً كان ام فطيراً

وقفت وسائل الإعلام سائلة ولم تتعرض لاي من التهم التى شملها خطاب نميرى (المجابهة مع السليبات) (١) ، قبل ان يذكرها الخطاب ، وبالرغم من ان الخطاب قد فتح امامها فرصة للحوار والنقاش إلا إنه لم يحظ بكثير اعتناء فى منابر الاعلام ، واكتفت بقولها إنه كان نقاشاً حافلاً وجريئاً ؛ علماً بأن شمولية الخطاب قد عبر عنها د. منصور خالد بقوله

(لم يترك الخطاب زيادة لمستزيد)

هكذا وسائل الاعلام المايوية تنمى ان تكون اعلاماً بما يقال فى المناسبات ولاتطمح ان تصير حقيقة وواقعاً عملياً ... فكيف لا يختل التوازن النفسى لجعفر نميرى ويصاب بجنون العظمة والكبرياء ، كل كلمة منه تقرر

(١) خطاب نميرى امام الاجتماع المشترك للمكتب السياسى للاتحاد الاشتراكي ومجلس

لوزراء فى منتصف أغسطس ١٩٧٩م .

والممنوع مرغوب و(ما كل ما يعلم يقال)

(هُفُوزُ عَلَقْ شَنَا بالياء)

إعلام هذا شأنه من الهوان لن يترك بأز الآخرين قطاه لينام ليلاً أو نهاراً ... هل يستطيع عربسات التصدى لبرنامج البث الأروبي المباشر الذى لن يستأذن عند الدخول للمنازل ولن يطرق أبوابها ليؤذن له بالدخول أو يمنع !! ... بالبث المباشر تقلصت مساحة حرية الاختيار والتلقى الثقافى والفكرى ، حيث تنتفى الهجرة والأسفار ويتم الاستيعاب بالإغراء والإكراه ... سيشاهد الإنسان الإرسال العالمى ويسمع البرامج المباشرة كما يشاهد البث المباشر للأومبيادات ومباريات كأس العالم لكرة القدم ولكن على مدار كل ساعات اليوم ... من ايجابياته إنه يمكن العالم التامى من معرفة ما يجرى فى العالم المتطور من تقدم وتغيرات ، ويعطى مساحة أكبر لمن لديه القدرة على المساهمة فى مواجهة حضارة الغرب أو التعرف عليها ... كما أنه يربط هذه المجتمعات النامية المتخلفة بمعطيات العصر الثقافية والتقنية والفنية لتقف على تقدمه فى ميادين العلم والمعرفة والثقافة ... ولكنه يعرض سبب الإخلاقيات من اباحية وقيم مفتوحة ، وأنماط سلوكه وتعامله مع قضايا العيش ويتعرض لقضايا اللذة والشهوة والإباحية والحس والعنف والمخدرات وتكون هذه اكثريه مادته الإعلامية ...

تلك قضايا لا تواجه إلا بنضج الفكرة والخطة والتربية الإعلامية وارتكازها على العلم والمعرفة وبذر الصدق والحقيقة فى وسائل اعلامنا وتحسينها ، فمن العسير علينا يومئذ مواجهة البث المباشر بمنع الإرسال أو التشويش ...

" إن المكرب و الأغراض المختلفة هي التي تؤدى الى سرقة الثورات ، وذلك فى نظري ما جعل ثورات عديدة تسرق من أصحابها و يسير بها الشطار الى غاية اخري ، حتى قيل .. الثورات يرسمها المثاليون ، و ينفذها الغدائيون ، و يرثها المرتزقة ، ترى لو كان المثاليون والغدائيون على قلب رجل واحد فى الإيثار و التجرد اكان يبقى للمرتزقة موضع قدم ؟ ! "

الشيخ محمد الغزالي
المسلمون ٢٦ / رمضان ١٤٠٥ هـ .

الباب الثامن

من أين تؤكل الكتف

(١) بذرة الأمل ...

إن كانت كل أفعال السلطة فى السودان تدفع بعجلة حركة المجتمع نحو دائرة اللامبالاة وحلقة الضياع ... فلماذا لم يستخدم المجتمع ، فى كل المراحل ، قوته الضاغطة لتثبيت تلك العجلة عن الدوران أو يغير اتجاهها ... ؟ لماذا يلبث هامداً صامتاً ، خائراً مكبوتاً ، خائفاً يتقلب ويستلذ العذاب ؟ ... ومن المستول عن كل ذلك هل هى عوامل الطبيعة وجورها ... أم الخوف من قوة الجيش والأمن والحرس وما تفعله من قهر وردع وما ينتج عنها من تبعية ؟ ...

بأى من أولئك ، أو لكل أولئك ، أو بفعل غيرها ، فقد كانت المحصلة النهائية ، أن شُوِّهت الشخصية السودانية .. مكرهة ومستحبة وراغبة ... وغدت فى كثير من حياتها ، ضمائر ميتة وذمم خربة فاسدة .. وهنا يجب ان تدور معركة التغيير

ويبقى الأمل فى ان يحرك السودان ويزرع الله فى أرضه من يفكر فى إعادة بناء الذات السودانية ، فكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، ويجعل من أوائل همومه إيقاف حلقة " الرقص الجماعى " السريع الإيقاع (افريقى - عربى) على انغام طبل السياسة بلا وعى .. وأن يعيد وعى المتفرجين ، ويبعدهم عن حلبة المصارعة البرجماتية ^(١) الاقتصادية الاجتماعية ، ويحرق أحزمة المصارعين مهما كانت ألوانها لتتغير المعادلة عن اعتبار أن أصل الصراع هو المنفعة الذاتية المادية ...

طلقة البداية وكلمة السر هى الأذان بالناس ، كل الناس للتربية .. الوطنية والبدنية والعسكرية .. ايماناً بالله والوطن وقوة فى النفس تصدياً لصعوبات الحياة .. وتطلعاً للقذوة الصالحة من أجل الإنطلاق نحو المستقبل المشرق بنور العلم والمعرفة .. لتسكن غربة جيل باحث عن الولاء للوطن .. ويصبح ولاؤه قومياً أصيلاً ، لا ولاء انتماء وشعارات ولاء يحده الأمل ويصدق العمل ...

(١) اعتبار المنفعة ...

وكم يجعل ويزان ان يصحب الإدراك التربوي الذي يربى عليه النشء
بعداً وجدانياً ليقوم حب الوطن على العقل والعاطفة معاً ...
وبعداً علمياً لإملاك مكنة التفكير والتحليل والتقييم فيشب الجيل مشبعاً
بحب الأوطان عقلاً وديناً وقيناً ...

ومن أجل ذلك كان لزاماً ان يخرج أهل المعرفة واصحاب
البيان عن صمتهم ...

أو عن رهبانيتهم ...

أو عن كهانتهم ...

ثم يتحملوا مسئوليتهم الثقافية الوطنية بحرية ومسئولية تعامل مع
السلطة ، كتابة للتاريخ أو عرضاً للآراء ...

وعلى الحاكم ان يخرج لجمعهم غير متدثر بثوب إعجاب أو احتجاب
ليؤذن فيهم .. ألا ان الكلم والقول مع الحق وليس مع الحزب أو الطائفة أو
النظام أو التنظيم .. وان خيال أدب الثورة والمقاومة والمرحلة وبناء تلال
الوعد الكاذبة والأوهام لا يبنى وطناً ، بقدر ما تبنيه المشاركة الوطنية الفاعلة
مجهوداً وبذلاً ... وان مسئوليتهم ، لا تقل عن حريتهم في التقييم والتقييم
... صدقاً وجراً ... استعداداً لتجربة التغيير والبناء ، لا ابداعاً في أدب
الولاء السياسي ... أدب السلطة والسلطان لأن من يفعل ذلك هو تماماً
كمغنيي بيوت الأفراح في ليل الخرطوم المظلم ... يرددون حتى أذان الفجر
كلمات وألحان وانغام من أجاد ومضى من المغنين والشعراء ... ويرفل
الراقصون بجهلهم طرباً ، يعتبرونها من جديد الكلم ، وحديث ابداع الواعد
والموهبة ، لانهم يجهلون آداب قومهم وتاريخها .. فما اظلمهم لانفسهم جميعاً
... لأن شعراء بلاط الأمس لم يتركوا للاحقيهم جديداً يقال ...

ودليلنا ان اذكروا جميعاً أيام مربد العراق الخاليات ... ما اتعس
البلاد يومئذ واشقاها وقد عرفت من خلال كلمات وأقوال ومعاني اغرار
الأدباء والشعراء ، وقد ارسلوا زرافات ووجداناً ، وفق الولاء والقراءة
والصداقة والوفاء ... وعادوا يحملون خيبتهم ولم يتركوا بعدهم بأودية الرشيد
أثراً .. وما اسعدها وأبقى آثارها بالرافدين يوم ان حميد فحول ادبائنا
أوشحة الشرف ، وزانوا سمعة البلاد عندما كان الميزان هو الكفاية
والدراية

(ب) طوق النجاة وقارب الخلاص

ان قدر المنقذ ورجل الخلاص

* ان يدرك ثقل الامانة وحجم الدمار

* وان يداوم على طلب الاستعانة بالله والألحاح بالدعاء لتفريج الضيق وسرعة المخرج وسعته ... لأن الامر بعد لا يتحمل معارضة التخطيم وتفريق الجهود ، علماً بأن الكثرة كيوم حنين لم تغن ولن تغن من الله شيئاً ...

* وان لا يكف عن الدعاء (اللهم غيثاً طيباً عميماً نافعاً) ..

ويهب رعاية لأبناء السودان ، زرعهم وضرعهم ، والخير فى باطن أرضهم .. ومن أجل ذلك فليتزود بالهداية لشروط النهضة وبناء الأمم

* وان يحمل فى سفينته كل وطنى متجرد غيور ، ويخشى عاقبة جمع البيض فى سلة واحدة وملاعبة البيض بالحجر ... لأن هناك

من يتعلق بالقطار بقلوب واجفة وعيون تترصد تتطلع للحظة تحكم فيها قبضتها بكيفية الدمار ... وأن فى الخارج من يحمل بيده الثقاب يحاول ان

يشعل الحريق ... ويساعده داخلياً من يجثو على ركبته ينفخ بملء فيه محاولاً إذكاء نار الفتنة تحت الرماد ولا يكف عن ذلك بالرغم مما ينال عينيه

ومنخرية بفعل الدخان ... لمثل هؤلاء يلزم الحيلة والحذر وتضييق الخناق ...

* ومن بعد عليه هزيمة النفس أمام غرور السلطة ، وعليه ان يضع فى بطنه حجراً ويشده بحزام من القناعة والزهد لأن قلب الكبير لا يزال

شاباً فى حب الدنيا وطول الأمل، ولأن أمانى ابن آدم تتعلق بوادى الذهب الثالث إن نالت الواديين

وبعد ان يتأكد من ان الطريق لا اتجاه واحد عليه ان يحرق سفن الرجوع عن الهدف ، وان يمزق راية الاستسلام ويحطم

سارية الانتكاس ... ويسير مطمئناً بقارب (أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله) ... وان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وان

الزاد فى كل الصبر وتعلم العوم والغوص ... لأن من الصعوبة التنفس تحت الماء عند القفز من على ظهر السفينة خشية الحريق ...

(ج) سبعة معالم فى الطريق

(١) إن المعرفة الحقيقية لنبض الشارع والوقوف على هموم الناس وواقعهم

المعيشى ، وتلبية ضروريات حياتهم اليومية وحل أزماتها قبل مرحلة

السخط والخبر والضيق هو سر دوام الثقة بين الشعب والسلطة ..

وأقرب وأقصر الطرق المؤدية الى استقرار الحكم الذى يؤدى حقوق المواطن ، لىؤدى بدوره واجبات الدولة التى تحفظ أمنه وإستقراره ، وتحترم عزمه وتحمل همومه ولا تعيش بعيداً عن واقعه ... لأن الهموم والمصاعب ترهقه ، والكلام وحده لا يملأ فارغ بطنه ولا يسكت هتاف امعائه ... ومهما تحدث المنظرون والمفكرون الإجتماعيون عن الشعب السودانى بأنه دائماً يبحث عن حرية رايه فهو يبحث ، ويجهد اكبر ، عن قوته وما يقيم به أود ابنائه لأنه (زى إبل الرّحيل شايكة السّقا وعطشانه)

(٢) إن السودان قطر زراعى متخلف ، فى طريق الضياع ، فلكى ينهض ويتعدى عن هاوية الدمار والتخطيم لبدله من اعمال للظروف البيئية المواتية ، الملائمة للتنمية والانتاج ، وتوفير الغذاء لنفسه أولاً ولغيره عائداً ...

وان يعلم أبناء السودان ، بأن لهم فى النيل الجارى نعمة يشتاظ لها دولار البترول حسداً وان فى خريف الأمطار خير ما بعده خير .. وانه من الواجب استغلال كنوز بواطن الأرض من المعادن والبترول واستثمارها ، بالرغم من صراع الامم العظمى بحثاً عن توازن قواها ، ومن ثم عدالة توزيعها حتى لا يكون الإحساس بالظلم والحرمان ... لأنه عندما يكون نصيب الأقل قدرة وانجازاً من الثروة والمكانة أعلى وأوفر من الأكثر قدرة وانجازاً تتسع هوة الفجوة الإقتصادية والإجتماعية بين الأمل والواقع ، فيأتى الإحباط ويتبعه العنف والثورة وان اعلان التسعيرة ليست هى الحل لانها توقف المنافسة الحرة والجودة وتقتل حافظ النجاح عند المنتج ... وان حل الضائقة المعيشية يكمن فى الانتاج والوفرة والمنافسة الحرة والاصرار على محاربة الجشع والاحتكار والتخزين وفاحش الأرباح ... والتحكيم لقانون العرض والطلب تحت تضافر المجتمع وجسارة الدولة .. ومصداقيتها فى اعادة توزيع الاقطاعات من الأرض الزراعية لمن يفلحها ويستصلحها ، واعادة النظر فى إحتكار آلاف الأفندية باسم الجمعيات التعاونية والشركات اسماً ، والأفراد "حكراً" حول العاصمة وبقية أرض السودان .. وتفجير نهر المياه بباطن الصحراء واستخدام الآبار الجوفية العميقة وطرق الرى الحديثة كالانابيب والرش المحورى الدائرى ... وهو النظام الأنسب للأرض الغير مستصلحة والأراضى الرملية فى كل اقاليم البلاد حيث المعاناة والهجرة والنزوح وجرف التربة .. ودمارها حتى لا يقضى زيف نقود المدينة وبريق حياتها على

(٣) إن أهل السودان كغيرهم من شعوب العالم يعانون سلبيات المذهبية والتطرف الفكرى والعنصرى والتعصب للأصول ، ويتحملون تبعه فعل بعضهم وقوله ممن جعل كسبه فى بناء الاوطان قعوداً بها عن بلوغ سامى اهدافها ، وتثبيطاً واحباطاً لاملها فى ان تنتشد قيم الكمال وتكمل مقومات وجودها ولن ينال ما يريد من ينتظر اختفاء آخر من يعتقد بالتفوق العنصرى (النظرة الفوقية والدونية وفق لون البشرة للفرد، ونُصرة عالمه) بين المجتمعات ونظرتها لبعضها البعض .. لانه مهما نصت على ذلك مواثيق الدول والمنظمات وحقوق الإنسان ، ومهما كتب عنها الناقدون وروجت لذلك وسائل الإعلام ... فإن لها فجائية الظهور على السطح بعد اختفاء سلوكاً أو اعتقاداً لنظرة تاريخية خاطئة ، أو لسيطرة وهم ، أو لجهل أو اكمال مزاج ومداعبة ، أو اظهاراً لسخط وضجر وسرعة إنفعال كما هو حال النفس البشرية عند الغضب وفقد الأعصاب ... تلك ظواهر بشرية غير مهتدية نجدها فى العالم الغربى والشرقى معاً والدول المتحضرة والمتخلفة بمختلف أجناسها ، بين عناصر القطر الواحد ، وبين افراد القبيلة والعشيرة الواحدة ويمتد ذلك حتى بين الأسر والأفراد إن من ينتظر زوال هذه العيوب تماماً ثم يبدأ تجمع مجتمع الشتات هو فى طريق من يريد ازالة الفوارق تماماً بين طبقات المجتمع وجعل المساواة المطلقة بين الغنى والفقير ، ناسياً قدر الله فى خلقه ، وناسياً اختلاف كسب البشر وحب الإمتلاك الفردى ، ودفع الناس بعضهم ببعض .. ولكن من الواجب ان لا نركن إليها ادماناً للتخدير الاجتماعى وامعاناً فى غيبة الوعى وتعاطى المنومات والمهدئات والمسكنات ، على أنها هنات هينات كفيل بها الفعل التدريجى للزمن ، اهمالاً وتهاوناً ، ولكن لابد من مواجهة المجتمع لمن يفعلها ، باحتقاره والاستهزاء بمفهومه ، والإزدراء به وإهمال أمر تقديمه ... وينبغى ان لا نلتفت إليها كثيراً وان نعتبرها خدوش خارجية و "كدمات" اجتماعية تجدى فيها المعالجات الطبيعية بالمكدمات سخونة وبرودة ويساعدنا على السير فى طريق البناء اذا علمنا إنها ليست دعامل وأورام سرطانية خبيثة تقتل وتهدد اصول وكيان الامة ولكنها طيبة امام جراحت المجتمع من تربية واستتارة ، ومعرفة لقيم مدنية الانسان وسمو مشاعره وجميل سلوكه ...

... إن التعصب فى الأديان قاتل لفكرة تعايشها ، وان التطرف فى مظاهر الاعتقاد يشعل حريق الفرقة ولا يطفئها بروح المحبة والالتقاء ... وان

التدين بلا معرفة يجلب الكراهية ويقود لدائم الاختلاف ...
ربما يتعصب المسلم حتى مضايقة غيره فى الطريق
ويختلف مع أخيه المسلم حتى يصفه بالكفر والفجر ...
ويتعصب لقوانين دينه حتى المطالبة بتطبيقها على كل البلاد ، بلا
مراعاة لحقوق الغير فى ان يحتكموا لأديانهم وهم شركاء فى الوطن ...
ويتعصب المسيحى لدرجة ان يجعل مهمة التبشير والتنصير ليست
تغيير عقيدة المسلم وادخاله المسيحية ، بقدر ما هى فى جعله مخلوقاً لا صلة
له بالله ولا بالأخلاق ، يتعلم من أجل الشهرة واللقمة ثم يضع مركزه
من أجل الشهوة

" ان مهمة التبشير التى تريدكم لها الدول المسيحية فى البلاد
الاسلامية ليست فى ادخال المسلمين فى المسيحية ، فإن هذا هداية
لهم وتكريماً ، وانما مهمتكم هى ان تخرجوا المسلم من الإسلام
ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى
حياتها . " (١)

ويقول تقرير مكتب الدراسات الإقليمية بمجلس الكنائس ، عن مستقبل
الحرب بجنوب السودان
" مثالب ثقافية واجتماعية لظاهرة النزوح والهجرة من الجنوب للشمال
... تتمثل فى

(١) الانصهار الثقافى نتيجة الدمج الاجتماعى للمواطن الجنوبى النازح
مع المواطن الشمالى .. - حركة جذب واستقطاب تلقائية فى التقاليد
والعادات (كلبس الجلابية والثوب) ، ذلك يهدد سياسة المناطق
المقفولة - التنافر بين الشمال والجنوب ، ويهدد نكهة الهوية الجنوبية
، .. وسيزيل العقدة التاريخية ، الشعور بالضميم الانسانى الذى
لحق بها من تجارة الرقيق بواسطة عرب الشمال ..

(ب) التعريب التلقائى للجنوب ، واللغة العربية هى المعبر الاساسى
للإسلام .. وذلك لدور المنظمات الطوعية الاسلامية ، ودعم الدول
العربية لحركة الأسلمة بالجنوب ربما يؤدى لظهور قيادات اسلامية
فى القبائل الكبيرة مما يؤثر فى توازن القوى الاجتماعية ...

(١) سمويل زويمر - مؤتمر القدس التسميرى ١٩٣٥م .

(ج) المستقبل القاتم لقبيلة الدينكا بسبب الموت و الجوع والمرض والحرب ، وفشل ابنائها فى الدراسات الجامعية فى السودان ، وإن ٧٠٪ من ضحايا الحرب من قبيلة الدينكا .. وباستمرار الحرب ربما

تتقرض القبيلة والتي منها اغلبيّة المقاتلين والقيادات " (١)

وتتعصب اليهودية لتصف اتباعها بشعب اله المختار وتعمل لتحقيق نظرية ارض الميعاد من النيل الى الفرات وتهجر لذلك يهود الغرب والشرق ويهود الفلاشا ... ويظهر التعصب العنصرى حتى عندما وصل اليهود الفلاشا لاسرائيل حيث انتحر بعضهم احتجاجاً على المعاملة الدونية ومحاولة اعادة تهويدهم ... مما صعب الامر وجعل الحاخام يقترح ان تتم عملية التهويد فى ارضهم قبل التهجير ...

هذه المشاكل فى السودان كفيل بها تطبيق الفيدرالية وتحديد الدولة ، وتوزيع الادوار بين المواطنين ... ويشمل ذلك حرية الاعتقاد والدعوة ، والتسامح فى طريق العودة الى الله ، والتعايش السلمى بين الاديان ...

وترك عملية (الحذف والإضافة) للتنافس بين الاديان وصراع الافكار ، والمقدرة على تقديم المثال وتجسيد قيم الدين ، والتفوق فى نفع الغير وتقديره كإنسان وكمواطن ... وسنجد ان قانون البقاء للأصلح هو الأجدر للانتقاء فى مشكلة الاديان والافكار ونظريات حكم الشعوب (٢) كما هو الحال فى عملية التوازن الطبيعى حيث البقاء للأقوى والأجدر على تكيف خلقه مع البيئة فى الحيوان ، ومقدرته على الصمود امام عوامل الفناء الطبيعى فى الجماد ...

(٤) على المنقذ أن يدرك تماماً انه لابد له من فأس ليتوكأ عليها ولأرب أخرى (وحتى تكون كلمتك من رأسك يجب ان تكون لقمتك من فأسك) .. فأس للحرث وانتاج ضروريات قوت الشعب ، ولضرب عنق الفساد .. لأنه لكى تتصف من ظلم لابد أن تحرق أنامل من أخذ ..

(١) الازفستيا السوفيتية - عن المصحف الكينية ..

(٢) فكرة الوحدة الاقتصادية الافريقية ... مؤسسة التجارة التفضيلية لشرق وجنوب افريقيا، تأسست ١٩٨١، و باشرت عملها ١٩٨٤، تهدف لدفع التعاون و التنمية فى مجال الأنشطة الاقتصادية وبصفة خاصة فى التجارة الجمارك الصناعة والنقل والاتصال، الزراعة والموارد الطبيعية والشئون النقدية وتضم :-

انيبويا، الصومال ، جيبوتى ، يوغندا ، تنزانيا ، زمبابوى ، بورندى ، رواندا ، مدغشقر ، موريشيوس ، جزر القمر ، زامبيا ، سوازيلاند ، ليسوتو ، ملاوى والسودان ...

لتكون عادلاً ومقتضى العدل ان يكون هناك ظالم ومظلوم ، لذا فلا يمكن إرضاء كل الناس إلا إذا انتقى الظلم من العالم وتلك ضد حكمة الوجود وقانون التضاد .. وان اكبر حقيقة فى الوجود ، وجود الله سبحانه وتعالى الخالق لما وجد لا يتفق عليها كل الناس .. لذا فلا بد لكل سلطة من أعداء .. ولأن هناك اشياء لا يمكن مواجهتها إلا بالردع والجزاء الصارم الحاسم السريع ... مثلاً " كسيب بالتهريب " مع صغر السن ، وتضييع مسانى الجهد والعطاء وتجارة العملة (دولار - ريال) واحتكار السلع وتخزينها وتهريب السلع والمنتجات لداخل وخارج البلاد ... يقولون لك صغار وبنوا العمارات ، ويصفونهم بالشطارة دون الطهارة وربما يتجرأ أحدهم ويواجهك .. ماذا فعل من تعلم ؟ ويكون من الصعب اقناعه واقناع مستمعيه .. لأنهم يقيسون النجاح بكم مليون فى الحساب ؟ ... وهناك من وصل مرحلة من الاجرام لا يجدى معها إلا صارم العقاب .. وإن عملية التعمير والتغيير ، والاستقرار والاستمرار لا تتم إلا برد الحقوق الى أصحابها ، ونبذ عقلية المصالح العشائرية والترصيات وعملية إطفاء الحرائق المؤقتة ، والتوازن بينها وبين التسامح .. وبين سرعة الاجراءات القانونية وثورية الإصلاح ومقتضى العدالة .. وان رد المظالم الى أصحابها يتطلب القوة ، لأنه عبء ثقيل لا يتحمل الحياء والتأخير ... وان تكون الكفاية والأداء ومقدارهما هى مقاييس الإبعاد من مواقع الدولة وليس الولاء السياسى السابق ، لان هناك من يدس ويكيد ليتخلص من خصوم ... وربما يضمن التقارير الفنية عن الأداء مكر السياسة ورغبة الإدارة ، ولأن الاختلاف السياسى لا يبرر الظلم ، والظلم يولد الحقد ويقتل روح المنافسة وحافز العمل ، ويصعبه غياب الشعور بالامان اللازم لاستمرار العطاء ودوامه وتحسينه ، واكثر من ذلك فربما يجر لدعوة مظلوم تسرى لبيل فى غفلة الأمير ، وانه ليس بينها وبين الله حجاب .. ان فعالية الثورة تعنى استمرارية التغيير .. وذلك يتطلب مرحلة الشعارات ، " **وإن لكل شعار رجال** " يجسدونه ويطبقونه حقيقة وتطبيقاً بكل ارادة ومعرفة وتخطيط وخبرة وتجربة وب عقل وبصيرة وثبات . ومن الطبيعى ان يسقط من يسقط فى عملية الانتقال بين المراحل ، وربما يتم ذلك بعد صراع ومقاومة ... فنسمع بأن " الثورات قتل تاكل بنيتها " ... لذا فإن ناشد قيادة التغيير يجب ان يكون ذاتى الطاقة والحركة وقوة الثورة ، يتعثر الصبر ويتزمل العزيمة ، يحرث ويرعى وقد يعيش مرحلة النمو من دون

ان يكون قاطف الثمار... ومن الأهم أن يعى جيداً أن لعبة السياسة اليوم خالية من العواطف والمجاملات، ولا يضم قاموسها إلا المال والقوة والمصالح... وإن عملية التنمية والبناء لا تتصلح إلا باكتمال عملية الولادة المتأنية، طبيعية كانت أم متعسرة، لنوعية من القيادات القادرة على الابتكار والتجديد والإضافة، وإتقان الاستخدام الأمثل لما هو متوفر وفقاً لظروف واحتياجات ومشاكل السودان.....

(٥) ان عملية " الإستقطاب وقومية النهج " ذات أهمية كبيرة لأنها تجمع عناصر القوى الوطنية، وتوفر التجربة السياسية الناضجة لتزوين طموح الشباب وثورته واندفاعه لتكتمل دائرة " **توزيع الأدوار** "، لان بناء الاوطان، وخاصة المندفعة نحو هاوية الدمار، لا يحبذ فيها قيادة الاغرار، لانهم ربما ينشغلوا بالمجتمع عن انفسهم او ينشغلوا بانفسهم عنه.. وتأتى الهزيمة، ويكتمل التحطيم... ولكن يلزم لذلك عوامل الصبر والزمن، وبعض الملاحظات...

(١) ان لا تركز على القمة وتصير عملية " **انتخاب للنجوم** " من رموز عهود الحكم السابق، وتتسى الخيرين من بقية الصفوف، والذين يرجى خيرهم اكثر من غيرهم، لانهم يرفضون ان يكون دورهم (**نوم و تكبير كوم**)....

(ب) ان لا يكون الداعى للنهج القومى خوف العزلة أو رغبة فى الشعبية أو ترضية.. أو تغطية لتوجه أو انتقاء لشر متوقع، لان ذلك يهمل القدرة وفاعلية الاداء، مما يثقل الحركة، أو يكون مدخلاً لمن " **يعاوض من الداخل** "، ولمن يملؤه الانهزام النفسى وتعمه روح التردد، لان محاربة عدو العلن اسهل وأهون من مواجهة " الصديق العدو "... وتجارب السلطة تقول :.....
كثيرون هم الذين يعارضون فى السر، ويؤيدون فى العلن، ورغم همسهم وهمزهم وغمزهم ولزهم ليلاً، إلا إنهم يصفقون بالأيدي نهاراً ويمسحون الجوخ ويقبلون الأيدي والاقدام.. ويبقون بالاعتاب انتظاراً حتى أواخر الليل تعبيراً عن ولاء... من كل ممن أبعد فى عهد ويرغب فى البطولة مع عهد جديد... ان الكبار لا يحتملون النفاق... صحيح ان ابن ادم خطاء، ولا بد من الخطأ والصواب فى تجارب الشعوب... ولكن أن تهيأ فرصة للبعض أن يكون

(حصان رهان لكل عهد) ، و" هجين منافسة لكل

أهيو " ، فذلك تفريط فى أمانة قيادة الأوطان مرفوض .. لأن هؤلاء يجسدون اساليب حكم ، ومناهج تفكير ، ومشوه قيم ينبغى ان تهتز وتزول .. ولا تجوز مهادنتها أوالتصالح معها ...

(ج) إن بعض قدامى السياسيين والمسئولين الحكوميين، يكون أجدى وأنفع فى موضع الاستشارة والتظير ، ووضع التجربة امام الغير فى المؤتمرات والندوات والمحاضرات بين مدرجات معاهد البحث والجامعات ، من ان يوضع فى موضع القيادة والتنفيذ ... وعليهم ان يتحملوا أمانة التظير ووضع البرامج والخطط ، ويتابعوا عمليات التقييم والانتقاد .. وفى كل الحالات ، إن القيادة أمانة ومسئولية لا يدرك ويتقن فيها كل الرجال ، ولا تبلغ هامتها كل القامات ...

(د) أهمية الموازنة بن اهل الثقة والولاء ، واهل الكفاية والقدرة . وبقينا إن جمع المسئوليات السياسية والإدارية هى من أسباب دمار الإدارة فى السودان فى الحكومات العسكرية والديمقراطية .. لأن ذلك يقتل الطموح ويثير الاحقاد ، ويفتح مجال للتخلص من الخصوم ، ويخلق المحاسيب ، ويفتح الطريق لمن يمارس النفاق بحثاً عن الخبز والثراء ... ولأن أمر الإصلاح لا يعرف الحسب والنسب ولا التنظيم أو الحزب ... طريقه المحاسبة الصارمة والمكافئة العادلة ، ... وأن الفساد والإفساد فى المال العام والاسواق لا علاج له إلا مفارقة الرقاب ... لأن من يجب جمع المال وكنزه ، زحفاً وانبطاحاً وهرولة ، هو مريض تعس يجب الحباة ... ولمثل هذا " دق العنق " هو اسلم وقاية لإتقاء شر من **(لتجدنهم احرص الناس على حياة)** ، فى دنيا التجارة والمال ودوائرهما الحكومية

(هـ) ان الاسلم والأصوب فى عملية " تجميع الشتات وتوزيع الأدوار " فضلاً عن عملية ممارسة التحذير والإنذار ، والترصد حتى مرحلة اختفاء الاعذار ثم الانقضاخ فالتطهير) هو استقطاب كل القوى الشبابية ، وإستثمار طاقاتها بعد تنويرها وتشويرها ، وإتاحة حرية الحركة لها فى مجاله .. فإن هنالك قوة وطاقة شبابية هائلة تعرف هموم الوطن ، وتؤمن بقومية الهدف ولكن تشغلها هموم الذات والمسئوليات الخاصة ، من زواج ومسكن ومعيشة وتبعات لأسر وعائلات ، والتزامات اجتماعية أخرى ،

شغلها وارهقتها كثيراً واقعدتها عن ان تحمل معها هموم وطنها ... استقطاب هؤلاء بإعمال خاصية التسامح السوداني الأصيل ^(١) مع مجرد الحوار وثقة التفاوض لتجتمع كتوف وكفوف وارادات وقوى تتعاون على حمل ثقل هموم الوطن التي اتقلت كاهل مجتمع الكراهية والشتات ^(٢) على من يمسك نار السلطة، بحثاً عن الحل، من دون ان يرتجف له قلب أو قبضة يد، أن يعلم أن الأمانى وحدها لا تصنع الأمم الناجحة، وأن النية الصابقة وحدها لا تكفى أيضاً لذلك، وإن الثقة المفرطة قابلة أن تتحول لحماقة .. وأن بناء الدولة على السياق الحضارى (الهوية الحضارية) يحتاج للمعلومات والإحصاء والتخطيط، حتى يسبق اتخاذ القرار التروى والمشورة ويعقبه الحسم والحزم ... وذلك يعنى دراسة نتائج ومترتبات ومتطلبات تنفيذ القرار الصائب قبل إقراره، لأن النكوص عن القرار الصائب تحت ضغط المعارضين أو صعوبة التنفيذ والتزليل أو لكسب سياسى خوفاً من العزلة ورغبة فى الشعبية، يذهب الهيبة ويزرع خصلة التردد، ويغرى المعارضة بإستقلاله فى زعزعة ثقة المواطن فى السلطة المقررة ^(٣) ...

" لا يدعن السلطان التثبت عندما يعطى ويمنع فإن الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع بعد الكلام، وأن العطية بعد المنع أفضل من المنع بعد العطية، وأن الإقدام على العمل بعد التأنى فيه، أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه. " ^(٤) ...

وأن بناء الأمم يحتاج للقيادة السياسية المدركة، ذات الإرادة الحرة، وذات الحول والمقدرة والكفاية والدراية .. من علّمت نفسها بالاطلاع على المعرفة والثقافة العالمية، وهضمت واستوعبت ثقافة أمّتها قبل ذلك، لتستشعر مسئولية الأمانة وتمتلك قوة الأداء ... ولتنهزم نفسها أمام اغراء المال ... وتعلم أن الحقد والهوى والغرض فى اصدار القرار يعمل ما لا يعمل به الجهل، ومن قبل وبعده هزيمة النفس ضد ادواء السلطة ...

(١) نلمس مثلاً حياً لذلك بين بعض قبائل الجنوب التي يوجد بين افرادها مسيحيون ومسلمون حيث يشارك أفراد الأسر ذريهم بعيداً عن عصبية الإنتماء الدينى ...

(٢) على سبيل المثال أصدرت قيادة الإنقاذ تحرير اسعار الخضر والفاكهة فى سبتمبر ١٩٩٠ .. وبعد اسابيع فسّر قرار نائب المعتمد بأن قرار القيادة لا يشمل اللحوم والخضروات ...

(٣) ابن المقفع .

لأن الأمم ، التي تفوقت وبذت ، بناها تضافر الجهود ومجهود الجميع .. وأن من له السلطة والحكم ليس هو الأكثر مواهباً والأقدر في كل مجال ، وأن العزوف والزهد في السلطة لا يعنى الخمول والخلو من الموهبة والمقدرة ... وأن أمامها طريقان لا ثالث لهما ...

التأييد ثم السلطة فالحكم .. أو ...

القوة ، فالقهر فالدكتاتورية ثم فقد حرية الرأى والتعبير فالسقوط .. وأن ماضى التجارب في مجال السلطة يقول بأن انقاذ وخلص البلاد لا يتم فقط باستلام زمام السلطة وغلبة القوى العسكرية ، فعند أكثر من عشرين سنة فعل ذلك النميرى ورفاقه ولكنهم ضلوا الطريق لوجدان الأمة وضميرها ، لأن النظام افتقد القيادة الحديّة القاطعة ... وكان السقوط لعدة اسباب ...

(١) الاستئثار بالسلطة والاستبداد ، وخلق طبقة سياسية متميزة ..

(٢) عدم كفاية وأهلية من ولى المناصب والمسئولية ..

(٣) غياب القانون ، وتحكيم المصلحة الشخصية للولاة والحكام ..

(٤) هيمنة وانفراد بقرارات في مصير الأمة وأرضها وأموالها ..

(٥) طبقة فقيرة محتاجة ، وطبقة رأسمالية لعبت بأموال الأمة والدولة .

(٦) إن مشكل الحكم في السودان معقد وصعب ومتشابك وثقيل حمله يتطلب

الصبر وقوة الاحتمال والتصدي والإصرار ... عند البعض صراع للعقائد

والأفكار ... وآخر يفهمه محافظة على ارث قديم وغيره يعده ظلم

إجتماعى وقسمة ضيزى للثروة وغيرهم محافظة على بقرة حلوب تدر

الذهب والمصالح ... ويوجد من يراود له ان يكون مذهب قط ونفقاً

لعبور استراتيجيات ومصالح . لذا يكثر طلاب الحكم في السودان بالرغم من

صعوباته ومشاكله ... لأنه قليل من يفهم ان الأبعاد الحقيقة والتفاصيل

العملية للديمقراطية الليبرالية تسير خلاف ممارسات وابتعاد العمل الجماعى

في السودان وتاريخه^(١) ، وأن المطلوب اليوم في البلاد هو التفكير

العملى للخروج بمعادلة ناجحة بايجاد محصلة تشبه ذات المجتمع وحضارته

في ظروف الإستلاب الحضارى السائدة اليوم في المجتمع الاسلامى والعربى

والافريقى ...

ونقطة الانطلاق ، معرفة ان الدمار الذى لحق بالوطن كبير ولن يزول

(١) أى " الصيغة المحلية للديمقراطية " ...

إلا بتجميع كل عناصر القوى فى مجتمع السودان ، وان يستشعر كل مواطن مسؤوليته فى معركة بقاء الأمة وبناء الوطن .. وإن ما نراه من اوطان الرخاء والتقدم والوفرة والاستقرار مجهود سنين ومغالبه مصاعب وتاريخ طويل لصراع العمل والانتاج وتوزيع الأدوار واخلاص الأداء ... وان الأمم (١) ماضى (ب) وحاضر (ج) وغد

(١) دولة

(١) ذات اصول حضارية .. و ...

(٢) ثوابت تاريخية .

(ب) رئاسة وحكومة

"تسير وفق مؤشرات الدولة وتتهدى بخطط المستقبل" وعليها ...

(١) تسير علاقات خارجية وداخلية ..

(٢) تدبير حياة ، وتلبية متطلبات شعب اساسية ومعيشية

(٣) ادارة ديوانية ، وانتاجية وتنموية ...

(٤) المحافظة على كيان الدولة وتحقيق الإستقرار ..

(ج) رؤى مستقبلية

"يسع مجالها جميع افراد الأمة كل وفق مؤهله وكفايته وقدرته

على العطاء"

(١) احصاء وتخطيط ..

(٢) بحث علمى وإعمال تقنية وابتكار ..

(٣) مسئولية يتحملها العلماء والمفكرون والمجتهدون " كأفراد

ومؤسسات "

هذا الإدراك والفهم لتوزيع الأدوار بين أفراد المجتمع فى بناء الأمة ،

يوسع المشاركة ويتيح الفرصة أمام الجميع ، ويجعل لكل موضع قدم ومجال

مساهمة ...

لأن تحديد هوية الدولة تحسم صراع الأيدولوجيات والعقائد

والاديان ، ويحدد مسئولية الرئاسة والحكومة فى حاضر الأمة مع تركيز النظر

للمستقبل ولن تلتفت للماضى إلا للاهتداء .. ويتيح لهما المساهمة فى تحديد

المستقبل وفق الكفاية والمقدرة الفردية الشخصية ... ويقنع أهمية العالم

ويطمئنه على فعالية نتائجه وتقبلها ، وولوجها لفهم وتطبيق من بيده السلطة

والقرار وتضع العلماء ان دورهم اكبر وأوقع اثرا من البحث عن الزعامة

وان وبرة (اوفارول) المعمل والحقل انسب لقاماتهم وأفيد لوطنهم من شال

جراح قدير او نطاسى بارع وزيراً للصحة ... فقد جاءت نصيحة العالم
المصرى فاروق المياز للسادات ، بما جعل السياسة تبتعد عن دفن النفائات
الذرية ، بما هو انفع لأجيال مصر ، وكذلك فعل الطبيب المصرى جراح
القلب الشهير ، وصاحب الرقم القياسى فى نقل القلوب مجدى يعقوب حين
قال لمن ساله : (هل تشعر بنجاحك وانك اصبحت نجماً فى عالم الطب ؟)
.....^(١)

" إننى أشعر بنجاحى فقط عندما أكون بين المرضى ، وفى موقع عملى
، أما بعد ذلك فأنا مثل سائر البشر لا فرق بينى وبينهم . "

ثم (ان السلطان يهلك بالإعجاب والاحتجاب) ...

لأن الاعجاب بالنفس يمنع الاستشارة والاستفادة والاستزادة ...
والاحتجاب عن الرعية يهمل ادارتها ومعرفة همومها ، ولا يترك للعدل باباً
مفتوحاً يلج منه من ظلم بحثاً عن عدالة السلطان
وصدق الله العظيم إذ يقول

" كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُدُّوا مَقَامِ
كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكْهَيْنَ (٢٧) كَذَلِكَ
وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) "

(سورة الدخان)

(١) لندن - أولاد كورت

(مجلة الشرق الأوسط العدد ١٨٥ - ١٠ - ١٦ يناير ١٩٩٠ م)



القطن والنيل



الغيث والأنعام

الذرة والأمطار





المعادن . . . و البترول

المحتويات

الصفحة

تقديم :

٧	من قبل
٩	يسألونك عن هذا الكتاب
١٦	ومن بعد

الباب الأول الشخصية السودانية

١٩	١- خلفيات
٢١	ب- اجتماعيات
٣٠	ج- سياسيات
٣٣	د- تشريعات
٣٤	١- كانت السلطة
٣٤	٢- وكان الاغتراب
٣٦	٣- وكان الاقتراب
٣٦	هـ- معالجات

الباب الثانى و تنادوا هاتفين

٤٢	يقولون
٤٣	ديمقراطية السودان التعددية
٤٧	هم عليه يد واحدة
٥٠	كالتمرغ فى دم القتل

٥٣ مال تجلبه الرياح تاخذه الزوابع
٥٣ نعمة ونقمة الهجرة والاغتراب
٥٥ ومن يعيش رجلاً يرى عجاً
٥٧ التتمية (نامى جياح الشعب نامى)
٦٦ من رضى عن نفسه كثر الساخطين عليه
٧١ انه (فتى ولا كمالك)
٧٤ قطرة الماء اذا دامت تنقب الحجر
٧٤ وبعد

الباب الثالث

وجاءت الاحزاب

٨٠ (١) الامة والانصار
٨٠ من التاريخ
٨١ فتل في الذروة والغارب
٨٣ تلك امة قد خلت
٩٢ وماذا عن البيعة
٩٦ يطلب اثراً بعد عين
١٠١ (ب) الختمية والاتحاديون
١٠١ اللحظ اصدق انباء من اللفظ
١٠٢ لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقاً
١٠٢ انه نسيج وحده
١٠٣ ليس (لمثل هذا كنت احسبك الحساء)
١٠٤ ان مع اليوم غداً يا مسعدة
١٠٥ هذا ولما ترد تهامة
١٠٨ كفى المرء فضلاً ان تعد معاييه
١١٢ شخب في الاناء وشخب في الارض
١١٤ ما يوم حليلة بسر
١١٧ عودة الغائب
١١٨ رأى الشيخ خير من مشاهدة الغلام

(ج) الحركة الإسلامية

١٢٤ البداية والتطور
١٢٥ وبعض القول يذهب فى الرياح
١٢٦ المصالحة الوطنية
١٢٦ من خشى الذئب اعد كلباً
١٣٠ الشريعة الاسلامية
١٣٥ عينك عبرى والفؤاد فى دد
١٣٦ هل يستقيم الظل والعود اعوج
١٣٨ كدابغة وقد حلم الاديم
١٤٠ بيعة الإمام
١٤٤ لو كان فى البومة خير ما تركها الصياد
١٤٨ الحركة الاسلامية وانتفاضة ابريل
١٥١ عند الصباح يحمد القوم السرى
١٥٢ اوسعتهم سباً وأودوا بالابل

(د) صفوة جنوب السودان

١٥٧ مشكلة جنوب الوطن
١٥٨ وفى طريق الاستقلال
١٧٢ صفوة الجنوب وبقرة السياسة الحلوب

(هـ) جبهة التحرير السودانية الوطنية

١٧٨ اعترافات الاب
١٧٩ وعاد الاب
١٨١ وولج باب منظمات الثورة
١٨٢ كلام الليل يمحوه النهار

(و) الشيوعيون وقوى اليسار

١٨٤ جدل
١٨٥ وجاءت مايو وجاؤا بها
١٨٧ كمن يرتجى مطراً بغير سحب

١٩٢	ثم جاءت الطامة
١٩٤	ما كل بارقة تجود بمائها
١٩٦	بئس العوض من جمل قيدة
١٩٧	ما حيلة الرامى اذا انقطع الوتر

(ز) الجمهوريون

١٩٩	حصان طروادة ومركب الانقاذ
٢٠٢	مجير ام عامر
٢٠٤	لكنهم يحاولون

الباب الرابع

قوات الشعب المسلحة

٢٠٩

الباب الخامس

عشواء مايو و حاطب الليل

٢٢١	الامارة
٢٢٢	من استرعى الذئب ظلم
٢٢٩	ماله ثاغية ولا راغية
٢٣١	تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها
٢٣٣	تسألنى ام الخيار جملاً
٢٣٤	من اعان ظالماً سلطه الله عليه
٢٣٦	ان الجواد عينه فراره
٢٣٧	من جعل نفسه عظماً أكلته الكلاب
٢٣٩	إحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء
٢٣٩	و(كانت بيضة الديك)
٢٤٢	عند النطاح يغلب الكبش الاجم
٢٤٥	بيدى لا بيديك عمرو
٢٤٥	حاميه حزاميه
٢٤٧	شر ايام الديك يوم تغسل رجلاه
٢٤٨	جلد الخنزير لا يتدبغ

الباب السادس

فقهاء السلطان وجماعة الوسط الخائض

المنهج

٢٤٩	كان سندانا فصار مطرقة
٢٥٠	لقد استسمنت ذا ورم
٢٥١	لين الكلام قيد القلوب
٢٥٢	الراوية احد الشاتمين
٢٥٦	برئب قائية من قوب
٢٥٧	كل شاة تناط برجليها
٢٦٠	السكوت اخو الرضا
٢٦١	وخلفوا من بعدهم خلفا
٢٦٢	ادب المرء خير من ذهبه
٢٦٣	وجاعت كلمات الوسط
٢٦٤	بنان كف ليس فيها يساعد
٢٦٥	و (ياتيك كل غد بما فيه)
٢٦٦	امر مبكيانك لا امر مضحكائك
٢٦٧	و (من نجا براسه فقد ربح)
٢٦٧	اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها
٢٦٩	و (اتي عليهم ذو اتي)

الباب السابع

صنائف و اسفار و اعلام

٢٧٥	قول ... وقول
٢٧٧	وتقطع اعناق الرجال المطامع
٢٧٧	رب قول اشد من صول
٢٨١	هذا الميت لا يساوى هذا البكاء
٢٨١	واختلفت الاهواء
٢٨٢	العلم في الصدور لا في السطور

٢٩١ اولئك ابائى فجئنى بمثلهم
٢٩٤ القول ينفذ ما لا يتنفذ الا بر
٢٩٥ اغنى الصباح عن المصباح
٢٩٧ مفوز علق شئاً باليا

الباب الثامن

من اين تؤكل الكتف

٣٠١ ١- بذرة الامل
٣٠٦ ٢- طوق النجاة وقارب الخلاص
٣٠٣ ٣- سبعة معالم فى الطريق

إخراج إلكتروني : ابوبكر خيرى

